عبد الناصر
و الحملة الظالمة



عبد الله إمام

عبد الله امام

عبد الناصر
والحملة الظالمة

١٩٨٦

هــــذه الحمــــلة الظــــالمــة المخططـــه

تتجدد فى مصر دائما الحملة على جمال عبد الناصر .. وكانما هنـاك مـن ينفخ فى النار ، ويحاول اشعالهـا كلمـا انطفات .. ولايعدم وسيلة لازكائها بوقود جديد .

ولقد استمرت الحملة التى استخدمت فيها كل الوســائل وكل الاجهزة ، وكل الاساليب ما يزيد على عشر سنوات .. وكانت نتائجها باستمرار سلبية .. اذ يفاجأ القائمون على هذه الحملة ، والمخططون لهـا ، انهم استخدموا اسلحة فاسدة ترتد عادة الى صدورهم . وهم لم ييأسوا ، فاعادوا الحملة من جديد باكثر ضراوة وساعد على ذلك عوامل عديدة عادت لتنفخ فى النار وتعطيها مزيدا من الوقود .. ولعل من أبرز هذه العوامل ان عبد الناصر بدأ يظهر بعنف فى وجدان الجماهير باكثر من ذى قبل . وبدا أن الحـــل الناصرى هو المخرج الوحيد لما يعانيه الشعب مـن ازمات فى الداخل ، والخارج .

وقد بدأ الحملة على عبد الناصر توفيق الحكيم . بكتيب صغير يقول فيه انه طوال سنوات حكم عبد الناصر كان فاقد الوعى .

وفى تلك السنوات كان اخصب انتاج الحكيم . وفترة ازدهاره وحصوله على كل الجوائز ، وتكريم عبد الناصر له .

وبعد حرب اكتوبر ، وبداية الردة على ثورة يوليو . اعطيت هذه الحملة الضوء الاخضر حتى تنطلق باقصى سرعتها ، واستخدمت فيها كل وسائل الاعلام .. من صحافة رسمية وتليفزيون واذاعــة وسينما وكتاب ، ثم دخل المعركة السادات بنفسه ، والقى بثقلــه فيها .. فى عدة اتجاهات فقد اعطى مواقع متميزة فى الاعـــلام للذين اضيروا من فترة عبد الناصر واعاد بعضهم من الخارج ، وعقد صلحا مع التيارات الاسلامية ، أحد بنوده السماح لهم بتشريح فترة عبد الناصر ، ثم وضع نصا فى الدستور بالا تسقط جرائم التعذيب

بالتقادم او بمضى فترة معينة مثل سائر الجرائم · وكان المقصود من هذا النص ان يكون احد المداخل لفتح ملفات حكم عبد الناصر من طريق افراد التيار الدينى وبعد ذلك قاد هو بنفسه المعـــركة نادلى بعشرات الاحاديث ، والخطب ، والمقالات عن ســـــــنوات الارهاب والهزائم ، والحراسات والمعتقلات والقمع ، والديكتاتورية واشتراكية الفقر ، وغيرها . وكانت كلمات السادات عناوين لمقالات ولكتب ، تبارى البعض فى وضع تفصيلات من عندهم ، تقربا ، أو زلفى ·· أو حتى عن شبه اقتناع ·

واصبح معيار الوصول الى مواقع المسئولية ، هو التفوق فى اظهار العداء لكل ما قام به عبد الناصر ·

وكانت المحصلة النهائية ان بقى القطاع العام ، نقطة وسط بركة راسمالية ·

وبقيت مجانية التعليم ، ونسبة العمال والفلاحين فى المجالس المنتخبة .. وبقى الاصلاح الزراعى .. وان كان الاقطاعيون ، قد عوضوا عن الارض التى تملكها الفلاحون .

وبقى السد العالى ، بعد ان ارتفعت اصوات داخل مجلس الشعب تطالب بهدمه ، وحتى عندما قيل بلســـــان الخبراء وفى دراساتهم ان السد العالى وحده هو الذى انقذ مصر مـــن الجفـــاف ومن المجاعة التى اصابت بعض دول حوض النيل ، صمتت الالسنة التى طالبت بهدم السد العالى . بعض الوقت .. ثم عادت تتحدث عن اخطار جديدة للسد العالى وما يصيبه من زلازل ، ومن نقص فى بعض انواع الاسماك .. واصبح السد العالى مسئولا عن انتشار البلهارسيا ، بل وايضا عن ازمة الغذاء والكهرباء .

فعندما نستورد غذاء ، فلان السد العالى ، لم يحقق اهدافه فى «استصلاح » الارض الصحراوية .

وعندما نطالب بترشيد الطاقة فلأن السد العالى لـــم يولـــد الكهرباء ·

ويتجاهل هؤلاء جميعا ، منع الجفاف وتوفير المياه ، وتحويل اراضى الصعيد للرى الدائم ، وامتداد أعمدة الكهرباء لتصـــل الى أربعة آلاف قرية وعشرين الف نجع وعشرات المصانع التى اقيمت على كهرباء السد .

حملة الاخوان المسلمين :

الاخوان المسلمون ، هم من أبرز خصوم جمال عبد الناصر **وهم يوجهون الى عبد الناصر هجوما شرسا وضاريا وغير موضوعى** من خلال ثلاثة ادعاءات أساسية :

الاولى : انه عصف بهم ، ودبر مؤامرات وهمية للتخلص منهم **وبعضهم يرى ان هذه المؤامرات الوهمية كانت نتيجة تعليمات تلقاها جمال عبد الناصر مـن المخابرات الامريكية والمخابرات السوفيتية والمخابرات الاسرائيلية معا ، وانه نفذها على الفور كما تقول زينب الغزالى .**

الثانية : اجراءات التعذيب الشاذة ، واللانسانية التى تعرض **لها بعض الاخوان والتى قامت بهـــا مخابرات جمال عبد الناصر بتعليمات شخصية منه على حد قولهم !**

الثالث : أن عبد الناصر ــ بادعائهم الاخير ــ كان معاديا للدين **الاسلامى ، واحيـــانا يقـــولون انه كان شيوعيا ، وانـــه اســـتولى على اموال النـــاس بالباطـــل .**

هذه هى الملامح الرئيســـية ، لحمـــلات الاخـــوان المستمرة ، والتى لا تهدأ على عبد الناصر وهم يكنونها اللحـــم المناســـب .

وهم لايرون فى عبد الناصر الا انه الطاغـــوت ، والديكتاتور وليس له اية حسنة ــ كما يقول عمر التلمسانى ــ الا أنه كان بعيدا **عن النساء . وعن تناول الخمور . . فقط لا غير .**

ولايتسع المجال لدراسة شاملة وواسعة عن هذه المحاور الثلاث التى تحتاج الى مناقشات طويلة وعميقة .

وفى القضية الاولى لا يقبل الاخوان بغير رأيهم ، فعندما يهاجم كمال الدين حسين — وهو قريب اليهم — عبد الناصر يصدقون له ، ويرددون كلماته ، وينشرون رأيه فى كتبهم على انها اقوال اقـــرب الناس الى عبد الناصر ، وانها شهادات ثقة ، وليست كلماتهم ، وعندما يقول كمال الدين حسين : انه اختلف مع عبد الناصر ، حول قضايا موضوعية ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يقرر ان الاخوان تآمروا فعلا على عبد الناصر ، وعلى الثورة ، وحاولوا اغتيـــال عبد الناصر وان مؤامرة ١٩٥٤ كانت حقيقية لا شبهة فيها ، فانهم لا يأخذون بهذه الشهادة ‥ فقط لانهم لا يريدون سماع الا رأيهم ،

وعندما يقول حسين الشافعى — القريب جدا من التيـــــار الاسلامى ، بل انه احد رموزه — ان الاخوان تآمروا ، ولقد بذلك محاولات شارك فيها بنفسه حتى يكون الاخوان المسلمون دعمـــا للثورة ، وليسوا أدوات للتآمر عليها ، ولكنهم رفضوا ، وكانت مؤامرتهم حقيقية وثابتة ، الامر الذى اطمأن اليه ضميره ، حتى انه كان عضوا فى المحاكمة التى حاكمتهم على التآمر ، وادانتهم ،

عندما يقول ذلك حسين الشافعى ، فانهم لا يسمعون رأيه ،

ولا يصغون لكلماته ، ولا يعيرونها اهتماما ،

وعندما نطالبهم فى تحدى بأن يتقدموا الى الجهات القضائية مطالبين بأعادة التحقيق فى قضايا تآمرهم — وقد تغيرت الظروف ربما لصالحهم — فأنهم يصمتون ‥ ويتجاهلون هذا المطلب الذى يحسم الامر كله ‥ ولانريد ان نستدعى وقائع التاريخ — القريب والبعيد — لنتحدث عن وقائع تمسهم — ويمكن ان تكون قرائن — بعيدة عن الوقائع المادية الملموسة — على تآمرهم ‥ واستخدامهم السلاح والعنف ‥

ولانريد أن نفتح ملف هذه القضية بما فيها ، من شهادات ، وشهود ، واسلحة وذخائر ، ورجال اتصلوا ، ورجال جندوا ودربوا ‥ وجهاز سرى اعد وسلح وخطط ، وخرائط سرية ، فتلك امـــور

قد يكون مكانها اية جهةقضائية يحتكمون اليها ، لو ارادوا ، فالشهود مازال معظمهم احياء .. والاوراق موجودة .. ومن وراء ذلك منطق يقول ببساطة ان الثورة كانت تحكم بواسطة مجلسها . وكانت فى عنفوانها ، وسيطرتها ، والغت الاحزاب السياسية كلها . فهل كانت تحتاج الى تدبير مؤامرة وهمية لتتخلص من الاخوان المسلمين التى لم تستطع ابدا قبل الثورة ان يكون لها نائب واحد فى البرلمان .. حتى لو كان هذا النائب هو رئيس الجماعة ، الرجل الذى يجمع الناس على نقائه وعلمه وفضله المرحوم الشيخ حسن البنا .

ولانريد بعد ذلك ان تخوض فى وقائع قضايا تآمر الاخوان .. واتصالهم بالانجليز ، ومحاولاتهم فرض وصاية على الثورة فىبدايتها فتلك دعاوى يمكن الرد عليها بالوقائع الثابته . ولكنهم لن يسمعوا .. لذلك فليس امامهم . لانصاف انفسهم سوى جهة قضائية تحقق الامر من جديد .. اذا كان الجيل الجديد منهم يبغى الحقيقة ، ولا يريد ان يقف بعقله جامدا عند مفاهيم يرددها البعض تصفية لجراح ، او لثأر شخصى ، نتيجة تعذيب وقع عليه ، او قرارات لست مصالحه ومصالح اقربائه المادية .

فالرصاص أطلقه محمود عبد اللطيف ، وهنداوى دوير الذى سلمه المسدس جاء من تلقاء نفسه واعترف ، وعلى نويتو اعطى المال سقط مغشيا عليه فى الشارع عندما سمع من الراديو أن عبد الناصر لم يقتل واحمد بدير قد اصيب ايضا ، والوقائع والاعترافات كثيرة وواضحة .. والوثائق موجودة والجهاز السرى المسلح حقيقة واقعة ..

ولن نتحدث عن مؤامرة ١٩٦٥ فبين سطور الكتب التى اصدرها الاخوان اخيرا سنجد اعترافات كاملة ـ غير مقصودة طبعا ـ حول التنظيم والاسلحة والمؤامرة ايضا ..

وتجىء النقطة الثانية .. وهى التعذيب الذى قامت به اجهزة

المخابرات على افراد الجماعة .

وبداية فلابد من تقرير حقيقتين :

الاولى : انه وقع على عدد كبير من الاخوان تعذيب .. ايا كان حجمه ، فلا مجال لانكار ذلك ·

الثانية : ان هذا التعذيب من الاخطاء التى لابد من الاعتراف بها وادانتها .. ايا كانت الدوافع التى ادت اليه ، والظروف التى تم فيها .

على انه قد فتح الباب واسعا ، لاعادة تحقيق جرائم التعذيب وتقدم الذين عذبوا ببلاغات الى النائب العام ، التى حققها ، وحولها الى القضاء ، وقد حكم فى كثير من هذه القضايا بادانه الذين مارسوا التعذيب ، كما حكم لهم بتعويضات عما اصابهم من اضرار .. ولقد ثبت للقضاء ، ان المخابرات العامة ، كانت بعيدة عن كل قضايا التعذيب .

لقد تقدم للنائب العام حوالى ثلاثمائة بلاغ عن « وقائع تعذيب » لم يكن من بينها سوى بلاغين اثنين فقط ضد صلاح نصر رئيس المخابرات العامه .

وحققت النيابة البلاغين ، وانتهت الى حفظ واحد منهما ، اما الثانى ، فقد حول للمحكمة ، وادين فيه صلاح نصر .

اى انه لم يثبت للجهات القضائية ، ان المخابرات العامة قامت بعمليات تعذيب سوى على شخص واحد ··

كما ان الذين عذبوا انفسهم ، لم يتهموا اساسا المخابرات بتعذيبهم ··

الذين ثبت للقضاء ان المخابرات قامت به ، هو تعذيب الصحفى مصطفى امين الذى كان قد القى القبض عليه متلبسا ، بتهمة التجسس لحساب المخابرات المركزية الامريكية ، وقدم للمحكمة بهذا الاتهام ·· وقد ادانته المحكمة ، بعد ان ثبت فى يقينها ان الاتهام صحيح ··

ولقد تبارى الاخـــوان فى وصف وقائع للتعـذيب ، يصعب تخيلها ، بل ان بعضهم كتب انه اثناء اتمام بعض المبانى فى عدد من المناطق وجدت جثث وعظام لضحايا التعذيب الذين كانوا يدفنون احياء ٠٠ ولم تبلغ حتى الان اية اسرة عن فقد احد افرادها بدفنه حيا ،رغم ان الجماجم كانت على حد قولهم بالمئات ٠٠ ومع ذلك فهم لم يذكروا اسما واحدا من هؤلاء المئات الذين دفنوا احياء ٠

وبعيـدا عن اية مبالغة ٠٠ فلا يهم حجم التعـذيب لادانته ، ولكن ما يهم هو ان يكون الاخوان المتمسكون بكتاب الله وسنته ٠ من الصادقين ، الذين لا يحيدون عن شهادة الحق ، فذلك ما نأمله ، ونرجوه منهم ٠٠ ولذلك فان علينا ان نصدق حجم التعذيب ونوعيته وان نرصده كخطأ جسيم ٠٠ او بقعة سوداء فى ثوب الثورة الابيض ولا يقلل من ذلك ، اعتراف شمس بدران بانه هو نفسه المسئول عن التعذيب ٠ وانه قام به من تلقاء نفســـه ، ولم يكلفه به احـــد ٠٠ وشمس بدران يقيم فى لنـــدن ، وقـــد ادين فى قضـــــايا التعذيب بالسجن لثبـــوت الاتهام بالتعـــذيب عليه فى اكثـــــر من قضية .

وكان شمس بدران فى السجن فى عهد عبد الناصر ، بعد ان حكم عليه فى قضية مؤامرة رجال المشير حتى جاء السادات وافرج عنـــــه ٠

وقد علق شمس بدران على هذه الاحكام قائلا انه يتحمـــل المســئولية الكاملة عن التعذيب ، وبرر التعذيب بانه يســـتهدف مصلحة عليا وهى أمن البلاد وانقاذها من الدمار والنسف ، لذلك كانت هذه الوسيلة للحصـــول من المتهمين على المعلومات ، « كان بوسعى ان ابرىء نفسى ، فاقول اننى كنت انفذ اوامر الكبار ، ولكنى فعلت ما فعلت عن قناعة ، ويقول شمس بدران « لقد كنا فى سباق مع الزمن ، اما ان نسبقهم ونعتقلهم او يسبقوننا وينســفون القاهرة ، ولا يمكن ان تكون فبركة الاسلحة التى ضبطناها والرسوم الكروكية التى رسمها مهندســـوهم موضحين فيها اماكن النسف ، هل كان

المطلوب السكوت لتقع الكارثة لاثباتها » .

ولقد وقف وزير داخلية السادات ليتحدث عن المعتقلات ايام عبد الناصر فقال انه منذ سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٧٠ كان عدد المعتقلين من السياسيين القدامى . والاخوان . والشيوعيين . وغيرهم ١٤ الفا ، ابتداء من الثورة حتى رحيل جمال عبد الناصر اعتقل ١٤ الف . . على مراحل مختلفة وطوال ثمانية عشر عاما .

وقال عبد الناصر « اننا لم نحاكم الاخوان افتراء . لانه كان يوجد جيش مسلح يستخدم للانقضاض على الشعب . لقد بدأوا بالعدوان عام ٥٤ فهل تركناهم فى السجون ؟ ، خرجوا من السجون ، واكثرهم افرج عنه قبل مدة العقوبة ، واكثرهم ممن كانوا فى وظائف وفصلوا . وضع لهم قانون خاصكى يعودوا الى وظائفهم .. لم نقل ابدا ان هذه فرصة ليبقوا فى السجن . انا لا اريد ان اتخلص من اى شىء فى هذا البلد ، اريد ان اجمع كل ابناء البلد . وقد خرج منهم بعد سنتين وثلاث واربع عدد كبير جدا من الذين هداهم الله » .

وقال لى شعراوى جمعة آخر وزير داخلية لجمال عبد الناصر انه بعد مؤامرة الاخوان الثانية عام ١٩٦٥ ، وضعت خطة للافراج عنهم عام ١٩٦٦ ، وزاد عدد المفرج عنهم بعد عام ١٩٦٧ وعندما ترك وزارة الداخلية يوم ١٣ مايو ١٩٧٠ كان فى المعتقلات ٤٥٠ شخصا منهم ١٥٠ معتقلين على ذمة المخابرات الحربية للشك فى اتصالهم باسرائيل . ولم يكونوا من السياسيين ـ وأنه ترك على مكتبه كشفا بأسماء الذين سيفرج عنهم وخطة الافراج . وقال لى حسن طلعت مدير المباحث العامة فى ذلك الوقت « هذا الكشف كان به ١٢٠ اسما تقرر الافراج عنهم .

عبد الناصر والاسلام :

بعد هذا الرصد السريع لحوادث التعذيب يبقى الاتهام الثالث الذى يصر فى الحاح على أن جمال عبد الناصر كان معاديا للدين الاسلامى ، وهو الحاح لايعتمد على وقائع مادية ملموسة .

ولكنها فقط طلقات فى الهواء ، اذا لم تصب ، فانها تحدث اثرهـا ، اعتمادا على ان النـاس لن يدققوا ، ويتأملوا هـذه المقـولة ولا غيرها » ٠

وهذا الاتهام — ربما وحده — هو الذى يدل على سوء القصد وعلى الافتراء ، من قوم المفروض أن يكونوا أبعد الناس عن ذلك ٠

فاذا افترضنا ان هناك اختلافات فى وجهات النظر حول قضايا التآمر ، وان هناك مبالغات فى قضايا التعذيب ، فانه لايمكن التماس العذر فى هذه القضية ، لان اى ضباب مهما كانت كثافتـه لايمكن ان يحجب الحقيقة فيها . حقيقة عدد المساجد الذى تضاعف فى عصره عشر مرات .. ولايمكن ان ينشىء محطة اذاعة الخاصة للقرآن الكريم التى أنشئت ٠٠ ومدينة البعوث الاسلامية التى وفد اليها الطلبة المسلمون من كل أنحاء العالم تتحمل الدولة كل أعبائهم ليدرسوا الدين الاسلامى .

والذى يعادى الاسلام ، لا يمكن ان يفتح معاهد دينية للفتيات لاول مرة ولا كليات ازهرية اسلامية للفتيات ٠٠

والذى يتخذ اى موقف من الاسلام ، لايمكن ان يجعل تدريس الدين الاسلامى فى المدارس اجباريا ، ويحول الدين لاول مرة فى فى مصر الى مادة للنجاح والرسوب .. والذى لايكون شديد الايمان بالاسلام ، ويدوره فى بناء الفرد والامة لايمكن ان ينشىء مجلسـا للشئون الاسلامية ليعمل على نشر الاسلام وينشر كتب التراث ، وييسر للمواطن العادى الكتاب الاسلامى بسعر لا يجاوز القروش الخمسة ويوفد وعاظه مبشرين بالاسلام مقاتلين من اجله فى افريقيا .

كان عبد الناصر غيورا على الاسلام بما اتخذه من اجراءات لدعم أركان الاسلام ، وتثبيت مفاهيمه الصحيحة .

ولسنا فى مجال رصد ، موقف عبد الناصر من الدين ، وما قدمه للاسلام فتلك قضية طويلة لعبد الناصر فيها راى ، وكلمات واضحة ومحددة ربما كانت تخفى على البعض لانهم لايطيقون سماعها ولكن

هذه الاعمال الملموسة التى عاشها الجميع لاتخفى عليهم احد ، ويكون نجاهلها عن عمد أمر لايليق بمن يؤمنون بالله ورسله واليوم الاخر .

ففى موضوع تطوير الازهر ، الذى هدف الى توسيع قاعدة الاستفادة منه بانشاء كليات جديدة علمية ونظرية مع الابقاء على كلياته القديمة العتيقة .

ويختلف البعض حول ما اذا كان هذا التطوير قد نهض بالازهر ام اجهز عليه . على ان العبرة هنا ليست بقانون التطوير الذى هدف الى تخريج الطبيب المسلم ، والعالم المسلم . والمهندس وضعه الازهريون انفسهم ، وعارضه ، وما زال يعارضه التقليديون منهم بينما يصر عليه الاجيال الجديدة من الازهريين ·

وهى قضية خلافية ، يمكن حسمها على ضوء التجربة خلال السنوات الطويلة الماضية ، لقد سمعنا نقدا لتطوير الازهر ·· ومدحا فيه · فالمقصود من الحملة اذن هو مجرد التشهير ·· والتطوير صدر بقانون من مجلس الامة أثناء حكم جمال عبد الناصر وكان المسئول عن الازهر فى ذلك الوقت كمال الدين حسين أقرب الرجال الى الاخوان المسلمين الذى لا يتنصل حتى الان من مسئوليته عن ذلك القانون ومع ذلك فهم لا يوجهون مدافعهم اليه ·· وانما يتجهون دائما الى عبد الناصر وحده وهذا أيضا دليل على سوء القصد ··

أما القضية الاخيرة : فهى الادعاء بأن عبد الناصر اخذ أموال الناس بالباطل · وعبد الناصر أمم أموال الاغنياء لحساب الفقراء وليس لجيبه الشخصى ··

وهى قضية مجال الاجتهاد فيها واسع ، وهناك خلاف بين علماء الاسلام عليها · فهناك من يفسر الاسلام لصالح علية القوم وسادة المجتمع ، وهناك من يفسره لصالح الفقراء والمعدمين ··· وكان علماء الاسلام الذين اجتمعوا فى مجمع البحوث الاسلامية الاول بالقاهرة قد أقروا « ان الاموال التى تمكنت منها الشبهة على

فان لم يفعلـــــوا صـــــادرها اوليـــــاء الامــــر ليجعلوها فى مواضيعها ، وان المال الطيب الـــــذى ادى ما يمكن مـــن صاحبه نظير قيمته يوم اخذه ، وان تقدير المصلحة وما تقتضيه هو من حق اولياء الامر » .

وقد يرى البعض ان هذا الاجماع من العلماء ليس ملزما ومن هنا تظل قضية المال فى الاسلام من المسائل الخلاقية ، ولكن الاختلاف وقد وقع منذ قرون لم يصل الى الاتهـــام بالخروج على الاسلام ٠

لذلك كله ٠٠ فان المسالة ليست هى المؤامرات ٠٠ او التعذيب .. او البعد من الاسلام ، فتلك مسائل يعرف زعماء الاخوان فى قرارة انفسهم الحقيقة فيها اكثر من غيرهم ٠ وانما المشـــكلة هى الجروح الشخصية ، وضرب طموحاتهم السياسية ، ولكنه دائما يتم الحـــديث عنها بطريقة مختلفة ٠٠ تزييفا للحقائق ، وابدالا للحق بالظلــــم ٠

وكان الاخوان ٠٠ هم الركيزة الاولى عند الذين يهاجمون جمال عبد الناصر ..

وهناك يقف فى الطابور اشخاص ٠٠ ومنظمـــات وهيئـــات اخرى كثيرة .

التطهير ... واجازة القانون ..

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٢ اصدر مجلس الثورة مرسوما بقانون بفصل الموظفين بغير الطريق التاديبى .. وكان الهدف التخلص من الموظفين الذين حامت الشبهات حولهم فيما يمس النزاهة ، والشرف، أو حسن السمعة . وفقا لما جاء فى القانون . وامتدادا لقرارات أصدرتها وزارة نجيب الهلالى .

وشكلت عدد من اللجان لدراسة اوضاع هؤلاء الموظفين بناء على التقارير التى تعدها الجهات المختصة . ولم تكن الثورة قد استقرت بعد . كما ان قادتها لم يكونوا يعرفون كل الموظفين .. لذلك فان اللجان فى كل المواقع بدات عملها . ووضعت رايها .

وقد فضل عدد من الموظفين تقديم استقالاتهم حفاظا على كرامتهم . واحساسا بما قد يصيبهم نتيجة اعمالهم الغير سوية ..

وبقى آخرون حتى خرجوا بناء على القرارات التى اعدتها اللجان ..

وكان من بين هؤلاء عدد يزيد على اربعمائة من ضباط القوات المسلحة .

بعضهم أحيل الى التقاعد وبعضهم الحق بالعمل فى الوزارات والمصالح الحكومية ابعادا لهم عن مواقعهم فى الجيش وقد عرفت هذه الحركة باسم « التطهير » الذى أخرج عددا من الموظفين من العمل بغير الطريق التأديبى .

وقد عرضت قرارات لجان التطهير على مجلس قيادة الثورة .

ولقد كان مرشحا للخروج فى التطهير توفيق الحكيم عندما طلب اسماعيل القبانى فصله بحجة انه غير منتج . واعترض جمال عبد الناصر ، على اخراج توفيق الحكيم الذى كان قد قرأ له ، واستلهم كثيرا من أفكاره .

اما بقية الموظفين الذين اخرجوا فى التطهير فمن البديهى ان

رجال الثورة جميعا لم يكونوا على بينة من أمرهم ، ولا يعرفون تصرفاتهم ·· فقد كان عمرهم فى تولى المسئولية لا يتجاوز شهورا معدودة ، وانه يتحمل مسئولية صـــواب أو خطأ هذه القرارات الوزراء المختصون أو اللجان التى قالت رأيها ووضعت التقارير منذ البـــداية .

وعندما يوجه نقد الى قرارات التطهير التى مضى عليها اكثر من ربع قرن ، والتى يحاول البعض نبشها الان · فانه لابد ان يوجه الى اللجان ·· ثم الى الوزراء ثم الى مجلس الثورة ، واعضـائه جميعــا .

هــذا بصرف النظر عن مــدى صحة هــذه القرارات ومــدى صدق التقارير ، ولا شـك انهـا فى اغلبها لـم تكن تأخــذ طابع الانتقام الشخصى حتى لو حدث ذلـك فان المسئول عنها ، هى اللجان بالدرجة الاولى ثم مجلس الثورة مجتمعا بالدرجة الثانية ·

وقد شـملت قرارات التطهير عددا من اساتذة الجامعة ، وكانت القرارات تعنى ابعادهم عن مواقعهم فى مجال التدريس وتوجيـــه الطلاب ، وتلقينهم العلم ··

وربما كانت لبعض هذه القرارات اسبابها السياسية ، فعدد منهم اتخذ موقف العداء من الثورة الوليدة لاسباب مختلفة . وكان من بين التقارير التى عرضت على مجلس الثورة ، وقائع عن أساتذة بكليات الجامعة يتاجرون فى اسئلة الامتحانات ، وآخرون يرتشون ، بل ان وزارة الداخلية تقدمت بطلب لفصل واحد لاسباب رآها بوليس الاداب ضرورية ، خاصة وانها تتعلق بصميم اسرته ·· وكانت زوجته الثانية ذات علاقات عربية يعرفها جيدا بل لعله كان شريكـــا فى استثمار هذه العلاقات العامة ، واستطاع فيما بعد أن يقيم مشروعا ثقافيا كان لوجته دور فى نشره . !

وأصبح من بقى من هولاء حتى الان هم الرصيد الثانى للحملة

على جمال عبد الناصر لانه الرمز الذى تجسـدت فيه الثورة التى اضيروا من قراراتها ..

ولما كانوا لا يستطيعون الافصاح عن جرحهم الشخصى ، فانهم ـ عادة ـ يحاولون ان يلبسوا هجومهم بثياب العلمية ، والموضوعية فيتحدثون مثلا عن الديمقراطية الضائعة ، وهم يستدرجون الناس الى مقارنات بين ديمقراطية ليبرالية تقوم على تعدد الاحزاب ، وديمقراطية اشتراكية فى ظل تنظيم سياسى واحد ، ويربط الحرية السياسية بالحرية الاجتماعية .

وكانت الثورة قد خاضت معارك طويلة عوقت مسيرتها نحو الديمقراطية على النحو المطلوب .. معارك خارجية ومعارك داخلية ، فهناك عدوانات متكررة من اسرائيل،هناك العدوان الثلاثى، الوحدة ، القوانين الاشتراكية ، عدوان ١٩٦٧ ... معارك اساسية لا يمضى عام الا ويحمل معركة ، الامر الذى دعى عبد الناصر انيقول فى آخر مؤتمر قبل رحيله انه امضى ثمانية عشر عاما داخل خندق يحارب منه القوى المتربصة فى الداخل والخارج ، التى لم تكف عن التآمر وشد البلاد الى معارك على غير ما تريد ..

هناك الى جانك ذلك قيادة تاريخية وطنية ... ذات شعبية طاغية .. ومع ذلك فقد كانت هناك ديمقراطية ..

ومع أن الديمقراطية كانت لها صورة مختلفة ، فانها لم تكن مثالية خالية من العيوب ، ولم تكن بالصورة الظالمة التى يطمس البعض معانيها ، ومن التضليل المقصود ان يتم الحديثعن ديمقراطية عصر عبد الناصر ، اذا أبعدت عن الاطار والمفاهيم التى كانت سائدة او التى كانت تحكم المجتمع فى ظل تنظيم سياسى واحد

فلو كان هناك حزب يحكم ، وعدد من الاحزاب يعارض ، لبدت الصورة مختلفة ، ولا نستطيع أن نحكم على حجم المعارضة وتوجهاتها ، وامكانياتها لان ذلك افتراض وهمى .

انما الذى يمكننا ان نتحدث عنه ، ردا على دعاويهم ان

الموضوعية ، تقتضى نقد التجربة فى اطار ما كان سائدا .. وما كان سائدا ان الاتحاد الاشتراكى كان التنظيم السياسى الوحيد ـ وهو لم يكن حزبا ـ وكانت له لجنة منتخبة أو معينة فى كل قرية . وفى كل مصنع وفى كل شارع وفى كل قسم وفى كل محافظة .

وكان هناك منتخبون فى مجالس ادارات جميع المصـــــانع والشركات والجمعيات التعاونية يشاركون بالرأى فى تقـــرير أمور مؤسساتهم ويحققون ديقراطية الادارة .

وكان هناك مجلس أمة منتخب ، نصفه من العمال والفلاحين ، أصحاب المصلحة الحقيقية فى البلاد ، كما انهم يمثلون الغالبية العظمى من الشعب وكانت هذه اضافة لتعميق الديمقراطية يتجاهلها الكثيرون .

ولجنة مركزية للتنظيم السياسى ، ثم لجنة عليــــا ، وقبلهما كانت هناك قيادة جماعية ويجمع الذين كانوا حول عبـــد الناصر ؛ واختلفوا معه ، او ظلوا أوفياء له ، انه كان يستمع الى كل الآراء ، ولا يبدى رأيه الا فى نهاية أية جلسة وانه كان يشجع على ابداء الرأى الاخر ويناقشه ويتفهمه .. وعبد الناصر لم يصـــدر قرارا الا بعد دراسات ومناقشات واسعة .

وكانت قاعدة الحكم عند عبد الناصر فى القرارات الكبرى او الصغرى ان تتم بعد مشاورات .. وكثيرا ما امتدت هذه المشاورات الى المتخصصين من غير المسئولين ..

ففى البداية كان هناك مجلس ثورة يتحمل المسئولية مـــع عبد الناصر .. ثم مجلس رئاسة ، الى جانب مجلس الامة .. وكان عبد الناصر يحضر اجتماعات مجلس الوزراء ويناقش ويستمع الى كل رأى ، وبعد النكسة لم يتأخر عبد الناصر عن اجتماع واحـــد لمجلس الوزراء ، او اللجنة المركزية ، او اللجنة العليا .

وكانت القرارات تصدر بعد مناقشة ومشاركة .. فقبل قرار تأميم قناة السويس ، اجريت دراسات وتمت مناقشات شارك فيها

بعض المتخصصين من غير المسئولين ·
وقبل صدور القرارات التى تعيد توزيع الثروة كانت هنـــــاك دراسات ومناقشات واسعة اختلفت فيها الآراء واتفقت ·
وقبل مساندة ثورة اليمن كانت هناك اجتمـــاعات مكثفـــة لمناقشة ارسال كتيبة واحدة ام لا وكان السادات المسئول السياسى عن اليمن هو الذى يقود هذه المناقشات - ويدفع فى اتجاه ارسال القوات لتساند شعب اليمن ·
وقبـل ان تغلق مضـايق تيران عقد عبد النـــاصر عددا من الاجتماعات السياسية والعسكرية ، كان آخرها اجتماع موســـع حضره جميع القادة وفيه تقرر اغلاق المضايق ·
وليست هناك قرارات تمت دون دراسة ومناقشة ، واستشارة الخبراء ، بل ان زملاء عبد الناصر اعضــــاء مجلس القيادة الذين اختلفوا معه قرروا فى مذكراتهم أنه كان دائم الاتصال بهم لاخـــذ رايهم بعد تركهم المسئولية ·
وكانت هنـــاك تنظيمات سياسية مختلفة للثورة ، اختلفت باختلاف المراحل من هيئة التحرير لتجميع قوى الثورة فى ظل الفراغ الذى نتج عن حل الاحزاب التى تم حلها ، الى الاتحاد القومى الذى واجه مرحلة التمصير والعدوان الثلاثى ، ثم جـاء الاتحـــاد الاشتراكى ·
وربما لـم تقم بعض هذه التنظيمات بواجباتها عـــلى الوجه الاكمل ، وكان ذلك من سلبيات تجربة عبد الناصر ولكنه كانت هناك محاولات جادة لبناء تنظيم ســـياسى قوى ، وقد أمكن للاتحـــاد الاشتراكى ان يتواجد فى كل موقع تواجدا ملموسا ، يشارك بالرأى أو بالعمل فى المواقع المختلفة بدرجات متفاوته ·
وكان هو التنظيم السياسى الوحيد فى تاريخ مصر الذى كانه له لجنة فى كل قرية وكل مصنع وكل موقع عمل ··
وينسى الذين يوجهون الاتهامات الى جمال عبد الناصر ويقولون

انه كان لا يطيــــق الراى الاخر كلماته « بأننـــا شــــعب ناقد ، فنحن ٣٢ مليون اذا أبعدنا منهم الاطفال فان كل منهم ينقد ، ولديه الحق · فعندما تكون سعر الفانلة ٦٠ قرشــا والشراب ٣٠ قرشا فلابد للمواطن ان ينقد وسوف يظل شعبنا ينقد لان المطالب الاجتماعية لم تتوفر له » .

ويوجه كلامه لاحد اعضاء اللجنة المركزية قائلا « زى ما انت عاوز تنتقد ندى الفرصة لاى واحد ينتقد ، هل معنى انه ينتقد انه مضاد للنظام ·· اطلاقا بالعكس يجب ان احنا نيجى اللجنة المركزية وننتقد » · ولعل درجة المشاركة فى صنع القرار ـ بعد كل ذلك ـ لم تكن بالقدر المطلوب ، ولكننا لا نغفل أمرين ·· زعامة عبد الناصر التاريخية الجارفة ، وانحيازه المطلق للجماهير وثقتها فيه · والمعارك الضارية التى خاضتها الثورة فى الداخل والخارج وكذلك المؤامرات المتعددة التى تعترض عليها من القوى المعادية والمتربصة ·

خطة الصـــناعة :

من أبرز أعمال عبد الناصر وضع خطة لتصنيع مصر ، ويروى لى الدكتور عزيز صدقى قصة تصنيع مصر ، وكيف انه تم بعد مناقشات ودراسات واسعة قائلا « ان جمال عبد الناصر استدعاه ذات يوم من سنة ١٩٥٦ وقال له انه يريد ان يتجه الى تصنيع مصر ·· وطلب الدكتور عزيز صدقى مهلة مدتها ستة شهور للدراسة حتى يستطيع خلالها ان يضع مشروع خطة الصناعة ومشروع قانــون التنظيــم الصناعى ·

وقد شكل الدكتور صدقى لجانا متعددة للدراسة ضمت جميع الكفاءات العلمية والاقتصادية والادارية والفنية ورجال القانون ، وأعدوا مشروع برنامج السنوات الخمس للصناعة ومشروع التنظيم الصناعى · وكانت الخطة طموحة جدا بمقاييس ذلك الوقت ·

وكان قانون التنظيم الصناعى يعنى تحولا كبيرا فى سياســـة

الدولة . اذ ينص لاول مرة على ان تتدخل الحكومة فى الصناعة ·
ويقول الدكتور عزيز صدقى ان عبد الناصر لم يوافق على مشروع القانون ، ولا على الخطة عندما عرضتا عليه ·
وطلب ان يطرح ما استقرت عليه اللجان لاوسع المناقشات اولا قبل اية موافقة عليهما · ووضعت الخطة ومشروع القانون امام جهات متعددة للدراسة والمناقشة وابداء الرأى ··
وعارض اتحاد الصناعات الممثل للرأسمالية الكبيرة فى ذلك الوقت ·· تدخل الدولة فى الصناعة فى مذكرة مكتوبة ·
وعارض رؤساء شركات الغزل ـ وهم من كبار الرأسماليين ايضا ـ ان تتضمن الخطة انشاء مصانع جديدة للغزل والنسيج بحجة ان الموجود منها يكفى احتياجات البلاد وزيادة ·· وكان لمنطق هؤلاء ما يبرره ·· هو النظرة الضيقة الى مصالحهم الخاصة ·· وبعد فترة طويلة من الدراسة والمناقشة وضعت الاراء امام جمال عبد الناصر ·· ولم يتخذ فيها قرارا ايضا فقد طلب من الدكتور عزيز صدقى ذات يوم ان يستعد ليشرح للوزراء خطة السنوات الخمس للصناعة بالتفصيل .
ويقول الدكتور عزيز صدقى انه فى اجتماع مجلس الوزراء لم يبدأ عبد الناصر ـ كعادته ـ ان يبدى رأيا مسبقا ·· فقد ترك الجميع يتكلمون ·· بعضهم أيد ·· وبعضهم عارض ·· وكانت مناقشات طويلة وحية وصاخبة ،، والدكتور عزيز صدقى يقنع ويشرح الخطة مشروعا مشروعا ومصنعا مصنعا طوال ٤ ساعات · كانت معظم المعارضة تتجه الى ان الخطة طموحة اكثر من اللازم وانها مجرد حلم بعيد التنفيذ ·· فكيف يمكن للدولة ان تدبر ٢٥٠ مليون جنيه هى قيمة تكلفة مشروعات السنوات الخمس للصناعة ·
وبعد هذا القدر الطويل والواسع من المناقشة خارج مجلس الوزراء وداخله تمت الموافقة على الخطة ، وطلب عبد الناصر من الدكتور عزيز صدقى ان يعقد مؤتمرا صحفيا بعد انتهاء جلسة

مجلس الوزراء ليعلن فيها لاول مرة خبرا جديدا هو ·· تصنيع مصر ·· وفق خطة متكاملة تشرف عليها الدولة ·

القانون فى اجازة :

ويقولون ان عبد الناصر اعطى القانون اجازة ·

وحجتهم فى ذلك ان احد المحافظين قال فى حديث تليفزيونى ان القانون فى اجازة ·

وان عبد الناصر اصدر قانونا باعادة تشكيل الهيئات القضائية، اغفلت عند اعادة التشكيل اسماء ١٨٩ منرجال القضاء .. فصلوامن السلك القضائى ·· وقالوا ان عبد الناصر خاض معركة ضد العدالة ·· ورغم انه قد شكلت لجان لهذه القضية برئاسة السادات ·· وانها هى التى اقترحت تطهير القضاء ، ورغم أن الذى وضع القانون هو الدكتور جمال العطيفى ، فان معركة القضاء لم تكن معركة ضـــد العـــدالة ·

فلم يكن السبب فى اخراج عدد من القضاة انهم رفضوا اصدار **احكام تلائم مزاج السلطة او ان يغيروا ضمائرهم ، وما استقر عليه رأيهم بناء على استقراء نصــــوص القانون ، ولم يكن تدخلا فى العدالة ·· ولا فى القضاء فقد كانت له اسبابه الاخرى ·**

وقد يكون فى آخر هذه الاسباب ان عددا من هؤلاء القضـــاة طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى · وانهم اصدروا احكــــاما جائرة ضد القانون بطرد الفلاحين من الارض لصالح كبار الملاك .

وكان عبد الناصر حساسا جدا قبل القضاء ، فقد شعر مثـــلا بحرج شديد ، حينما وصله خطاب من الملك سعود يرجوه أن يتدخل لكى تحصل ملكة سابقة على الطلاق من زوجها ...

وكانت قد سافرت الى السعودية ولجأت الى الملك سعوه وطلبت منه التدخل فى حل النزاع القضائى بينها وبين زوجها الذى كـــان مطروحا امام محكمة الاحوال الشخصية ··

ورغم الجهود القانونية الضخمة من محاميها الاستاذ محرم فهيم فقد حصل زوجها على حكم قضائى بأن تدخل بيت الطاعة ..
ولم تكن تريد ان تنفذ الحكم .. وتدخل الملك سعود بخطاب مكتوب الى عبد الناصر . وقال عبد الناصر « اننى اريد ان اجامل الرجل فى اى شىء يطلبه .. ولكننى لا استطيع ان اتدخل فى اعمال المحاكم » .. ولم يتدخل عبد الناصر على الاطلاق . لا فى هذه القضية ولا فى غيرها .

الشرعية الثورية :

ويرى الدكتور جمال العطيفى ــ العدالة الاشتراكية ــ ان الثورة لها « شرعيتها التى يمكن تسميتها الشرعية الثورية ، ومعنى هذا ان للثورة موازينها الخاصة بها . فمبدأ الشرعية الذى يمسى فى صورته العادية ان الدولة لا تستطيع ان تخرق احكام الدستور القائم او المبادىء الدستورية العامة السائدة بأن تصدر قوانين تتنافى معها ، هذا المبدأ بهذا التصور لايمكن ان يكون سائغا فى مرحلة الثورة ، والا كان معنى ذلك انه لم يكن فى مقدور دولة الثورة التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ان تخلع الملك أو ان تلغى دستور ١٩٢٣ ، او ان تحل الاحزاب او تحد من الملكيات الاقطاعية ، او ان تقوم بتأميم الشركات ، او ان تقوم بتصفية الاقطاع والرأسمالية ، فمن البديهى ان الثورة ذاتها هى تحطيم للقانون القائم وانها تستمد شرعيتها من تأييد الجماهير لها .

«وبانتقال السلطة الى قيادة الثورة ، تصبح هذه القيادة صاحبة الحق فى تقرير القوانين ، اى يصبح من حقها وقد تركزت فيها سلطة الدولة ان تتخذ الاجراءات التى تحقق اهدافها فى صورة قوانين تصدرها ، ويصبح احترام هذه القوانين والتزامها بكل دقة واجب كل فرد . بعد ان يغدو تعبيرا عن مصالح اصحاب المصالح الحقيقية الذين قامت الثورة من اجلهم وتكون مهام القانون فى هذه المرحلة

ان يعمل من اجل تحطيم مقاومة الطبقات المعادية التى كانت متحكمة فى مصير الشعب ·

وقد كانت للثورة الاجتماعية التى بدات بقوانين يوليـــــو الاشتراكية شرعيتها ، فكل التدابير والاجراءات التى اتخذتها دولة الثورة لم تكن مجرد تدابير مادية · بل كانت تدابير تتخذ شكل اعلان دستورى او قانون تلتزمه الدولة حتى تدعو الحاجـــــة الى تغيير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الى تعديلها وفق اهـــداف هـــذه الثورة ·

اذن فعبد الناصر رفع شعار الشرعية الثورية .. ولم يعـــط القانون اجازة بل انه هو الذى نادى بسيادة القانون ليكون القانون اعلى من مراتب الافراد · وهو الذى طالب بتقنين الثورة ·· وشكل لجانا لاعادة النظر فى كل القوانين المقيدة للحريات ، وكان مقررها ضياء الدين داود عضو مجلس الامة ولجان اخرى لاعادة صـــياغة القوانين لتتمشى مع متطلبات المتغيرات فى المجتمع ·

اما ما يتردد من ان القانون كان فى اجازة ، فقد قال لى سعد زايد الذى كان محافظا للقاهرة ان التليفزيون اجرى معه لقاء اثناء معركة استرداد خلو الرجل بالقاهرة ، وسالته المذيعة السيدة همت مصطفى عن القانون الذى يحرم عملية خلو الرجل . فقال ان هـــذا القانون فى اجازة ·

فالقانون كان ــ ومازال ــ ينص على أن خلو الرجل جريمة ، ولقد لاحظ سعد زايد ان مخالفة هذا القانون أصبحت قاعدة . وأن خلو الرجل المخالف للقانون يتم علنا بل ويعلن عنه فى الصحف ·· صراحة او تحت تحايلات مختلفة واضحة ·

وقرر المحافظ ان يتصدى لهذه الظاهرة ·· فادلى بحديث لجريدة الاهرام اعلن فيه عن استعداده لرد خلو الرجل الذى دفعه أى مواطن يسكن القاهرة لمالك العقار أو مستأجر حتى يحصل على مسكن .

وبدأ الناس يتوافدون عليه .. كل منهم يطلب من المحافظ ان

ينفذ ما وعد به من رد المبالغ التى دفعها .. مخالفة للقانون .

واخذ المحافظ يستدعى اصحاب العمارات ، ويطلب منهم ان يردوا ما حصلوا عليه بغير وجه حق من منطق او قانون .

واستجاب بعض الملاك ، وردوا ما دفعوه ، والبعض الاخـــر اضطر ان يرهبهم ويخفيهم ويستخدم سلطانه كمحافظ ، حتى يردوا ما استولوا عليه من السكان مستغلين ازمة المساكن ، وحاجة الناس الملحة الى المسكن وهو من اول الحقـــوق التى للمواطن فى حدود امكانياته المادية وبعيدا عن الاستغلال .

وصادفت سعد زايد نماذج غريبة .. واحس بسطوة راس المال وجبروته ..

الرجل الوقور يقسم بكل الايمان ، ويبكى .. مؤكدا انه لم يتقاض اى مبالغ من السكان ثم فى النيابة ــ بعد مساومات شديدة ــ يعترف بانه اخذ اموالا ويردها .

الابن يتنكر لابيه ، ويقول فى مواجهته انه ليس اباه لمجرد ان الوالد علم انه اخذ اموالا كخلو رجل من السكان ، ولم يسلمها له ، ولم يبلغه عنها .

استماتت أصحاب بعض المصانع الصـــــغيرة فى عـــدم رد المبالغ التى اخذوها ، فلما هددوا بان مصانعهم سوف تغلق ، واتخذ فعلا اجراءات ادارية لاغلاق هذه المصانع ــ وهذا من سلطة مجلس المحافظة ــ اعترفوا وردوا ما حصلوا عليه من اموال ..

كان الهدف أمامه واضحا .. وهو مصـــــلحة الجماهير العريضة . والوقوف الى جانبها والانحياز الكامل لمصـــالحها وهى قاعدة قانونية اساسية ــ ولم يستثن واحدا من الملاك الذين حصلوا على خلو رجل من رد ما حصل عليه .. حتى اخو المحافظ نفسه رد للسكان ما كان قد استولى عليه منهم كخلو رجل .

ويقول سعد زايد اننى لم اعط القانون اجازة ، ولكن القانون كان فى اجازة فعلا ، ولم اكن انا السبب فى ان القانون لم يطبق .. بل

ربما العكس .. فقد كنت متسببا فى تطبيقه . ذلك لان كل قوانين الايجارات ومنذ صدور القانون ١٢١ لسنة ١٩٤٧ وهى تؤثم اى زيادة عن الاجرة القانونية تحت اى اسم كانت ، ولكنه كان نصا شبه معطل او فى اجازة كما قيل بحق ، واعمال هذا النص هو فى حقيقته عودة له من الاجازة .

وامتدت معركة رد خلو الرجل من القاهرة الى الجيزة الى الاسكندرية التى تردد محافظها حمدى عاشور ، فى بداية الامر فى استرجاع خلو الرجل من الملاك ، وهاجم الاجراء على صفحات الصحف ، ولكنه بعد فترة قصيرة اضطر ان يستجيب لجماهير الاسكندرية ، وان يشارك فى الحملة التى انتشرت ، وامتدت الى كل المحافظات لرد المبالغ التى حصل عليها اصحاب العمارات من السكان .

ويقول سعد زايد ان عبد الناصر شجعه على القيام بهذا الاجراء وامتدحه له مرتين .. فقد كان راضيا عما تم ، وفى نهاية هذه المعركة عقد مؤتمرا صحفيا اعلن فيه عن المبالغ التى استردها السكان من الملاك عن طريق المحافظة مباشرة وكانت ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه ، كان الملاك قدحصلوا عليها من المستأجرين دون وجه حق مخالفين القانون الذى اعطى نفسه اجازة ، واقتطعها المواطنون من القواتهم ليضعوها فى جيوب الملاك .

ما حدث من سعد زايد هو اعمال للقانون ، وربما بوسيلة غير قانونية .. فلم يكن القانون فى اجازة القانون دائما هو تعبير عن مصالح الناس .. ومطالبهم .. كان القانون موجودا ولكنه طبق قسرا وجبرا بوسائل غير مشروعة فى بعض الاحيان ولكن الهدف لم يكن مصلحة شخصية ولا منفعة قلة ولكنه كان لصالح المجموع .

ماحدث ـ ربما كان خطأ فى التطبيق ـ وقسوة المطالبة برد المبالغ وخوفا من سلطان المحافظ وسلطته ـ ولكن ليس هناك مالك واحد رد مبالغ لم يحصل عليها تحت وطأة هذه الظروف . . فلم يسمع فى تلك

الايام ــ او بعدها ــ من قال انه ظلم ودفع للسكان أموالا لميكن قد تقاضاها منهم من قبل دون وجه حق ، كما ان وسيلةالتخويف لم تتخذ ضد الملاك الذين ردوا مباشرةما تقاضوه، او الذين حرصوا على كرامتهم واعترفوا بما للسكان لديهممن اموال‌يمكن ان يسكنوا بهاشهورا او سنوات مقبلة .. لقد اتخذت هذه الاجراءات ضـــد الذين خالفوا القانون ، واضروا على موقفهم فى المخالفة بالاحتفاظ بأموال حصلوا عليها بطريقة ليست قانونية .

يقول‌سعد زايد انه لاحظ ان معظم‌الذين ردوا خلو الرجل‌للسكان .. كانوا من الجزارين . وكان هذا مؤشرا على مكاسبهم الضخمة **التى مكنتهم من أن يكونوا ملاكا لعقارات فقرر ان يتدخل فى تسعير اللحوم** . ويضع تسعيرة والزام الجزارين بتنفيذها رغم معارضتهم **الشديدة فى اجتماعهم ·· وطبقت التسعيرة وفى الاسبوع الاول اغلق ١٢ محلا للجزارة لمخالفته التسعيرة ، بعد ذلك كـــــان هناك احترام للتسعيرة ··**

هذه هى الحقيقة فى قصة اعطاء القانون اجازة التى امتدت ــ من **واقعة محدودة ــ لتغطى طوال فترة حكم عبد الناصر ، وفى جميـــع المحالات ··**

هل عندما يطبق القـــانون خطأ · وعندما ينتهك علنا ولا يطبق يكون الصواب · يحتمل انه كان هناك خطأ فى وسيلة التنفيذ ، وربما حدثت بعض التجاوزات والاهانات ، وكان هناك مئات دفعوا أموالا للملاك دون وجه حق · اغتصابا من أجل الحصـــول على مسكن · ولكن رأس المال يملك دائما الصوت العالى ، واداة التعبير القوية · وهو لا ينسى ملايين الجنيهات التى استردها السكان منه ·· لذلك ارتفع يندد بكلمة المحافظ حول اجازة القـــانون ، ولكن الطرف الاخر الذى استرد أمواله ·· ضعيف ·· لم يعبر عن نفسه ·· واثر السكوت ·· بل لعله نسى ·

لقد استرد السكان ثلاثة ملايين نقدا من الملاك فى القـــاهرة وحدها .

ولايدخل ضمن هذه الملايين ما دفعه الملاك للسكان مباشرة عن طريق التصالح الشخى بعيدا عن المحافظة وهو فى بعض التقديرات يفوق ذلك بكثير .

هذه الاموال التى اجهد المواطنون انفسهم فى توفيرها من دخولهم المحدوده ليحصلوا على مسكن .. لم تكن ايجارا للسكن .. ولكنها دخلت جيوب الملاك مخالفة للقانون . وكانت السبب فى ان يقال انه اعطى القانون اجازة .

وفى صحف تلك الايام اشادة بجهود المحافظ الذى قيل انه اعطى القانون اجازة . الراى الوحيد الذى ارتفع ضد هذه المعركة واعتبرها مخالفة كان راى الدكتور جمال العطيفى فى جريدة الاهرام فى مقاله التالى . أما مقاله الاول فكان تأييدا للمحافظ .

وفى صحف تلك الايام ايضا تصريحات لوزير الصناعة عن ظاهرة تدفق شراء السلع المعمرة « الثلاجات والغسالات والتليفزيونات » نتيجة لاسترداد عدد من المواطنين اموالهم التى دفعوها للملاك .

هل كان ذلك مخالفة للقانون .. واعطاء اجازة للقانون .. ربما ، ولكن المحافظ يقول انه لم يعط القانون اجازة بل لعله طبقه .

لقد كان كل ما حرص عليه محافظ القاهرة فى ذلك الوقت ان يسترد كل مواطن ما دفعه دون ان ينحرف أى موظف فى المحافظة ، فيستغل رغبة السكان فى استرداد أموالهم .. أو يصل اليه نفوذ الملاك فينحاز اليهم .

قضـــــية المعتقلات :

ولا تكفى هذه الوقائع لتوضيح الحقائق حول قضية الديمقراطية فمازالت هذه القضية تحتاج الى مزيد من الايضاح .. وخاصة فيما يتعلق بالمعتقلات التى قيل انها فتحت ابوابها لاستقبال كل شباب مصر ورجالها طوال سنوات عبد الناصر وانها اغلقت بعد ذلك الى غير رجعة .. فماذا عن المعتقلات ..

الديمقراطيـــة المفترى عليهـــا

... ولا ينقطع الكلام عن قضية الديمقراطية ، والحريات ، والمعتقلات ابدا .. ويذهب البعض الى ان الذى كان يقول نكتة يلقى القبض عليه .. واذكر اننى سألت صلاح نصر عن ذلك . فتحدانى ان اعلن فى كل الصحف ليتقدم شخص واحد اعتقل بسبب نكتـــــه .

بل ان النكات كانت تجمع . كمؤشرات فى دراسة الرأى العالم ، وتوضع امام جمال عبد الناصر ، كثيرا ما كان يقرأهــــــا للوزراء فى اجتماعاتهم ، على اساس انها نبض الشارع المصرى .

ولقد راجت فى مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ عشـــــرات النكات . ووقف جمال عبد الناصر فى خطاب علنى ليصف هذه الحملة مـــن النكت بأنها حملة لنقد النفس ، ويطلب من المواطنين فى رجاء ان يكفوا عن هذه الحملة .

وقال لى صلاح نصر فى حديث مسجل ان اعداء الوطـــن فى الداخل والخارج استطاعوا ان يبثوا كثيرا من الشـــــــائعات وحاولوا غرسها فى اذهان الناس على انها حقيقة .. وانتهـــزوا فرصة الغموض الذى يكتنف بأعمال الامن بصفة عامة ، وعـــدم معرفة الشعب بطبيعة الاجهزة واختصاصاتها ، فقالوا مثـــلا ان المخابرات كانت تضع اجهزة تسجيل فى مكاتب الموظفين ، وهو ماكان يردده راديو اسرائيل ، ولو كانت المخابرات تقوم بذلـــك لاحتاجت الى افراد يكونون جيشا كبيرا ، ولاحتاجت الى معدات لاتكفى عشرات اضعاف ميزانية المخابرات لتغطيتها ، بل لو جندت كل مصرى ليقوم بهذه العملية ما استطاع .. ان تجهيز غرفـــة واحدة للتصنت على من فيها . ولتكن مساحتها ٤ متر فى ٤ متـــر يحتاج الى معدات وافراد يتكلفون الافا من الجنيهات ، فهل يوجه مثل هذا العمل الى المواطنين أم الى عشرات قضايا التجسس التى اكتشفتها المخابرات فى عهـــدى ، والتى بلغ عدد العملاء فى

احدها الى ثلاثين عميلا مثل قضية اليونانيين الذين كانوا يتجسسون لحساب اسرائيل .

اما مراقبة التليفونات ، فكانت تتم بعد دراسة لنشاط التآمر والتجسس ، واذا وضع تليفون شخص تحت المراقبة فيدرج فى دفتر خاص ، وتسجل الساعة التى وضع فيها والساعة التى يرفع فيها، وكل الاشرطة التى لا علاقة لها بالقضية تمسح فورا .

وليس هناك مواطن استخدمت هذه الوسيلة ضده لسلوك شخصى او عام بعيدا عن تآمر اوتخابر .

وجميع الاجهزة تستخدم هذا الاسلوب فى مصر والعالم ... حتى بوليس الاداب .. حتى رجال مكافحة التهريب .

ولم تكن العملية ابدا مراقبة التليفونات ،ولكنها كانت مراقبة لكل نشاط العميل ، وكانت توضع الخطط المتكاملة لذلك بواسطة افراد متخصصين من رجال مكافحة التجسس .

وبعد ذلك هل يمكن ان تدلنى على شخص القى القبض عليه لانه قال نكته .. او لانه تحدث فى التليفون بمالا يرضى النظام .. او حتى نتيجة ذلك .. عمليات المراقبة كانت تتم وفقا لاعتبارات الامن وتقدم نتيجتها الى المحكمة اذا ثبت التجسس ، اما فيماعداذلك فهى اشاعات يروجها العدو الاسرائيلى ، والتقطها البعض فى الداخل وظلوا يرددونها ، لانها جاءت على هواهم ، وترضى مافى نفوسهم ».

ومع كل ذلك ، فقد أعلن عبد الناصر بنفسه سقوط دولة المخابرات ، وحاكم رجالها على تجاوزاتهم .

الافراج عن المعتقلين :

على ان القضية الاساسية هى المعتقلات .

ولقد بلغت قمة الاعتقالات عام ١٩٥٤ عقب مؤامرة الاخوان المسلمين ، ولقد راينا ان عدد الذين كانوا فى المعتقلات يوم وفاة عبد الناصر ٤٥٠ مواطنا منهم ١٥٠ طلبت المخابرات الحربية اعتقالهم لشبهة اتصالهم باسرائيل .

وفى ٣٠ مايو ١٩٥٦ وقبل تأميم القناة ، وماتبعه من عدوان ثلاثى ذهب المرحوم كامل الشناوى رئيس تحرير جريدة الجمهورية ليجرى حوارا مع جمال عبد الناصر ، وقال له لقد قررتم رفـــع الرقابة عن الصحف نهائيا وبصورة كاملة فهل سيتبع ذلك اتخاذ قرار بتخفيض قيود الاحكام العرفية التى فرضت على البـــلاد اثناء فترة الانتقال ؟

فقال له عبد الناصر : ان الاحكام العرفية اســتمرار لقرار آخر برلمان فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ مع فرق انها كانت تســتعمل ضد الوطنيين ، اما بعد الثورة فقد استخدمت ضـــد اعداء الوطن ، وساعلن وجهة النظر فى هذا الخصوص فى نهاية الاسبوع .

وقال له كامل الشناوى : والمعتقلون .. ؟

فقال : لقد قررنا الافراج عنهم .

كامل الشناوى : جميعا .. ؟

عبد الناصر : جميعا ، وبلا اســتثناء .. ولكن هل تعرف عدد المعتقلين ؟

كامل الشـــناوى : ليس عندى معلومات اكيدة عن عددهم ، وكل ما اعلم ان كثيرين ممن اعتقلوا او صـــــدر عليهم احكام قضـــائية ، ونشرت قوائم باسمائهم قد تم الافراج عنهم فى صمت ، ولست اعرف ما هى الحكمة فى كتمان هذه الانباء .

جمال عبد الناصر : ســـاذيع خلال ايام قليلة بيانا عن من اعتقلناهم ، ومن افرجنا عنهم ، وسيفاجأ الرأى العام حين يعلم ان حملات التضـــليل قد ضـربت الرقم الحقيقى للمعتقلين فى عشرة او عشرين ، وسيعلم الرأى العام ايضا اننا لم نؤذ معتقلا فى رزقه ، ولم نهمل شـــأنه ، أو شـأن احد ممن يعولهم ، وان الاعتقال كان اجراء تحفظيا لســلامة الدولة وحماية مصـــلحتها العليا ، وان الاعتقال بالنســـبة الى كثير من المعتقلين لم يكن عقوبة ، بل كان علاجا ووقاية .

كامل الشناوى : هل استطيع ان اعرف عددهم ٠٠ ؟
جمال عبد الناصر : ان عدد المعتقلين الان ٥٧١ سيفرج عنهم جميعا قبل ٢٢ يونيو ٠

كامل الشناوى : ان المشتغلين بالصحافة تصل اليهم رسائل من المعتقلين تتضمن شكوى او طلبات وقد تلقيت اخيرا كلمة من احد المعتقلين قال فيها انه حارب الثورة اعتقادا منه بانها عقدت اتفاق تنظيم الجلاء لتنضم الى المعسكر الغربى ، وتجر البلاد الى الدمار ولكن الايام اثبتت ان قائد ثورة مصر هو الذى قاد الثورة على الأحلاف العسكرية فى منطقة الشرق الاوسط وانه حرر بلاده حقيقة لا قولا من الفساد ، والاقطاع ، والملكية والموت ، أى من الاحلاف العسكرية ، ويقول هذا المعتقل اننى لا ابغى بهذا الكلام ان التمس طريقا للافراج عنى ولكنى اردت ان أعبر عن شعورى ٠٠ اقرا هذا الخطاب ، ومزقه ولا تبح لاحد بأسمى ..

ولقد تلقيت خطابا من زميل محكوم عليه فى احدى القضايا بثمانى سنوات ، ومن هذا الكتاب يحلل الزميل سياسة مصر التى وضعها الرئيس جمال عبد الناصر ، وكيف انها اصبحت عاملا جوهريا ، فى اقرار السلام العالمى ، ويقول بالحرف الواحد :
ان التهاون فى تأييد جمال عبد الناصر فى مواقفه التاريخية الباهرة جريمة وطنية ٠

وقال جمال عبد الناصر : ان هؤلاء المعتقلين كانوا ضحية التغرير ، وحملات الافتراء التى شنها علينا خصوم البلاد ، وأعوان الاستعمار الذين فقدوا آمالهم بقيام الثورة فارادوا ان يستردوا هذه الآمال ، ولو كان فيها قضاء على آمال الامة ، واستغلوا عواطف الشباب ، وحماستهم فى تشويه اعمالنا ، والقاء ظلال الشك والريبة على تصرفاتنا ، وعلى الاندفاع فى مؤامرات لو نجحت لدمرت البلاد وردتها على اعقابها مئات السنين الى الوراء ، ولقد اثبتت الحوادث اننا كنا صادقين ، واننا نصنع لبلادنا شيئا ٠

وقال كامل الشناوى : بل صنعتم مجدا ·

فقاطعه جمال عبد الناصر قائلا : ان ما عرفته الثورة من اعمال يحتمل الا يبقى ما لم يكن هناك مجتمع سليم يحمى هذه الاعمال ، ويحرص عليها ويدافع عنها ، ولا يقف منها موقف المتفرج ، بل يشارك فيها ، ويضيف اليها ، وهو ما نحاول اليوم ان نضع خطوطه الرئيسية ·

المعتقلون ·· ولماذا ؟

بعدها بيومين كان جمال عبد الناصر يفى بوعده ، ويعلن عن عدد المعتقلين ، وقصة اعتقالهم كاملة فى المؤتمر ، فقال : ان اكبر عدد للمعتقلين طوال هذه الايام بلغ فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥٥ عدد ٩٤٢ ، بعد اكتشاف القنابل ، ومخازن الاسلحة والمنظمات السرية ، وكلكم تعلمون الفترة التى مررنا بها ·

« وقبل هذا الوقت ، وهذه الحوادث كان اكبر عدد للمعتقلين فى اكتوبر ١٩٥٤ وكان عددهم فى عامى ٥٢ ، ٥٣ حوالى ٢٣٧ شخصا فقط ، ولما قامت الحوادث المؤسفة باسم الدين قام بعض الناس ممن خدعوا ، وغرر بهم ، ودفعوا دفعا لمقاومة هذه الثورة ، ورغم هذا كله فان عدد المعتقلين وصل الى ٢٩٤٣ ·

« وفى سنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، لم تكن البلد تحكم احكاما استثنائية ، وصل عدد المعتقلين الى خمسة آلاف شخص ، وانتم تعلمون ان هذه الارقام مع فارق واحد ·هو ان المعتقلين فى الماضى كانوا الذين يعملون من اجل الوطن والحرية ، وتحقيق الامال ، والمعتقلين الذين اعتقلوا فى الثورة كانوا وبالاعلى الشعب وآماله ، واهدافه ، وكانوا يمثلون خطرا على مستقبل هذا الوطن وكيانه الذى كان يسعى الى التحرر من الاستعمار واعوانه » .

اسباب الاعتقال :

وشرح عبد الناصر الاسباب التى دفعت للاعتقال ، فان علينا ان نفكر فى الاسباب والدوافع قبل الحكم على قرار ما حتى نستطيع ان

نحكم عليه حكما سليما ، وقال عبد الناصر في شرحه لهذه الاسباب :
« انه في السنوات الماضية اقيمت محاكم عسكرية · وحكمت على الاشخاص الذين كانوا يقاومون هذه الثورة ، والذين كنا نعتبر اى نجاح لهم يعد انتكاسا لهذه الثورة · وان اى نجـــاح قـــد يثبت الاستعمار واعوانه ، المحاكم العســـــكرية حكمت على ٢٥٤ فردا بأحكام متفاوته ، وعلى ما اعتقد احكاما لا يتجـــاوز اقصـــاها ثماني سنوات ·

« كما اقيمت محاكم الشعب التى حاكمت الجهـــاز السرى والتنظيمات المسلحة التى كانت موجودة فى مصر والفصائل التى كانت موجودة فى شبرا ، وفى مصر القديمة ، وفى امبابة ، وفى كل مكان التنظيم المسلح ، والتنظيم العسكرى ، ولم يكن المقصود بذلك جمال عبد الناصر ، ابدا ، كان المقصود به انتم ، كان المقصود به حريتكم ، وهذه المحاكم التى حاكمت الجهاز السرى الذى كنا نعتبر وجوده خطرا على الشعب ، وكنا نقول دائما ، كما قلنا فى الدستور اننا أمة قمنا ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة المستبدة فى الداخل ، لايمكن ان نعيش فى بلد تشعر فيه بالحرية ، والامن والطمأنينة ، اذا كانت البنادق موجهة الى صدورنا ·· والارهاب مسلط على قلوبنا وعقولنا ·

« وبعد ان انتهت معركة الجهاز السرى ، ولم تكن خســائر هذه المعركة كبيرة ، حكمت محاكم الشعب على ٨٦٧ عضوا فى الجهاز السرى البالغ عددهم حوالى اربعة الاف او خمسة الاف موجودين فى شعب ، وفى خلايا مسلحة · يمثلون فصائل وجماعات ، ومناطق جيش حر فى داخل البلاد · فى المحاكم العسكرية حكم على ٢٥٤ وفى محاكم الشعب حكم على ٨٦٧ · ولو قارنا هذه الثورة بثورات العالم اجمع ، نجد انه ما من ثورة قامت فى العالم واستطاعت ان تثبت اقدامها · وتقاوم الرجعية والانتهازية ، والسيطرة ، والتحكم ·· الا ببحر من الدماء ·

« محكمة الثورة كانت درسا سمعتم ما كان فيها، وعرفتم ماذا كان يجرى فى الماضى وراء الستار ، وعرفتم كيف كانت تحكم مصر ، ومن اين كانت تحكم ٠٠ كان يحكمها الخدم والشماشرجية ٠

« هذا هو الدرس الذى اخذناه من محكمة الثورة ، اما من حكم عليهم من محكمة الثورة فقد افرج عنهم جميعا تقريبا ، ولم يكن الغرض انتقاما ، ولم يكن الغرض حقدا ، ولم يكن هناك اى عامل شخصى » ٠

مفهوم الحرية فى العالم :

وفى نفس الخطاب ، وفى سنة ١٩٥٦ ، وفى حملة عبد الناصر للتعبئة للاستفتاء على اول دستور بعد الثورة ، وعلى رئاسة الجمهورية لاول مرة بعد انتهاء الفترة الانتقالية شرح عبد الناصر مفهوم الحرية السياسية كما يراه – وكان ذلك قبل الميثاق – فقال انـنا : ظللنا سنين لم تكن فى مصر حرية سياسية ولا ديمقراطية ٠٠ وكانت تتمتع بها طبقة معينة ، ان كل ما وصلنا اليه اليوم وكل هدفنا من نظام الحكم الجديد هو ان يمنع استغلال الرجعية ، واستغلال الانتهازية لهذه الحرية السياسية حتى لا تستخدم ضدنا وضد مصالحنا ٠

« الحرية السياسية لا يمكن ان نبيحها ونمكن منها اعوان اذن الحرية السياسية ٠٠ كل بلد تطبقها بما يلائم مصلحتها ، وبما يلائم ظروفها ، وبما يلائم الطبيعة ٠

« الحرية السياسية اذا قيدت فيجب أن تقيد لصالح المجتمع ٠٠ لا توجد ابدا حرية سياسية كاملة ٠

اجراءات متعددة :

ورأى عبد الناصر ومصر على أبواب مرحلة جديدة من مراحل التطور الثورى ، وحتى تكون هناك مشاركة من غالبية جماهير الشعب فى ممارسة حقهم الديمقراطى أن هناك عددا من الاجراءات

لابد من اتخاذها ضمانا لتكون الانتخابات نزيهة ، ومحايدة .

ـ الفرصة مفتوحة لجميع المواطنين يرشحوا انفسهم ، والدوائر مفتوحة ، وحتى لا يقول احد اننا سوف نتدخل فاننا سنحذف من قائمة المرشحين ـ او نعترض على الرجعيين ، والانتهازيين واعوان الاستعمار وبعد ذلك فكل واحد فى هذا البلد يمكنه ترشيح نفسه ·

ـ كان التصويت اختياريا ، واصبح اجباريا ، ويجب على كل واحد ان يتوجه للادلاء بصوته ، وان ينتخب من يمثله لانه سيؤثر فى مستقبله وتاريخه ·

ـ فى الماضى كانت هناك مبالغ تدفع ، وكلنا نعرف هذا ، واليوم اصبح سن الناخب ١٨ عاما ، ومن يريد ان يدفع نقودا فسيجد امامه عددا كبيرا من الناخبين فلا يستطيع ان يدفع لهم ، فضلا عن ان ذلك سيزيد من قاعدة المشاركة ، باتاحة الفرصـــة لاوســع الجماهير لممارسة حقها السـيـاسى فى اختيار من تراه جديرا بتمثيلها .

ـ اصبح الانتخاب سريا · فقد كان فى الماضى يمثل كل مرشح فى لجنة الانتخابات وكيل ينوب عنه ، ويجلس فى انتظار ما سيقوله الناخب ، فاذا لم يذكر اسمه كان حسابه عسيرا يؤثر فى رزقه ·· لان الانتخابات كانت تجرى شفويا ـ نظرا لنسبة الامية الكبيرة ـ كان المواطن يدخل اللجنة الانتخابية ليدلى بصوته لشـخص ، لا يطيق رؤيته ولكنه كان يفعل ذلك لتامين رزقه · واليوم اصبح كل شخص حرا لانه سيكون سريا ، وكل مرشح سيكون له لون ، ومن يعرف القراءةيقرا الاسم ، ومن لايعرفها سيرى الالوان ويختار من بينها اللون الخاص بالمرشح الذى يرضى نفسه ويرضى ضميره فى حجرة خاصة بعيدا عن اعضاء اللجنة ·

ـ منحت المراة حق الانتخابات لتمارس حقها لاول مرة · حتى لا يكون نصف الامة مشلولا ، عاجزا عن التعبير ، والمشـــاركة فى صنع مستقبل الامة ·

وكانت هذه خطوات ـ الى جانب نشر التعليم واجهزة الاعلام

وتوسيع قاعدة الثقافة ــ نحو الديمقراطية ، فى وقت مبكر قبـــل القوانين الاشتراكية ، وقبل الميثاق ..

ثم اتخذت خطوات اخرى لتعميق الديمقراطية المفترى عليها ، والتى يتمسحون بها منها الغاء البدل وعضوية مجالس للعاملين وغيرها النقدى الذى يدفعه المرشح ، ثم نسبة الـ ٥٠ ٪ للعمـــل والعاملين ·

ولا تصبح القضية هنا هى الدفاع الموضوعى عن الديمقراطية ، ونقد سلبيات التجربة بل الرغبة **فى تشويه كل شىء ، وتدمير كـل ما تم ، والبعد عن الحقيقة فى تناول كل ما يخص جمال عبد الناصر،** كل القرارات الجائرة به تلصق وحده ، حتى لو صدرت فى ظل قيادة جماعية ، أو فى ظل سنوات الثورة الاولى ، وقبل ان يكون جمـال عبد الناصر مسئولا ·· فاذا فرغنا من قضية الديمقراطية التى لابد من دراستها بهـدوء بسلبياتها وايجابياتهـا **لا** تكـون هذه هى النهاية ··

اذ ان **الحملة على جمال عبد الناصر تستمر ·· وتتخذ مسارات اخرى ··**

الانغلاق·· والتأميم ·· والعراسات··

عثمان أحمد عثمان نجم السياسة ، والاقتصاد ، والمقـــاولات طوال السبعينات ، هو قبل ذلك كله واحد من أبطـــال مـــا سمى بالانفتاح الاقتصادى فى مصر ·

وقد جاءت تسمية سياسة الانفتاح الاقتصادى ، فى مقابل ما سمى بسياسة الانغلاق طوال فترة عبد الناصر ·

وكان عثمان أحمد عثمان بكل هذه الصفات واحدا من الذين قادوا الحملة على جمال عبد الناصر ، التى بدأت همسا فى منزل السادات بالجيزه عقب سبتمبر ١٩٧٠ ؛ ولم تظهر للناس الا فى · **منتصف السبعينات ·**

وله أسفر عثمان عن موقفه من جمال عبد الناصر فى كتاب من ألف صفحة ملأه بالتجريح فى جمال عبد الناصر ، وعصره ، **وحتى ذمته لم يرحمها ·**

وكان كتاب عثمان مستفزا لكل الناس، فإن يطعن عثمان أحمد **عثمان بالذات فى ذمة اى انسان فهو امر غير مقبول ، وأن يكون هذا الانسان الذى يطعنه عثمان هو جمال عبد الناصر فان الامر يصبح نكته واضحوكة وازاء غضبة الجماهير ، ذهب عثمان احمد عثمان الى مجلس الشعب متراجعا نادما ، قائلا انه لم يكن يقصد** جمال عبد الناصر ، ووفقا لما جاء فى مضبطة مجلس الشعب فقد قال **بالنص « انه شخصيا مدين للرئيس جمـــال عبد الناصر فى أمور** كثيرة » فقد أعطاه ــ حق السفر للخارج دون الحصول على قـــرار **جمهورى كما سمح له باستمرار نشاطه فى قطاع المقاولات فى الدول العربية ولم يتوقف هذا النشاط الا عندما ارادت مراكز القوى ان تجنده لحسابها · كما اختص الرئيس عبد الناصر شركة « المقاولون العرب » بأن يكون لها نظام متميز فى الادارة ولا يتدخل فى شئونها** احد ، الامر الذى ساعد على نجاح هــذه المؤسســة الضـــخمة ··

شرفه الرئيس عبد الناصر بان اسند الى شركة « المقاولون العرب » بناء السد العالى ووقف بجانبه ضـــــد الخبراء الســــوفيت ٠٠ كما وضح ان ولاءه لثورة ١٩٥٢ لم يكن بالخطب او الشعارات وانما بالاعمال ، وقال انه عرض التنازل عن ٥٠ ٪ من ملكية شركته للدولة قبل التأميم ، وأسهم فى تطهير قناة السويس بعـــد عـدوان ١٩٥٦ واستمر فى خدمة قطاع التعمير والبناء بعد تأميم شركته سنة ١٩٦١٠ كما قرر امام اللجنة ان الرئيس عبـد النـاصر له انجـازات ضـخمة لا ينكرها الا الجاحدون وانه غير مسئول عن الذين يفسرون كتابه بانه طعن فى ذمة عبد الناصر » .

انغلاق عصر عبد الناصر :

ظلت حملة الانفتاحيين مستمرة حتى اليوم ٠٠ رغم انهم اغرقوا البلاد فى الديون ، بعمليات النهب المنظم ، والطفيلى ، واعادوا الى المجتمع عصر اصحاب الملايين ، بل وأصحاب البلايين ايضا ، حتى بلغت ديون مصر اكثر من ٤٠ مليارا من الدولارات للولايات المتحدة الامريكية ، ودول الغرب ٠

وكان الانفتاح الاقتصادى ، هو بداية الردة على سياسة التنمية الاقتصادية المخططة ، وهى السياسة التى حققت أول خطة للتنمية فى مصر اشادت الامم المتحدة بمعدلاتها ، وقد استعانت فيها مصر بكل دول العالم من المعسكرين الاشتراكى او الراسمالى حيث اقامت المانيا الغربية قاعدة صناعة الحديد والصلب ، واليابان صناعة الالكترونات ٠٠ وفرنسا كهربة خزان اسوان ، وايطاليا صناعة السيارات ٠٠ ونقبت الولايات المتحدة على البترول ، واقامت سويسرا مصــــانع الدواء ، واقيمت مصانع النسيج بالتعاون مع اليابان والهند ٠٠ ومصانع كيما والسماد بالتعاون مع المانيا الغربية ، وبالنسبة للكتلة الاشتراكية فقد ساهم السوفيت فى توسيع مصانع الحديد والصلب، واقاموا مجمع الالمونيوم وشاركوا فى بناء السد العالى ومصنع

المطروقات والكيماويات و ابى زعبل . ونشيكوفاكيا مصانع الخزف والصينى .. واقامت شركات العالم الفنادق المختلفة ..

والقائمة طويلة ، تقول ان مصر شهدت أعظم انفتاح انتاجى على العالم كله ، حيث شارك الشرق والغرب فى بناء الصناعة المصرية ، كانت القضية الاساسية هى استيراد التكنولوجيا الحديثة فى ذلك الوقت من الشرق والغرب،وفقا لافضل الشروط بالنسبة لمصر .

واستطاعت مصر ان تبنى قاعدة من الصناعات الثقيلة .. الخفيفة ، التى مازالت تحمل العبء الاساسى فى الاقتصاد المصرى حتى اليوم ، ورغممرور سنوات عديدة ، فانه لميزيد عليها صناعات تذكر كما انه لم تجر مشروعات جادة لتطويرها وتحديثها ..

ولقد تحققت التنمية فى مصر معتمدة على التمويل الذاتى .. والتسهيلات فى الحصول على مصانع تسدد ثمنها من عائدها ..

وكان للقطاع الخاص المنتج دور فى التنمية ، وفى التصدير ، وكان هذا الدور موضع التقدير ، فى الوقت الذى اتخذت الدولة فيه موقفا من القطاع الخاص الطفيلى او المستغل ..

ولكن القضية الاهم ، ان مصر فى ذلك الوقت كانت تبنى الاشتراكية فتقيم الصناعة ، وتستصلح ارضا جديدة ، وتوزع اراضى الاقطاعيين تحقيقا لشعار العدل الاجتماعى .. واذابة الفوارق بين الطبقات ، واقامة مجتمع الكفاية والعدل ..

وعندما تغير الاتجاه ، فى محاولة لبناء مجتمع راسمالى ، كان لابد للنظام الجديد ان يخلق طبقة يعتمد عليها ، وتكون دعامته ، واداته فى احداث الانقلاب الذى يريده .

وكان اللورد كرومر يقول اننا نستطيع ان نترك مصر ، ونحن واثقون ان اقدامنا ثابته فيها بعد ان خلقنا طبقة من كبار ملاك الاراضى الزراعية يمكن ان يكونوا رصيدا لنا . وهذا هو بالضبط ما فكر فيه الذين كانوا وراء الانقلاب وقادته .. فخلقوا طبقة الانفتاحيين ، من المستوردين ، وسماسرة الاراضى ، وتجار السوق

السوداء ، وكثر عدد أصحاب الملايين بطريقة يصعب حصرها ·· وهذا وحده دليل ادانة فان عدم معرفتهم يدل على ان دخولهم طفيلية وغير مشروعة ولا بارزة ، كما أنه ليست لهم مشروعات انتاجيـــة يمكن ان تحسب لهم ، ويعرفوا بها ·

واستطاع الانفتاحيون ان يكونوا وراء الحملات على سنوات الثورة،بل ان نفوذهم امتد الى كثير من المواقع المؤثرة فى كافة الاجهزة **وكان صوتهم عاليا ، فهم اصحاب المال والنفوذ ، وهم الذين اغرقوا** البلاد فى سلع لا يســتهلكها عامــة الشــعب ·· ربمــا لــم يسمعوا من قبل عن اسمها ، وظهر فى الاسواق ما اطلق عليـــه **السلع الاستفزازية ، وبلغ من جشع بعضهم ان استورد اطعمة الكلاب** والحيوانات ليأكلها الناس ، واســتورد الجبن المســم لتلاميذ **المدارس ، والدواجن الفاسدة ، واللحوم التالفة ·· وحققوا ثروات** هم مستعدون لان ينفقوا معظمها للقضاء على كل ما يذكر الناس **بجمال عبد الناصر ·**

ومن الملفت ان حملاتهم ، مثل الاطعمة التى استوردوها ، اتضح **انها فاسدة ، ولم تستطع ان تؤثر فى المواطن العادى ، الذى عاش** مرحلة البناء ، والتنمية ، وهو مشغول بقضايا هامة ، وبحلم كبير **يسعى لتحقيقه ، فقده خلال سنوات الانفتاح كما فقد الانتمـــاء ،** واصبح يحس بالغربة ، ويعيش شعور الحرمان ، ومرارة الحاجة ، **ودفع الضيق الناس الى ان تشهد مصر لاول مرة فى حياتها ظاهرة** هجرة جماعية **للعمل فى الخارج ، امتد من المدن للريف ،** ومن الموظف للفلاح ، وكان الفلاح المصرى منذ قدماء المصريين « قـــرارى » ·· **مستقرا فى ارضه ، ولكنه خلال انفتاح السبعينات ، هاجر ليس فقط** الى المدينة ، ولكنه ترك بلاده كلها انفتاح السبعينات ، هاجر الى الخارج واقفرت بعض القرى من الرجال ، ولم يصبح بها سوى النســـاء والاطفال والمسنين ، وحملت المرأة عبء زراعة الارض ، وتربيـــة **الاولاد ، بل وايضا تشييع الجنازات ·· وانهار الانتاج الزراعى ،**

كما انهار الانتاج الصناعى تحت ضغط المنافسة الاجنبية المدعومة والمرسومة ، وتكدست البضائع المصرية فى المخازن ، وهرع الناس بعوامل اغراءات مختلفة الى البضائع المستوردة من كل انحاء العالم ·· وخاصة الولايات المتحدة الامريكية التى وضع فى يدها كل مقومات الشعب المصرى السياسية والاقتصادية ··

من يملك الشركات :

والحقيقة ان هذه الطبقة الجديدة ، هى من بقايا الطبقة القديمة التى ضربت بالاضافة الى عناصر جديدة ، استطاعت ان تثرى بواسطة النفوذ ، او الجاه او الصلات ، او المال لكى تبنى لنفسها موقعا على الخريطة الجديدة للمجتمع الجديد الذى لم تعرف بعد هويته ·· فالمجتمع الرأسمالى له اصوله ، والقواعد والنظم التى تحكمه ، وكذلك المجتمع الاشتراكى ، اما مجتمع السبعينات الذى راجت خلاله الحملة على عبد الناصر فانه يصعب تحديد هويته ·· اذ انه مجتمع بلا هوية ·

وكانت الثورة بعد قيامها بشهور ، قد اصدرت القانون رقم ٤٢٤ باعفاء المواد الاولية اللازمة للصناعة من كافة الرسوم ·· وفى عام ١٩٥٣ أصدرت قانونا بأعفاء الشركات التى تقوم بمشروعات تهدف الى زيادة الاستثمارات الصناعية والتجارية من الضريبة لمدة سبع سنوات ·· واصدرت قانونا آخر بانشاء مناطق حرة فى الموانى ، كما اصدرت قانونا بتشجيع استثمار رأس المال الاجنبى فى مصر ·

ولكن هذه القوانين لم تحقق نتيجة مؤثرة فى التنمية ، وبعد حرب ١٩٥٦ فرضت الحراسة على الشركات الانجليزية والفرنسية ، ·· وفى يوليو ١٩٦١ صدرت اول قوانين التأميم التى هدفت الى تصفية امتيازات الطبقة ·· ونقل الملكية للشعب حتى يصبح الشعب هو المالك الحقيقى لثروته التى كان يملكها قبل ذلك خليط غريب غير متناسق من الناس فمثلا ··

● شركة صناعين الطحين بالاسكندرية : كان يمتلكها خمسة اشخاص من عائلة الشامى ، ثم ادمون تكامولى وثلاثة من اشقائه ، والسيدة ايدموريستكوين ، وروبير بولار ، جيوزبيش فريدى كوين وثلاثة من اشقائه سوزان اروس ، سوءان موستاكى ـ موريس باروخ كوهين ، ريمون ريمون ايريرا ٠

● شركة الغربية العقارية :أصحابها اميل عدس، موريس اميل عدس لويز دى جوبر فيل ، رينيه رياط ، فوناندس رياط ، نيلوب ديموسفين ميخائيلوس ، انستاس زينوه وراكى ، اندريا جوانو ، صوفى جوانو ٠٠ جورج ديموستين ميخائيلوس ، حرم واصف بطرس غالى ٠٠ مارى درماركا ـ وخمسة من عائلتها ٠٠

● شركة النيل العامة لاتوبيس الغربية : يوسف ساويرس واثنين من اشقائه ، صديق خير الله ، زكى جرجس ، حسن ثابت ، اسكندر سعيد ٠

شركة حلاجة الاقطان : هيبا ثياق مشتراكى واثنين من اشقائه جان سلفاجو ـ ايصانوبيل ـ هانج جارينان ـ اسبيروادى مولتا ٠

● شركة كاسترو اخوان : سلفاتورى كاسترو ـ هيلين كاسترو مصنع اسكندرية للحرير الطبيعى والصناعى : لويجى ٠ ف ٠ بولفارا ٠

● شركة مصانع الغزال المصرى : ستة من عائلة مبناهى

● شركة نيللوس للتخزين نقولا بال ـ نقولا سمعان ـ سطنطين ميشيل ـ سيمون منلاس ، ارجين بالى ٠

● شركة البطاطين المصرية :ونيس فلتس، قسيس موسى سليمان عياد فلتس ، فخرى قريا توص جرجس ٠ عيد سمعان ـ الفريد عياد ، كمال شوقى عياه ٠

● شركة الواردات والصادرات السودانية : يوسف حبيب توتونجى و ١٦ من عائلته ٠

● شركة التجارة والتبادل للشرق الاوسط:سليم نخلة ـ مارسيل

نخلة ـ البرت تاج ـ شارلوت ويصا ٠

● شركة المصابغ : يوسف ديمتراكى ثابت وخمسة من عائلته ٠

● شركة النيل العامة للمقاولات : يملكها كلها رشاد يوسف ٠
كما يملك هو واولاده ثلاثة ارباع اسهم الشركة العامة للمقاولات والطرق ، وكذلك شركة سيارات الشمس ٠

● شركة الاهرام لسبك المعادن : يملكها عبد القادر الحراكى واولاده ٠ كما يملكون محلات جاتينيو وشركة شيفيلد وتملك عائلة عرفة معظم اسهم محلات هانو ٠ ومعهم ريمون هانو ، ومارسيل هانو ، وعدد من المصريين ٠٠

● شركة النصر للمواسير : مريم يمسيس ، مارسيل موصيرى، شارل مولار ـ جورج جوشا ـ وعدد من الشركات ٠

شركة الدلتا التجارية : جوزيف نيقولا رباط وسبعة من عائلته بالاضافة الى عدد من المصريين ٠

● شركةالشوريجى:عددمنعائلة الشورربجىبالاضافة الىروبى حمص ـ هند حفار ـ مومى دوس ـ ايزاك حاييم ٠

● شركة باسيلى للاخشاب : عائلة باسيلى باشا ٠٠

● مصانع قها : روفائيل خورى حداد ، ريمون بورغاكر عباس ـ هدى اسعد نقولا ـ لندا جبران حداد ، اوجيم نقـــولا طنوس ، جان جورج خورى ، اليس جبران خورى ٠

● شركة حليج الوجه القبلى : جان اغرمان نجعان ـ ناجى انكاليه ـ وجيه لورنس قلدس ٠

● الشركة المصرية لتصدير الاقطان : ارمان نجمان ـ جيرار مومان ـ حان كنترافورس ٠ جورج باندليدس ٠

شركة تجارة الاقطان : بباوى وعدد من الاشخاص ٠

● شركة تجارة الاقطان : نيقولا د ٠ وراكبس واقاربه ٠

● شركة الحلاجة الاهلية : ماريا بور كهارت واقاربها ، جاستو مونتان ـ اندريه شيدل ، جيدوفيرت وغيرهم من الاجانب ٠

شركة الاقطان والاعمال المالية : فرناندكوهين ، ومحمد احمد فرغلى واقاريه ، وجاكلين ابو عافية ٠

وكان هؤلاء هم الذين يسيطرون على سوق القطن ، المحصول الزراعى الاول فى مصر حتى ذلك الوقت كما انه كان مفتاح الاقتصاد المصرى ٠

هذه نماذج فقط من الذين امموا فى مصر — او الذين سلبت أموالهم — ، خلال عام ١٩٦١ الى جانب شيكوريل وداود عدس وسليم وسمعان وصيدناوى وغيرهم ويلاحظ ان معظمهم من الاجانب ٠ وانه بهذه القرارات نقلت الثورة الى مصر .. الى الشعب المصرى لاول مرة منذ بدات عمليات النزح الاستعمارى خلال القرن التاسع عشر ٠ وكان هذا من ابرز ما حققته قوانين التأميم ٠

من يملك الارض ؟

فاذا ما انتقلت الى مجال الملكية الزراعية ، فان مجموع ما استولى عليه من أرض زراعية بموجب قوانين الاصلاح الزراعى كلها ، ٧٥٥ الف فدان من اراضى الاقطاعيين ثم توزيعها على نحو ٣١٧ الف اسرة وعندما نرجع الى القائمة الاولى لاسماء اصحاب الاراضى المستولى عليها فى الاسبوع الثانى من شهر سبتمبر ١٩٥٢ بعد قيام الثورة بشهور ، فاننا سنجد غير اسماء افراد العائلة الملكية واقاربهم ، وعائلة سراج الدين والبدراوى ، عشرة افراد من عائلة خياط ، وخمسة من عائلة ويصا ، وثلاثة من عائلة بشرى شارل ، وعلى الكسان ، ومحمد على شعراوى ، وثلاثة من عائلته ، وزينب الاتربى ، وعدلى صالح للوم وغيرهم ٠٠

هذه أيضا عينات من الذين كانوا يملكون الثروة فى مصر كانت لهم اراض زراعية ومصانع ، وشركات ومشروعات ، اما الان فان الذين يملكون الثروة مجهولون يصعب أن نحددهم ٠

ولقد كان هؤلاء واولادهم هم رصيد الانفتاح الاقتصـــادى ، والذين يقودون او يمولون الحملة على عبد الناصر بأعتبارهم ضحايا الثورة ، بعد ان استرد الشعب ثرواتهم التى عادت الى بعضهم أخيرا لاسباب مختلفة ٠

والحراسات ايضـــا :

ويقولون ان عبد الناصر اغرق مصر فى الحراســـات ٠٠ وان هذه الحراسات كانت توضع لاسباب شخصية ، واحيانا بالتليفون ٠

ويجـدون من ينشر لهم ، ومن يروج هذا الهراء ٠٠ ولو كان صحيحا فان عليهم ان ينشروا اسم واحد فقط من الذين فرضت عليهم الحراسة بالتيفون ، او بأوامر شفوية ٠٠ ولو كان هـذا صحيحا ايضا لنشروا قائمة باسماء هؤلاء الذين وضـعوا تحت الحراسـة لاسباب شخصية ٠

لقد ثبت من خلال التحقيقات المضنية التى قامت بهـا النيابة العامة . ثم المدعى العام الاشتراكى ـ اثناء قضية مايو ١٩٧١ ـ انه ليست هناك قضية حراسة واحدة تمت لاسباب شخصية ، او انها فرضت دون مذكرة مكتوبة موضحة الاسباب ٠٠

وكان السادات قد طلب ادراج قضية الحراسات ضمن قائمة الاتهامات الموجهة الى مجموعة مايو ٠

وكان يجرى البحث بجدية عـن اتهـامات توجه اليهم ، ومـن مصلحة السادات الشخصية تشويه سمعتهم وتلويثهم ، وادانتهم ، ولذلك فقد تم جرد لجميع قضايا الحراسة ٠٠

وبعد البحث والتنقيب عثر على ملف واحد ، ليس به قـــرار مكتوب بفرض الحراسة ٠٠ واستدعى امين هـويدى الوزير الذى كان مسئولا عن الحراسة للتحقيق فى منتصف الليـل ، لان الامر عاجل ٠٠ وهـام ٠٠

واعترف هويدى بالواقعة ، ولكن اضافته كانت مذهلة ، ذلك

ان هذه الحالة بالذات لم يصدر فيها قرار مكتوب لسبب بسيط ، هو ان فرض الحراسة عليها تم بقرار من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي بعد مناقشات طويلة ، وكان عبد النـــاصر قد رأى ان تعرض الاوراق والتقارير على اللجنة العليـا ، لان المطلوب فرض الحراسة عليهم كان بينهم بعض أقارب أعضاء فى اللجنة العليا ٠٠ وكانت مفاجأة ، ولكن الهجوم المحموم على الحراسات ظل مستمرا ، وظل يردد ان الحراسة كانت تفرض لاسباب شخصية ٠٠ حتى قيل ان احد اعضاء مجلس الثورة اختلف مع عبد الناصر فوضع شقيقه تحت الحراسة ٠٠

والحقيقة ان الشقيق وضع تحت الحراسة بنـاء عـلى مذكرة تقدمت بها الرقابة الادارية ٠ وكان رئيس الهيئة العامة للاصـلاح الزراعى الدكتور احمد عامر النشرتى قد تقدم بمذكرة « صادر رقم ٣٥٦ بتاريخ ١٩٦٥/٥/٢ » الى رئيس الرقابة الادارية شرح فيـها المخالفات التى ارتكبها شقيق العضو والتى ادت الى تحويله لنيابة امن الدولة ٠ هو وبعض السادة مهندسى ادارة الميكانيكا والكهرباء بالهيئة ٠٠ وقد رأت النيابة الادارية محاكمة المهندسين تأديبيا وتمت محاكمتهم التاديبية بتـــاريخ ١٤ فبـراير ١٩٦٥ واخطرت الهيـئة بالجزاءات التى توقعت عليهم ٠

اما السيد شقيق عضو مجلس الثورة فقد وضع تحت الحراسة فلم تكن القضية التى حققت فيها النيابة ، وحولت الى المحـكمة ، وشاركه فيها عدد من المتهمين سجن معظمهـــم ، تتعلق بخلاف بين عضو مجلس القيادة وعبد الناصر ، وان وضعه تحت الحراسة لم يكن أبدا لأسباب شخصية ٠

والحراسة اجراء وقائى ٠٠ استخدم فى عدد من الامور :

وضعت الحراسة على رعايا الدول المعتدية ، وعلى بعض اليهود فى مصر اثناء حرب ١٩٥٦ ٠

وضعت الحراسة على تجار المخـــدرات أو الـــذين حـــامت

الشبهات بموجب التقارير حول اتجارهم فى المخدرات وقد اطلق عليها اسم حراســـة الامن .

وضعت الحراسة على عدد من الاجانب والمصريين كخطـــوة ايجابية لتمصير الاقتصاد ·

وضعت الحراسة على عدد من السياسيين السابقين ولفترات طويلة او قصيرة ·

وضـــعت الحراسة عـــلى الذين تهـــربوا من تطبيق قـــــوانين الاصلاح الزراعى بموجب قرارات لجنة تصفية الاقطاع التى كـــان يراسها المشير عامر .

وكان عدد الحالات التى وضعت تحت الحراسة على امتـــداد السنوات ١٧٧١ حـــالة ··

وهكذا فان مصر كلها لم تكن موضوعة تحت الحراسة كمــــا يحاولون لتصوير الامر لخدمة اهدافهم ·· وبين هذا العدد ·· ؟ كانت النسبة الكبرى للاجانب ·· وعندما انتقل جمال عبد الناصر الى رحاب الله كانت الحراسات قد صفيت تقريبا ، ولم يبق منهـــا الا ١٢٨ حــــــــالة هنــــاك مشـــــاكل وعقبــــــــــــات فى تصفيتها وظلت هذه المشاكل الى بعد منتصف السبعينات ·· بل ان بعضها مازال مستمرا حتى اليوم .. فلم تكن الحراسات ثـــأرا شخصيا ، ولا لتصفية حسابات بين عبد الناصر وبين احد ·

ولقد فتح الباب واسعا للتشهير بسنوات حكم عبد الناصر ، من خلال كلمات عامة ، لا تحمل ابدا وقائع محددة ·

ولما كان المال هو هدف الانفتاحيين الاســــاسى .. لقد حاولوا تشويه كل الاجراءات التى اتخذتها الثورة لاسترداد المال لصـــالح الشــــعب .

القطـــاع العـــام ٠٠ وتصــــنيع مصــر

.. ولا يملون ابدا من الهجوم على القطاع العام .. والمطالبة بتصفيته ٠ ووراء هذه الحملة جريمتان للقطاع العام ٠٠

الاولى : ان الذى انشاه هو جمال عبد الناصر ، وان فى تصفيته هدم لجزء هام ، وحيوى ، ونابض من تراث ، وانجاز الرجل الذى مازال يؤرقهم .

الثانية : ان القطاع العام ، يشير الى مرحلة التحول الاشتراكى ووجوده يذكر الناس بالاشتراكية ، أو قد يدفع اليها ، كما انه يحجب بعض انشطة للقطاع الخاص .. الذى يدعمونه ويعدونه ليكـــون الوريث .

وكان عبود باشا ومعه عدد من الراسماليين قد ذهبوا الى جمال عبد الناصر بعد العدوان الثلاثى مطالبين ان يشتروا المصالح الاجنبية التى وضعت تحت الحراسة اثناء العدوان .

وفكر عبد الناصر بانه لايمكن ان تكون احدى نتائج الحرب ، وكانت قرارات التمصير تعنى أن تعود هذه المنشآت للشعب ، وهو ان الناس قد قاتلوا ، أو استشهدوا ، لكى يزداد ثراء الاغنياء ٠٠ ماعبر عنه جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل الوطنى بان « السؤال الذى طرح نفسه غداة النصر العظيم فى السويس هو : لمن هـــذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركـــة الرهيبة ٠ ؟

» وكان الرد التاريخى الذى لارد غيره ، هو أن هذه الارادة لا يمكن ان تكون لغير الشعب ، ولا يمكن ان تعمل لغير تحقيق أهدافه ٠

« ان الشعوب لا تستخلص ارادتهـــا من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتهـــا وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة عـــلى تحقيق مطالبها » ٠

وفى بداية الثورة ، انشئت مجلسين ، احدهما للانتاج والثانى للخدمات،وكان الغرض من انشائهما دفع عمليات الانتاج،والنهوض بالخدمات لتعويض سنوات حرمان المواطنين ، والقضاء على الثالوث الذى كان ينهش جسد المجتمع المصرى ، وهو : الفقر ··· والجهل ··· والمرض ·

وكانت هذه القضايا الثلاث هى التى يدور حولها الصراع بين الاحزاب السياسية ، ويجهد المصلحون انفسهم فى البحث عن حلول لها ·· هذا اذا اتثنينا القضية الاولى وهى : الاستعمار البريطانى الذى ظل محـــور مزايدات الاحـــزاب الســـياسية ، وموضـــع مفاوضاتها ، ولعبتها عشرات السنين ، حتى جاءت الثورة ، وخلصت البلاد منه باتفاقية الجلاء التى وجهت اليها سهام كثيرة ·· انتهت كلها بتحقيق جلاء المستعمر عن مصـــر بعـــد احتلال دام اكثر من سبعين عاما ·

مجلس الانتاج القومى :

صدر القـــانون رقم ٢١٣ لســـنة ١٩٥٢ بانشـــاء « المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى » وهو هيئة مستقلة ملحقة برئاســـة مجلس الوزراء . ورئيسه الاعـــلى هـــو رئيس الـــوزراء · واعطى المجلس بنص القانون سلطة عقد القروض مع المصارف والهيئات المحلية والاجنبية والدولية . ووفقا لما جاء فى تقريره فقد « وجه عناية ملحوظة الى المشروعات الخاصة فعمل على توثيق الصـــلة بهـــا ، والتعاون معها ، وشجعها على اداء دورها فى الاقتصاد القومى عن طريق التوسع فيما هو قائم من جهة ، والانشاء الجديد من جهة اخرى وعمل على تذليل ما اعترضها من صـــعاب تشريعية او مالية او ادارية » ·

وبدات محاولات جذب راس المال الاجنبى ليقوم بالاستثمار فى مصر ، وصدر القانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٥٢ ، ينص على ان تعديل

القانون القديم الذى صدر عام ١٩٤٧ ، وكان ينص على عدم زيادة نسبة راس المال الاجنبى فى الشركات المساهمة من ٤٩ ٪ .

وكان التعديل الذى ادخلته الثورة لاجتذاب راس المال الاجنبى للمساهمة فى التنمية الانتاجية ، أن نص قانون على تخصيص نسبة ٤٩٪ على الاقل من اسهم الشركات للمصريين ، واعطى رأس المال الاجنبى الحق فى ٥١ ٪ ، اى رفع نسبة مشاركة راس المال الاجنبى حتى عن نسبة المصريين .

وصدر قانون آخر باعفاء الخامات المستوردة من الرسوم الجمركية ، على ان يعاد تصديرها فى شكل منتجات ، كما صدر قانون ثالث باعفاء المواد الاولية من الرسوم الجمركية بانواعها ، الاستهلاك وعوائد البلدية .

وفى محاولة أخرى لجذب راس المال الاجنبى الى مصر صدر القانون رقم ١٥٦ لسنة ٥٣ ، الذى حدد المال الاجنبى بانه يشمل الاموال المحولة عن طريق البنوك والآلات ، والمعدات الزراعية والصناعية ووسائل النقل والمواد الاولية ، والحقوق المعنوية المملوكة لاجانب مقيمين فى الخارج . وانه ينتفع بالقانون من كان مستثمرا فى مشروعات الصناعة والزراعة والتعدين والقوى المحركة والنقل والسياحة ، وحدد القانون نسب تحويل الربح وحصة الخبراء الاجانب الذين يعملون فى المشروع ، ونص على انشاء لجنة بوزارة المالية خاصة باستثمار المال الاجنبى وتمثل فيها الوزارات المعنية تقدم اليها طلبات المشروعات الاستثمارية وتكون مهمتها ليس الموافقة فقط بل وتتصل « بالمصالح المختلفة بشأن رؤوس الاموال الاجنبية وتيسير الحصول على التأشيرات واعتماد تحويل المكافآت » وغيرها .. وبعدها صدر قانون آخر يعطى مزيدا من الضمانات لراس المال الاجنبى وزيادة فى تدليله ، فقد نص على اعفائه من ضريبة الارباح التجارية والضريبة على القيم المنقولة لمدة سبع سنوات ، كما يعفى من اداء الضرائب شركات المساهمة وشركات

التوصية بالاسهم التى تنشا ويكون غرضها لازما للتنمية سواء عن طريق الصناعة أو التعدين او القوى المحركة أو الفنادق أو اصلاح الاراضى البور وقال تقرير المجلس القومى للانتاج ان هذا القانون « يعتبر من أهم التشريعات التى اصدرتها حكومة الثورة كدعامة من الدعامات التى تقوم عليها سياستها فى دعم الاقتصاد القومى وتنميته » .

وبعد كل هذا التدليل ، والترغيب ، كانت النتيجة مفاجأة : فقد كانت مساهمة راس المال الاجنبى خلال اعوام ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ مذهلة.

لقد دخل مجالين اثنين فقط ، هما صناعة الاحذية ، والسياحة.

وخلال هذه السنوات الثلاث ، استثمر ٤٤٠ الف جنيه فقط .

اى انه بعد هذه القوانين التشجيعية الغريبة والمفرطة فى الكرم لم يستثمر من راس المال الاجنبى فى مصر الا اقل من نصف مليون جنيه .

مشروعات الخدمات :

كان مجلس الانتاج قد استعان باكبر بيوت الخبرة فى العالم ، لعمل مسح اقتصادى شامل لمصر ، بهدف وضع خطة تفصيلية للمشروعات الانتاجية اللازمة للنهوض بالاقتصاد ووضع الخبراء خريطة الصناعة المصرية الجديدة . ووسائل الحصول على الطاقة من كهربة خزان اسوان ، كما وضعوا مشروعات للنقل ، واستغلال الثروات المعدنية ، وبدا تنفيذ خطة العمل الصناعى واعلن عن الاكتتاب للمساهمة فى الشركات الجديدة بدعم من الحكومة ٠٠ وهى المساهم الاول .

وقامت عدة مشروعات خدمية حيوية ، مثل كهربة خط حلوان ووفقا لخطط اخرى وضعها المجلس الدائم للخدمات العامة ، حرمت الدولة القمار بقانون ، واصدرت القوانين العمالية ، وقانون التعاون وانشات الثورة الوحدات المجمعة فى القرى ، لتكون مجمعا لوحدات

علاجية صحية وبيطرية وزراعية ، وكانت تبنى قبل الثورة ، مدرسة كل عام فأنشأت الثورة مدرسة كل ثلاثة ايام ، واقيم مجلس اعلى لرعاية الفنون ، واخر للعلوم ، وثالث للشباب، وانشئت لجنة الطاقة النووية للاغراض الســـلمية ، وبدأت خطوات تقريب الفوارق بين الطبقات ، فخفضت ايجارات المساكن أكثر من مرة وأقيمت المساكن الشعبية ، وشق كورنيش النيل بطول القاهرة كلها ، واعيد توسيع كل ميادين العاصمة ، ميدان رمسيس ، السيدة زينب ، سيدنـــــا الحسين ، والتحرير حيث انشىء فيه مسجد عمر مكرم تكريما لذكرى المناضل عمر مكرم .. وغيرها .

الســـــد العالى :

على ان من أهم ما اسفر عنه وجود مجلس الانتاج القومى هو ما قررته لجنة من الخبراء العالميين فى اجتماعها يوم ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ .. من انشاء اخطر واهم مشروع فى مصر بالقرن العشرين وكانت اللجنة مكونة من :

المستر كارل ترزاكى ، والمسترا • س مـــتيل منالولايات المتحدة الامريكية والمسيو اندرية كوين من فرنسا .. والهرماكس بروس من المانيا الغربية ، والمستر لور نزج شرادب الامريكى ثم انضم اليهم يوم ١٨ نوفمبر المسيوا . انسى الفرنسى وفى ٢٦ نوفمبر انضم اليهم الهرمور الالمانى .

كانت هذه لجنة الخبراء العالميين الذين درسوا مشروع السد العالى ، وحددوا مكانه ، واختاروا موقعه ، وصمموا قطاعاته .

وكان يشاركهم العمل فى جميع مراحلة خبـــراء مصريون . ويلاحظ ان لجنة الخبراء التى درست مشروع السد العالى ، واقرته ليس فيها سوفيتى واحد .. فهى لجنة ضمت اكبر الخبراء فى أمريكا والمانيا الغربية ، وفرنسا .

وقد درست اللجنة تكاليف المشروع ، وتاثيراته على الانتاج

الزراعى ، والانتاج الصناعى ... كل ايجـــابياته .. وكل آثاره الجانبية .

وفى يوم ٤ ديسمبر ١٩٥٤ قدم الخبراء تقريرا موحدا اجمعوا فيه على صلاحية مشروع السد العالى ، وحددوا موقعه عند الكيلو ٦ر٥ جنوب خزان اسوان ، حيث اتضح انه اصـــلح المواقع المختارة للسد .. « ان انشاء السد العالى حسب التقييم الذى اعتمـــده الخبراء فيه اقصى الضمانات لسلامته مع وفائه بكافة المطـــالب التى انشىء من اجلها » هكذا قالوا ، قبل ان يقروا برنامجا للتنفيذ يستغرق عشر ســنوات ، واوصـــوا بضرورة القيام فورا باعداد الرسومات التفصيلية والمواصفات لاجزاء المشروع المختلفة .

خطوات التمصير :

وقصة السد العالى بعد ذلك معروفة .. فعندما اوحـــت امريكا الى البنك الدولى الا يســـهم فى تمويله ، اتجهت مصر الى الاعتماد على قوتها الذاتية لتمويل المشروع ، واممت قناة السويس وتعاقدت مع الاتحاد السوفيتى للقيام بالاعمال الانشائية فيـــه ، اما حفر الانفاق ، وابعاد الاتربة ، فقد كان عمل شركة المقاولون العرب ، وقامت شركة مصر لاعمال الاسمنت المسلح باعـــــداد الخرسانات اللازمة ، وكانت اعمالها اكبر جهد مصرى فى بنـــــاء المشروع .

وهناك مثل آخر مصنع الحديد والصلب الذى تعـــاقدت عليه الحكومة مع شركة ديماج الالمانية عام ١٩٥٤ ، ليبدا العمـــل فيه فورا ، وقد ساهمت الحكومة بمليون جنيه ومجلس الانتـــاج بمليون جنيه ، وطرحت بقية اسهمه للاكتتاب العام .

وكانت الدراسات قد اثبتت وجود خام الحديد فى مصر ، وبدات عام ١٩٣٢ فكرة اقامة صناعة الحديد والصلب ، وظلت الفكـــرة موضع مزايدات ومناورات الاحزاب لمدة اربع سنوات حتى شكلت

لجنة لبحث المشروع عام ١٩٣٦ ، ولكنها لم تتقدم خطوة واحدة .

وعندما جاءت الثورة بعثت المشروع الذى ظل مطلبا لمـدة اكثر من عشرين عاما ، وبعد التعاقد مع الشركة الالمـانية بذلت بعض الدول جهودا لتحول بن الشركة وبين اتمام التعـاقد حتى لاتتجه مصر الى التصنيع الثقيل .

وأقامت الثورة المصنع ، وفى يوليو ١٩٥٩ افتتحه جمـال عبد الناصر قائلا ، ان اقامة صناعة الحديد والصلب فى بلدنا كانت دائما حلما نعتقد انه بعيد المنال ، واليوم حققنا هذا الحلم » .

والى جانب هذا ايضـا ، سـاهمت الحكومة فى عدد من المشروعات الصناعية الجديدة فى مصر مثل صناعة عربات السكة الحديد ، والمواسير ، والبـوتاجاز ، والراديو ، والبطـاريات والكاوتش ، والورق ، كما توسعت فى كل الصناعات القائمة ، وبدأت فى اقامة الصناعات الحربية .

وفى عام ١٩٥٦ انشىء فى مصر لاول مرة وزارة جديدة هى : وزارة الصناعة .

وكانت هذه الخطوات هى البداية الحقيقية لتمصير الاقتصاد بأن تقام صناعة مصرية تعتمد على راس المال المحلى ..

ثم جاءت اجراءات التمصير ، التى بدأت بتمصـير شركة جريشام للتامين عام ١٩٥٤ .

وعندما جمدت انجلترا الارصدة المصرية لديها ، وامتنعـت البنوك عن تمويل محصول القطن أو الانتاج الصناعى .. صـدر أمر عسكرى فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ بتعيين حراس على مؤسـسات الدولتين المعتديتين وأموالهما فى مصر .. وهكذا بدأت الحراسـة بهذه المؤسسات التى بلغت ١٥٠٠ مؤسسة بينهـا البنوك وشركات التامين والشركات البترولية ، ثم انشئت المؤسسة الاقتصـادية بعد ذلك .

وفى ١٤ يناير ١٩٥٧ صدر قانون ينص على الا يقوم باعمال

البنوك وشركات التأمين وفروعها الا شركات يملك المصريون جميع اسهمها ، ويكون المسئولون فيها مصريين . على ان ينفذ القانون خلال خمس سنوات .

وكان قد اتضح من الدراسات أن البنوك الاجنبية في مصر لايزيد راسمالها عن خمسة ملايين ونصف . ومع ذلك فهى تتحكم في مائة مليون جنيه من جملة الودائع في البنوك التجارية وهى حوالى ١٩٥ مليون جنيه . وان البنوك الانجليزية والفرنسية لايزيد راسمالها المستثمر في مصر عن مليون ونصف مليون جنيه بينما ودائع المصريين فيها تقترب من مائة مليون جنيه .

وكان في مصر ١٣٥ شركة تامين ، منها ١٢٣ شركة اجنبية ومعظمها فروع لشركات كبيرة في الخارج ..وكانت اصولها في مصر ٢٠ مليون جنيه من مجموع أصول شركات التأمين وهى ٣٨ مليونا وفى عام ١٩٥٧ تم تمصيرها ، كما تم تمصير ٩ بنوك هى بنـــوك باركليز ، والكريدي ليونيه — والعقارى المصرى — والبنك الشرقى — يونيون — العثمانى — الرهونات — الاراضى — الخصم الاهلى بباريس — و ١٦ شركة تامين و ٤٠ شركة كانت تتحكم في شرايين الاقتصاد ، وكلها كانت اجنبية .

وفى نفس التاريخ — ١٤ يناير ١٩٥٧ — صدر قانونان الاول يقصر مزاولة اعمال الوكالات التجارية على المصريين ، والثـــانى بانشاء مجلس التخطيط الاعلى ، ولجنة التخطيط القومى ، وبعدهما صدر قرار جمهورى بوجوب استخدام اللغة العربية في جميـــــع العقود والسجلات والمحاضر وفرض غرامة على من يخالف القرار .

وكانت الثورة بعد قيامها باربعة شهور قد أصدرت مرسوما بتعطيل بورصة عقود القطن بالاسكندرية ، على ان تتولى الحكومة شراء الاقطان وبيعها لحسابها ، ترد للمنتجين مالا تحصل عليه من أرباح ، بعد أن وصل التلاعب فىسوق القطن الىحد المقامرة وتكدس مخزون القطن ، وزاد العجز في الميزان التجارى واعيد افتتـــــاح

البورصة بعد عامين بعد ضمان حد ادنى للاسعار وعـــــدد من الشروط والقواعد تضمن عدم التلاعب والمضاربة على المحصول الرئيسي في ذلك الوقت .

والذين يتحدثون عن العجز في الميزان التجاري الذي احدثته الثورة ، بعد ان كان فيها فائضا يغالطون ، معتمدين ، على ان احدا لن ينقب وراء اكاذيبهم ليعود الى الخمسينات ، وقبل قيام الثورة .

والحقيقة ان العجز في الميزان التجـــــاري كان عام ١٩٥١ ٣٩ مليون بالضبط ، وانه بلغ عام ١٩٥٢ حوالى ٧٣ مليـــــون جنيه بسبب انتكاس سوق القطن .

وفي عام ١٩٥٣ بلغ العجز ٣٧ مليون جنيه بسبب الحـد من استيراد الكماليات وفتح أسواق للمنتجات المصريـــة ، وانخفض العجز عام ١٩٥٤ الى ٢٠ مليون جنيه وهكذا .

التأميم .. لماذا ؟

كانت القضية الاساسية أمام عبد الناصر بناء الصناعة ، ولم يات راس المال الاجنبي ، كما ذكرنا ، وعجز القطاع الخاص عـــن الوفاء بمتطلبات التنمية في الوقت الذي يتزايد فيه السكان بمعدل ٢ر٥٪ سنويا ، ويخرج الى الحياة طفلين كل دقيقة يمثلون افواهـــا جديدة تحتاج الى الغذاء ، وتحتاج الى الخدمات لسنوات طويلة قبل ان تصبح قادرة على الانتاج .

وواجهت مصر مأزق ضرورة التنمية .. وبعد تدليل راس المال الاجنبي ، وبعد ان اوقدت مصر أصابعها العشرة شموعا للقطاعين الخاص والاجنبي لكي يشتركا في التنمية الجادة صناعية او زراعية، كانت المحصلة النهائية لا شيء يذكر .

ومن هنا رأى عبد الناصر « ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته ، كذلك فان اعادة توزيع فائض العمل الوطني على اساس

من العدل لا يمكن انيتم بالتطوع القـــائم على حسن النية مهمـــا صدقت » .

وبدات عمليات التأميم ، وتوسيع قاعدة القطاع العام .. ورأى عبد الناصر « ان التأميم ليس عقوبة لرأس المال الخاص حين ينحرف فنقل ادوات الانتاج من الملكية الفردية الى الملكية العامة اكبر من معنى العقوبة واهم » « وان الاهمية الكبرى الملقة على دور القطاع العام لا يمكن ان تلغى وجود القطاع الخاص ، فالقطاع الخاص له دوره الفعال فى خطة التنمية من اجل التقدم ، ولابد له من الحماية التى تكفل له اداء دوره . وهو مطالب بأن يجدد نفسه ، وبأن يشق طريقا من الجهد الخلاق لا يعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى » .

وكان راى عبد الناصر : « ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لا تستلزم تأميم كل وسائل الانتاج، ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها وانما يمكن الوصول اليها بطريقين :

اولهما خلق قطـــاع عام قوى وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

« ثانيهما : وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال على أن تكون رقابة الشعب شاملة القطاعين معا ، مسيطرة عليهما معا » .

وكان من رأى عبد الناصر أيضا « أن الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج كالسكك الحديدية والطرق والمطـــارات وغيرها من المرافق تكون فى اطار الملكية العامة للشعب ، والصناعات الثقيلة والتعدينية والمتوسطة تكون فى غالبيتها للقطاع العام ويجب أن يحتفظ القطـــاع العام بدور فى الصناعات الخفيفة » .

اى ان الباب فى الصناعة مفتوح امام القطاع الخـــاص ، والاستيراد كله للقطاع العام ، الذى يتحمل ايضـــا ثلاثة ارباع الصادرات ، ويكون له ربع التجارة الداخلية بينما للقطاع الخاص

ثلاثة ارباعها ٠

والارض الزراعية والمبانى والعقارات تظل فى اطار الملكيـــة الخاصة ٠ وبنظرة بسيطة وموضوعية نجد أن عبد الناصر قد وسع قاعدة الملكية عندما زاد عدد الذين يملكون وان العمود الفقرى للاقتصاد ٠٠٠ وهو الزراعة ٠٠٠ كان فى يد الافراد أى القطاع الخاص ، وقد زاد عدد الملاك بعد توزيع الارض الزراعية على المعدمين ٠٠

فقد كان للقطاع الخاص اذن دور كبير فى مجـــالات كثيرة ومتعددة ٠٠ واذا لم نغفل الملكية الخاصة فى مجال الزراعة فان القطاع الخاص يكون له نصيب الاسد فى الســـيطرة على أدوات الانتاج اذ تقترب نسبة ما يملكه الى ٨٠٪ عموما وتصل الى ٢٥٪ فى الصناعة وحدها ٠

القطـــاع العـــــام :

القطاع العام الآن هو محصلة ثلاثة روافد .

ــ الممتلكات الاجنبية التى مصرت ، وكان معظمها فى مجال التجارة وقليل منها مشروعات صناعية .

ــ الممتلكات التى اممت ،ومن ابرزهـــا شركات بنك مصر ، وشركات الاقطان والتأمين وبعض الصناعات .

ــ المشروعات الجديدة التى انشأتها الثورة ، ومعظمهـــا صناعى ، وقليل منها توسعات فى مجالات التجـــارة واستصـــلاح الاراضى .

هذا هو القطاع العام ، الذى حمل العبء الاقتصــــــادى والاجتماعى ابتداء من الستينات .. وظل مصدر دعم الاقتصاد فى توفير المنتجات بالاسواق بالسعر الذى تحدده الحكومة ، وتوفـــير فرص العمالة لاجيال جديدة من العمال ومن الخريجين ، كما ظل موردا أساسيا لميزانية الدولة ، وفضلا عن ذلك فقد كان للعاملين فيه

نصيب من الربح ، ومن المشاركة فى ادارته . وكانت لمصر تجربـــــة سابقة فى الملكية العامة لادوات الانتاج ، بما فيها الارض الزراعية خلال القرن الماضى، فى عهد محمد على ، عندما كانت كل وحـــدات الانتاج مملوكة للدولة ·· ولكن هذه التجربة سرعان ما تفككت بفعل الضغوط الاستعمارية التى لم تكن تريد لمصر أن تقوى اقتصاديا ·

وعادت وحدات الانتاج الى الملكية الخاصة ، وزحف راس المال الاجنبى ليستثمر فى مجال الارض الزراعية ، والعقارات ، والمضاربات

واضطرت مصر فيما بعد محمد على الى ان تغلق المصانع أو تعيد وحدات الانتاج الى الملكية الخاصة ، وزحف راس المـــال وبنوك الرهونات ، وغيرها من البنوك التى ظلت تنهب اقتصـــــاد مصر ، حتى جـــاء عبد النـــــــــاصر ليحــــــــدث تغيرا جذريا بالتمصير ، والتصنيع والتاميم ·

ولقد بلغت القيمة السوقية للشركات المؤممة عام ١٩٦١ مبلغ ٢٥٨ مليون جنيه بينما بلغ تقدير راس المال الثابت لوحدات القطاع العام الصناعية فقط عام ١٩٧٢ مبلغ ٢٠٥٠ مليون جنيه .

وابتداء من يوليو عام ١٩٦٠ وضعت أول خطة للتنمية فى مصر ، بدأ تنفيذها من ميزانية ذلك العـــام ، بعد ان اخذت الدولة بأسلوب التخطيط الشامل ، بهدف مضاعفة الدخل القومى خلال عشر سنوات وحققت الخطة الخمسية الاولى أعلى معدلات ·

وفى السنة الاولى للخطة احجم راس المال الخاص عن الاسهام فى عملية التنمية· وكانت قرارات التأميم بهدف الاسراع فى التنمية، وتنفيذ الخطة التى اعتمدت اساسا على التمويل الذاتى ، وعـــلى المدخرات المحلية .. وكانت القروض فى صورة مصانع تسدد ثمنهـــا من حصيلة الانتاج ·· ولم يتوقف القطاع العام عن النمو ·

وقد اعتمد عليه الاقتصاد المصرى طوال سنوات الحرب .. وظل مصدر دعمه فى توفير المنتجات ، وفرص العمالة ، والموارد للميزانية ·· رغم الحصار الذى فرض عليه طوال الســـبعينيات

والاتجاه الى هدمه ، أو اشراك راس المال الاجنبى فيه.. وعندما رحل جمال عبد الناصر . كانت مصر تحارب وتبنى ، كانت مجموعة ديون مصر المدنية والعسكرية اربعة آلاف مليون دولار معظمها للاتحاد السوفيتى .

القطاع العام التجارى :

.. ويقولون ايضا انه اذا كان القطاع العام لابد ان يبقى ، فانه لا يمكن ان يستمر فى مجال التجارة .. لانه ليس هناك دولة تتاجر فى فناجين القهوة على حد تعبير بعضهم .

وكل دول العالم شرقه وغربه فيها منشآت حكومية توفر مستلزمات المواطن العادى من جميع السلع ، بأسعار تبعدها عن الاستغلال .

وهذا المطلب يبطل حجتهم التى تطالب بتصفية الشركات الخاسرة وحدها .

فان كل شركات التجارة تحقق ارباحا خيالية .. بلغ بعضها فى عام واحد ٤٥ مليون جنيه رغم الالتزام بتحديد الاسعار . وتحمل الاعباء الاجتماعية .

فهم يريدون اذن تصفية القطاع العام التجارى ة بحيث يشتريه التجار .. أو يعود الى شيكوريل ، داود عدس ، وصيدناوى وغيرهم مع ان حجم هذا القطاع ليس كبيرا لا فى العدد ، ولا فى رأس المال بالنسبة لحجم تجارة القطاع الخاص الذى يسيطر على معظم تجارة مصر الجملة والقطاعى .

ويكفى القطاع العام التجارى ، انه نقل المحلات التجارية الكبيرة الى كل مدن مصر والى كل الاحياء الشعبية ، تعرض كل السلع الاستهلاكية والمعمرة ، بنفس السعر الذى تباع به فى القاهرة .

ولان التجار يريدون شراء هذه المحلات ، أو التخلص منها

حتى يخلو لهم السوق لينهشوا فى جسد المستهلك ولان هذه الحملة واضح انها مخططة ، فقد بدأت مبكرا جدا ، ولما فشلت عادت من جديد بعد اثنى عشر عاما .

ففى فبراير ١٩٧٤ كتب على أمين فى جريدة الاهرام يهاجم القطاع العام فى مجال التجارة لان البائعة فى احد المحالات المعروفة احضرت طفلها ، واجلسته فوق « قصرية » ليقضى حاجته فوق المنضدة التى توضع عليها المعروضات .

وقد تحدته نقابة العاملين بالتجارة ان ينشر اسم متجر القطاع العام الذى وقعت فيه هذه الحادثة ، ولكنه وهو رئيس تحرير الاهرام رفض نشر الرد ٠٠ وحاولت النقابة ان تنشر ردها كاعلان مدفوع الاجر ، ولكنه رفض أيضا ، بل وهاجم النقابة دون ان يستجيب للتحدى ، ويفصح عن اسم محل القطاع العام الذى وقعت فيه هذه القصة الملفقة ٠ وكان السبب بسيطا ، هو ان الواقعة لم تحدث ، ولكنها كانت بداية لمخطط يستهدف تصفية القطاع العام فى مجال التجارة ، وتسليمها كلها للقطاع الخاص ٠٠ ولكن ازاء رد الفعل العنيف سكتت الحملة ٠٠ وعادت تتجدد بعد كل هذه السنوات ، مما يكشف الغرض من ورائها ٠

من الذى زيف تاريخ مصر .. ؟؟

ومن الافتراء على جمال عبد الناصر ما يدعونه من انه اعتبر ان تاريخ مصر يبدأ بثورة يوليو والغى كل تاريخ مصر قبل الثورة .

وقد انساق البعض وراء هذا الادعاء دون ان يقدموا دليلا واحدا يثبت صحته ظلوا يرددونه .. ويرددونه حتى صدقوا انفسهم !

وفى المؤتمر الوطنى الذى ناقش الميثاق ، حينما انطلق البعض تمجيدا فى جمال عبد الناصر ، قال لهم ان مصر ابقى .. وكانت مصر قبل عبد الناصر وسوف تظل بعده .

وكان المؤتمر يناقش ميثاق العمل الوطنى الذى قدمه عبد الناصر من عشرة ابواب بينها ثلاثة ابواب تتحدث عن تاريخ مصر قبل الثورة .. وفى الباب الثالث الذى خصص لعرض جذور النضال المصرى تحدث عبد الناصر عن تاريخ مصر منذ العصر الفرعونى ، وعصور السيطرة الرومانية والاغريقية ، وفى اطار الفتح الاسلامى « قبل أن ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة باسرها كان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة باسرها .

« ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية كما يقول المؤرخون ، فان الحملة حين جاءت الى مصر وجدت الازهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه الى الحياة فى مصر كلها ، كما وجدت أن الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلف .

« وجاءت الحملة الفرنسية بزاد جديد لطاقة الشعب الثورية فى مصر ومعها لمحات من الحضارات والحضارة الفرعونية والعربية فى مقدمتها » .

وتحدث عبد الناصر عن محمد على مؤسس الدولة الحديثة فى مصر .. ثم هجوم المرابين والسماسرة على مصر ، وتركيز الاحتكارات المالية الدولية لحفر قناة السويس ، وتحويل مصر الى حقـــل لزراعة القطن لتدور الصناعة البريطانية : ورصد كيف كافح الشعب المصرى ، وكيف كانت ثورة عرابى هى رد الفعـــل الثـــورى على نكسة اليقظة المصرية ، فى مواجهة الاحتلال القادم بأساطيله » .

ولم يفت عبد الناصر ان يتحدث فى الميثاق عن محمـــد عبـــده وقاسم امين .. وسعد زغلول ، وراى ان ثورة ١٩١٩ قد فشلت لان القيادات الثورية اغفلت اغفالا تاما مطالب التغيير الاجتماعى ، ولان هذه القيادات لم تستطع ان تمد بصرها عبر سيناء وعجـــزت عن تحديد الشخصية المصرية ، ولم تستطع ان تستشف من خـــلال التاريخ انه ليس هناك صدام بين الوطنية المصرية والقومية العربية ، فلم تنتبه الى خطورة وعد بلفور الذى انشا اسرائيل لتكون فاصـــلا يمزق امتداد الارض العربية ، اما السبب الثالث الذى راى من اجله عبد الناصر ان ثورة ١٩١٩ قد فشلت فهو انها لم تستطع ان تلائم بين اساليب نضالها وبين الاساليب التى واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب ، حيث اعطى الاستعمار من الاستقلال اسمـــه وســـلب مضمونه كما تحدث عن معاهدة ١٩٣٦ ، والفترة بين توقيع المعاهدة وقيام الثورة » .

الذى يتحدث فى الميثاق عن جذور النضـــال المصرى ويعرض رؤيته لهذا النضال لا يمكن أن يكون اهمـــل تاريخ مصر أو الادعـــاء بأن هذا التاريخ بدأ به .

وكان الميثاق هو دليل العمل الوطنى الذى درسته كل قيادات التنظيم السياسى ، اى انهم جميعا درسوا هذه الفترات من خـــلال رؤية الميثاق واختلفوا واتفقوا .

وعندما كان ميثاق العمل الوطنى يناقش ، لم نســـــمع عن واحد من الذين ينقدون الثورة اليوم ؛ وقف ليضع رؤية مختلفـــة

لتاريخ الشعب المصرى ، وكانت المناقشات واسعة داخل المؤتمر الذى يضم الاساتذة والعلماء والمفكرين ، وأيضا على صفحات كل الصحف .

ولقد اختلفت مجلة روز اليوسف مع رؤية جمال عبد الناصر لثورة ١٩١٩ وقامت بحملة صحفية على امتداد ثلاثة اشهر شارك فيها العديد من الكتاب والمؤرخين والسياسيين ، وكان عنوان هذه الحملة « لا . . لم تفشل ثورة ١٩١٩ » فقد كانت الاجزاء التاريخية من الميثاق هى رؤية جمال عبد الناصر .. التى يلزم مناقشتها بصرف النظر عن اوجه الاتفاق والاختلاف .. كما كان الميثاق كله مطروحا للمناقشة ، فلم يكن هناك حظر على مناقشته والاختلاف معه .

رد اعتبار الزعماء :

ولقد كان فى مقدمة اعمال الثورة تقدير الزعماء الوطنيين واعادة تصحيح تاريخ مصر الذى زيف لحساب اسرة محمد على ، خاصة على اقلام المؤرخين الاجانب الذين تولوا مسئولية كتابة تاريخ الاسرة الملكية ، والذى زيف ايضا من خلال بعض الاساتذة فى جامعة فؤاد الاول بالجيزة ، وجامعة فاروق الاول بالاسكندرية .

وكان فى مقدمة أعمال الثورة اعادة تصحيح تاريخ الثورة العرابية ، الذى شوه لحساب الاسرة المالكة ، فافرجت عن الكتب التى صودرت لانها لا تهاجم الثورة العرابية ، ولا تصفها بانها هوجة .

وكان هذا أول رد اعتبار لتاريخ احمد عرابى المفترى عليه والذى ظلم طويلا .

ثم قررت فى ١١ فبراير ١٩٥٣ - ذكرى مصطفى كامل - نقل رفاته من مقبرة الامام الشافعى الى المقبرة التى اقيمت له ، وتم ذلك فى احتفال حكومى وشعبى كبير .

وبعدها بشهور فى ١٥ نوفمبر من نفس العام تقرر ان يقام احتفال رسمى وشعبى ايضا لنقل رفات محمد فريد من مقبرته بجوار

السيدة نفيسة الى حيث يرقد جثمانه الى جوار زميل جهاده مصطفى كامل ..

بعدها أيضا تم نقل جثمان سعد زغلول الى مقبرته التى اقيمت وظلت عشر سنوات خاوية ، لان وزارات ما قبل الثورة رفضت ، ولم يستطع الوفد وهو فى الحكم ان ينقلها الى مقبرته ..

وكانت هذه لفتة رسمية لتكريم زعماء مصر الوطنيين ..

وعندما بدأت محاكمات الثورة التى رأسها عبد اللطيف البغدادى، وقدم اليها عدد من السياسيين ، وفتح المجال واسعا لنشر ما يدور فيها من اقوال المتهمين والشهود والدفاع فى جلسات علنية .. كان أحد أهداف تقديم بعض السياسيين اليها نشر كثير من وقائع تاريخ السنوات السابقة القريبة على الثورة من وجهات نظر مختلفة ، لذلك فانه رغم صدور الاحكام بالسجن على السياسيين لمدد — طويلة الا أنه تم الافراج عنهم ، لان الهدف لم يكن سوى اتاحة الفرصة للناس لتعرف ماذا كان يدور فى كواليس السياسة فى مصر ، ومن اجل ذلك تقدم لمحكمة الثورة فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج ، وسليمان غنام ، وكريم ثابت ، وأحمد النقيب طبيب الملك ، وزينب الوكيل وعباس حليم ، ومحمود وحسين أبو الفتح كما حوكم عثمان محرم وابراهيم عبد الهادى وغيرهم ..

وعندما تنكر كل رجال الوفد لمصطفى النحاس فى سنواته الاخيرة ، وقدم طلبا لبنك مصر للحصول على سلفة ، اتصل رئيس البنك احمد فؤاد بجمال عبد الناصر الذى أمر بأن يصرف له كل ما يريده وفورا ، وعلى نفقة الدولة ، وأن توفر له حياة كريمة .

وقد انتقل النحاس باشا الى رحمة الله ، وجمال عبد الناصر فى اليمن ، وتقرر أن تكون جنازته رسمية ، وشعبية ، وان تشارك فيها الحكومة تقديرا لجهود الرجل التى مازالت موضع خلاف .

وكان الوفاء لدور الرجل هو الذى أوحى بأن تشارك الحكومة فى جنازة مصطفى النحاس .. ولكن البعض رأوا لاسباب خاصة أن يحولوا الجنازة التى شارك فيها الجيش ، وسار فيها مندوب

الرئيس ارادوا تحويلها الى مظاهرة سياسية ضد النظام ، الأمر الذى ادى الى القبض على عدد منهم ..

نشر تاريخ مصر :

كان تاريخ مصر يدرس فى الجامعات وفى المدارس .. وكان رأى الثورة واضحا فى وصم الاحزاب بالفساد .. وفى وصم النظام الملكى وفى تناول الاستعمار البريطانى الذى ظل جاثما على صدر مصر حتى جاءت الثورة ، وحررت البلاد منه .

وكانت كتب التاريخ يعدها اســاتذة متخصصون ولم يكتبها جمال عبد الناصر ، ولا احد من رجال الثورة .. ولم نسمع أن استاذا بالجامعة قد املى عليه ما يقوله لطلبة اقســام التاريخ او ان يزيف فى كتبه ، فقد درس طلاب الجامعات مناهج التاريخ وفقــا لرؤيــة اساتذتهم .

ومع انتشار الجامعات فى كل المحافظات ، انتشرت اقســام التاريخ بكليات الاداب تدرس للطلاب تاريخ مصر الحديث والقديم ، ومع الكثافة الهائلة فى اعداد طلاب الدراسات العليا والحاصلين على شهادات الدكتوراه والماجستير ، قدمت الى الجامعات مئــات من الرسائل الجامعية فى تاريخ مصر الحديث ، وتطور الحــركات الوطنية ، والعماليةوالسياسية والاقتصادية ، ودراساتعلميةاخرى عن الاحزاب المصرية ودورها فى الحياة السياسية ، وعــن البرلمان المصرى ، وديمقراطية ما قبل الثورة والاحتــلال البريطـــانى ، ودور القصر الملكى ، وغيرها من القضايا التاريخية الحديثة كانت موضع المناقشة والدراسة داخل مدرجات الجامعة واغلبها قــامت بطبعه ونشره دور النشر الحكومية .. ولم يصادر كتاب واحــد فى التاريخ ، ولم يمنع كاتب واحد من تسجيل رؤيته او مذكراته ، بــل ان مصطفى امين كتب سلسلة من المقالات حول فشل ثورة ١٩١٩ ، لانه كان قريبا من سعد زغلول ويعرف اسرار الثورة ، كما أنه هــو الذى هاجم النظام الحزبى قبل الثورة ، كما هاجم النظام الملكى ، وهو

الذى كرس جهده للهجوم على حزب الوفد ، ووصفه بالانحراف ، وكان يركز هجومه بالذات على فؤاد سراج الدين .. واذا كان ذلك تزييفا للتاريخ ، فان من قام به هم الذين يتهمون عبد النـــاصر بانــه زيف التاريخ . واذا كان التزييف قد وقع ، فلمـــاذا سكت العالمون ؛ واساتذة التاريخ عن تصحيح الوقائع التى يعرفون كذبها .. ولم نسمع ان واحدا قد كتب مقالا ومنع ، او اصدر كتابا وصودر .

كتب الرافعى للتلاميذ :

اعادت الدولة طبع كتب المؤرخ عبد الرحمن الرافعى اكثر من مرة . وهى تروى تاريخ مصر فى العصر الحديث ، ولم يحدث اى تغيير فيها .. بل انه عاش حتى اصـــدر جـــزءا عــن « ثورة يوليو فى سبع سنوات » ، قال فى مقدمته انه سبق ان كتب تاريخ الثورات التى قام بهـــا الشعب المصرى .. « واجـــدنى اكثر غبطة وابتهاجا لثورة يوليو لانها جاءت تتويجا للثورات الماضية وهى فى مجال المقارنة والموازنة تعد انجح الثورات فى تاريخ مصر الحـــديث فقد حققت الاهداف القـــومية اكثر مما حققته الثـــورة الســـابقة جاهدت واستطاعت ان تصل الى نتائج كنا ننادى بها ونجاهد فى سبيلها طول السنين ، فجلاء الاحتلال الاجنبى ورفض الاحلاف العسكرية الاستعمارية وتقوية الجيش وتسليحه ، وتأميم قناة السويس ، وبعث القومية العربية ، كل هذه الاهداف التى كنا نعمل لها قد تحققت فى عهد الثورة ، كما سارت الثورة قدما فى سبيل تصنيع البلاد وبذل الجهود المتواصلة لبعث النهضة الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد والى جانب النهضة السياسية . فاذا قورنت ثورة يوليو بالثورات السابقة عليها كان لها الافضلية عليها واذا قورنت بثورات قامت فى بلدان اخرى نجدها ايضا تفضلها فى المنهاج والتتابع فكثير من الثورات الاخرى اصابها الانتكاس والاخفاق ، او اقترنت بالفظائع والتخريب وسفك الدماء » لم تمنع كتب عبد الرحمن الرافعى عــن تاريخ مصر القومى قبـل الثورة ، وطبعتها الدولة عـــلى نفقتها ،

وبعضه قررته على المدارس الاعدادية والثانوية ·· ولاول مرة تتقرر كتب التاريخ للقراءة على تلاميذ المدارس فى سلسلة اسمها تاريخ مصر القومى .

دراسة ثورة ١٩١٩ :

ولقد حظيت ثورة ١٩١٩ باهتمام خاص من الدولة ·· فكانت ضمن المنهج الدراسى لتنظيم الشباب فى الاتحاد الاشتراكى « منظمة الشباب » وأيضا ضمن الدراسات التى توجه لكوادر العمل السياسى فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ·

وصدرت عشرات الكتب عن ثورة ١٩١٩ ، كما خصصت سلسلة للكتب التاريخية أصدرتها وزارة الثقافة ، وانشأت الحكومة دارا للوثائق ، وجمعية للدراسات التاريخية · وظهرت مدرسة تقدمية ووطنية فى كتابة التاريخ وتحرر التاريخ المصرى من عقدة الخواجة فهم الذين كتبوه ، وهم الذين استدعوا من الخارج ليسجلوا امجاد اسماعيل المفترى عليه ، وجميع حكام اسرة محمد على ·

وفى عام ١٩٦٩ كان قد مضى نصف قرن على ثورة ١٩١٩ ، وقررت الحكومة ان تحتفل بهذه المناسبة ، واقيمت الندوات ، ونشرت الكتب والدراسات ، وشاركت صحف مصر ومجلاتها فى هذا الاحتفال ، ونشر الاهرام وحده مسلسلا من ٣٥ حلقة يومية عن ثورة ١٩١٩ ·

وانشأت جريدة الاهرام ·· المقربة من جمال عبد الناصر مركزا للدراسات التاريخية لمصر المعاصرة وكان أول عمل قام به المركز هو اعداد دراسات عن ثورة ١٩١٩ ثم نشرها بعد ذلك فى مجلد ضخم ، صدر فى عهد عبد الناصر · وقال محمد حسنين هيكل فى مقدمة الكتاب ان الاهرام كان « يشعر ان تاريخ مصر الحديث قد تعرض لازمة سببها سوء الفهم أحيانا ، وسوء القصد أحيانا اخرى وتمثلت هذه الازمة فى عدة ظواهر بينها :

١ ـ ان وثائق كثيرة من تاريخ مصر الحديث ضاعت أو هى

معرضة للضياع بسبب العجز عن تمثيل رؤية تاريخية ســـــليمة تستطيع تتبع مسار التطور المتصل والحى لشعب كان له فى التاريخ الانسانى كله دور مرموق ٠

٢ ـ ان تاريخ مصر الحديث تعرض لحملة من سـياط التعبيرات المطلقة والسهلة تدمغ الماضى اجمالا ، وتظن انها بذلك ترضى الحاضر ناسية ان الحاضر مهما كان اختلافه عن الماضى ، ولد فى احشائه وبدأ فيه ٠٠٠ وبالتالى ، فأنه ليس هناك ذلك الانغلاق الكامل بين عهد بائد ، وعهد جديد قام على أطلاله ٠

٣ ـ ومن نتيجة ذلك ان ساد تصور سطحى بــدأ معه ـ خطأ وكأن تاريخ مصر الحديث لم يبدأ الا بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وكان ذلك اهدارا غير مقبول ، كما انه غير صحيح لصفحات هامة من تاريخ مصر الحديث جرت وقائعها قبل سنة ١٩٥٢ » ٠

دفاع عن تاريخ مصر :

« ليس ذلك دفاعا عن عبد الناصر ، ولكنه دفاع عن تاريخ مصر ، فالذين يقولون ان ـ تاريخ مصر بدأ مع الثورة يذلون من شرف مصر وكفاح شعبها ، ونضاله ، ويتجاهلون ـــ انجازات الشعب ونضاله ومواقفه على امتداد آلاف السنين ٠ »

ولم تقل الثورة أبدا انها اتت من فراغ ، وما كان يمكن أن تاتى من فراغ ، ولكنها قالت انها جاءت نتيجة للاوضاع الفاسدة الظالمة فى المجتمع .. ووصـــفت الحياة السياسية قبل الثورة بالفساد ، ولكنها لم تمنع من دراستها ، ولم يحل بين المؤرخين ، وبين اظهار وجهة نظرهم معها أو ضدها ، كما انها وسعت مجال الدراسات التاريخية ٠٠ والذين يتحدثون اليوم عن تزييف التاريخ سواء كانوا من الكتاب أو الاساتذة لم يقولوا لنا ماذا كان موقفهم عندما كانوا يرون هـــذا التزييف ، وكيف طاوعهم ضـــميرهم أن يسكتوا طوال هذه السنوات ، ليستيقظوا فجأة على الجريمة التى ظلت ترتكب امام عيونهم ثمانية عشر عاما وهم صامتون ٠

حـزب الباشـــا ... وثورة يوليو

فى القائمة الأولى للارض التى اســتولت عليها الثــورة فى سبتمبر ١٩٥٢ من الاقطاعيين ووزعتها على الفلاحين تأتى اسرة سراج الدين بعد أسرة الملك السابق .

وكانت الثورة قد اصدرت قــانونا للاصـــلاح الزراعى يترك للمالك واسرته ٣٠٠ فدانا ، وتستولى الدولة على مازادعــن ذلك لتوزعها على المعدمين .

وكان هذا القانون سببا فى صدام بين الثورة والوفد ، وعلى وجه التحديد بين الثورة وفؤاد سراج الدين .

ولو وافق سراج الدين على انصـــاف الفــلاحين ، وعلى الاجراءات الاجتماعية للثورة ، لتغير أيضا مستقبل الحياة السياسية فى مصر .

فالضباط الشبان كان من آمالهم اقامة العدل الاجتماعى بعد ان استفزتهم مظاهر الفوارق الرهيبة بين الجـــياع وبين الذين يستوردون بالطائرة الطعام ساخنا من مطعم ماكسيم بباريس .

ولكن فؤاد سراج الدين بالذات عرقل اللقــاء بين الثـــورة والوفد ، لاسباب سوف نرى أنها منطقية من وجهة نظر مصالحه العائلية .. وكان عبد الناصر قد التقى بسراج الدين اكثر من مرة فى محاولة لاقناعه بقانون الاصلاح الزراعى .

فلم يكن ثمة عداء بين الثورة وبين حزب الوفد ، رغم ماكان للضباط عليه من ملاحظات تمس النزاهة وصلابة الموقف مع القصر .

وتغاضت الثورة عن ذلك ، وحاولت الالتقاء مع الوفد وكان الامل ان يكون دعما لاجراءاتها فى تحقيق العدل الاجتماعى .

وفى اجتماع للجنة التحضيرية يروى جمال عبد الناصر قصة أربعة لقاءات تمت بينه وبين فؤاد سراج الدين ، وموقف حزب الوفد من قانون الاصلاح الزراعى ، ولم يظهر طوال هذه الســـنوات من

يصحح واقعة ، وقد كان المؤتمر الذى ذكرت فيه هذه الوقائع يضم مختلف القيادات ، ووقف الكثيرون يعارضون عبد الناصر ومعارضتهم تذاع على الهواء ، ويستطيع الباشا أن يجد الى جواره الان خالد محمد خالد الذى وقف فى المؤتمر يروى كيف طردته أسرة البدراوى عاشور من الارض هو وعائلته وهى أسرة الباشا ·· قال جمال عبد الناصر فى ذلك الاجتماع

« تجربة ٢٣ يوليو ، انا لما بقول على هذه التجربة اللى مرت فى العشر سنين الى فاتت باقولها علشان بنشوف الدروس اللى احنا قدمناها ، ولكن كنا نعبر عن امل الشعب فى القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم أعوان الاستعمار ، ولكن لم يكن فى خاطرنا ابدا ان نحكم كنا نعتقد اننا قد نستطيع ان ننفذ المبدا السادس أو الهدف السادس من اهداف الثورة وهو حياة ديمقراطية نطمئن لهـا ويطمئن لها الشعب ·

« كان بيبان لنا من اول يوم انه عمل سهل خصوصا بعدما خرج الملك وبعد ما تخلصنا منه وطلبنا من حزب الوفد ان يطهر نفسه من المستغلين ، ثم طلبنا منه ان يستعد ليتولى الحكم باعتباره كان قبل كده يمثل الاغلبية · ولكن كان لنا طلب واحد وهو اننا حين ننفذ الهدف السادس او حين نضع الهدف السادس من اهداف الثورة اومن مبادىء الثورة موضع التنفيذ وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لم يكن لنا باى حال من الاحوال ان نهمل الاهداف الخمسة الاخـرى والتى تقضى بالقضاء على الاستعمار واعوان الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى ، فطالبنا ان تتعهد الاحزاب وان يتعهد الوفد بالذات بوضع هذه الاهداف موضع التنفيذ ·

وكان البلورة الاولى لاقامة حياة اجتماعية سليمة او اقامة عدالة اجتماعية البلورة تحديد الملكية او تنفيذ قانون تحديد الملكية حصلت اتصالات مع الوفد · اجتمعت مع فؤاد سراج الدين اربع مرات من اجل بحث هذا الموضوع ·· اجتمع مجلس ادارة الوفد مرة واثنين وثلاثة واربعة ليبحث طلبنا · طلبنا كان تحـديد الملكية ، تحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان و ١٠٠ فدان للابناء ، يعنى تحديد الملكية كل ٣٠٠ فدان ·

كانت اية النتيجة طوال هذا الاجتماعات ، كانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم وكانت هناك محاولات من جانبهم لاقناعنا ٠

احنا كنا بنطالب بتحديد الملكية وتوزيع الارض على الفلاحين على اســاس ان هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تحرر الفلاح الذى نشــأ فى الارض ، ملازم للارض والذى اعتبر ســـلعة فى الارض ، عبد للارض ، ملك لمالك الارض ، ملك للاقطاعى ٠ هم كانوا بينظروا للارض نظرة اخرى ، كانوا بيقولوا اذا كنتم عايزين تحددوا الملكية طيب ما تفكروا فى اسلوب آخر ، فكـــروا فى الضراب التصاعدية ، قد تساعدكم فى رفع دخل الخزانة وتساعد فى رفع ميزانية البلاد ، كان مفهوم بيختلف عن مفهوم ، كنا بنقول ان احنا مش عايزين فلوس للخزانة ولكنا نريد ان نحرر الانسان ، هم ماكانوش بيفهموا معنى تحرير الانسان بالكلام اللى احنا بنقوله وبيعتبروه كلام شعارات ، كلام مابيجيش عنه ناتج ولا عائد ، ولكن الناتج والعائد يمكن بيجى من الضراب التصاعدية ، وعلى هذا الاساس لم نستطع ان نتفق ٠

ما اتفقناش ابدا ٠ هم كانوا بيفكروا بعقلية واحنا كنا بنفكر بعقلية ، احنــا كنا بنقول نريد الفلاح ان يمتلك حتى يكون حر ويستطيع ان يقول ايوه أو لا ٠٠٠ طالما هو متملك الارض يشعر بحريته ، والحرية مش معناها باى حال من الاحوال برلمان وقبة برلمان وشعارات ديمقراطية ولكن الحرية هى حرية الفرد ٠ اذا استطاع الفرد انه يقول ايوه واذا استطاع اى فرد انه يقول لا يبقى حر ، لكن الفرد اللى ملازم للارض وملازم للاقطاعى واللى بيشتغل فى الارض مع الاقطاعى زيه زى البهايم اللى موجودة عنده لا يمكن بحال من الاحوال انه يشعر بالحرية ولا يمكن الا ان يكون تابع للاقطاعى وليس لارادته اى قيمة ٠

على هذا الاساس رفضوا هم تحديد الملكية الذى طلبناه ، رفضوا انهم يحكموا رفضوا ان يعودوا الى الحكم على اساس تحديد الملكية ٠ طبعا احنا كنا نصمم على تحديد الملكية ٠ وكان الامر بالنسبة لى فى هذه الايام غريب كل الغرابة ، ولكن بعد كده طبعا تبينت ان العملية لا تحتاج الى غرابة ومافيهاش الغاز ومافيهاش عقد باى حال من الاحوال ، ازاى الواحد يقعد يتفاوض مع الاقطاعى وصاحب الارض علشان

تحديد الملكية ، ويطلب منه صك على اخذ ارضه وتوزيع املاكه وكان حزب الوفد فى هذا الوقت عاوز يمثل طبقة من ملاك الارض ، من طبقة الاقطاعيين وده طبيعى انهم لن يقبلوا الوضع الطبيعى انهم يرفضوا هذا الكلام ، واحنا كنا بسطاء جدا حينما طلبنا من الاقطاع انه يقبل بنفسه ان يوقع صك القضاء على الاقطاع ، وتحــرير الارض وتحرير الفلاح لان معنى هذا حتى من الناحية السياسية القضاء على الحزب نفسه ، لان الحزب كان بيعتمد على الاقطاعيين فى كل بلد ، وفى كل مديرية ، فى هذا الوقت كانبيعتمدوا على الفلاحين اللى بيشتغلوا عندهم انهم يدوهم اصواتهم » ٠

وكان الباشا اذن هو الذى عرقل لقاء الوفد مع الثورة منذ البداية ، وكان الباشا رافضا لقانون الاصلاح الزراعى . ولم يكذب حتى الان هذه الوقائع ، وانما كرس كل جهده هو وحزبه للنيل من عبد الناصر ، باعتباره التجسيد الحى للثــورة التى قضت على حكم الباشوات ٠٠ والباشا وحزبه مثل الاخوان لا يرون فى سنوات الثورة اية حسنة على الاطلاق ٠٠ فهم يريدون ان يحذفوا من تاريخ مصر كــل سنوات الثورة . فى الوقت الذى يهاجمون الثورة لانها فى رايهم حذفت تاريخ ما قبلها ٠

محاكمة سراج الدين :

كان فؤاد سراج الدين أمينا مع نفســــه ، ومع طبقتــه ، عندما رفض قانون الاصلاح الزراعى واقالت الثورة وزارة على ماهر التى تعاطفت مع كبار الملاك ٠ وقررت ان تسير فى الطــريق الذى رسـمته لنفســها بتحقيق العــدل الاجتـماعى ، وتوزيع أراضى الاقطاعيين على المعدمين من الفلاحين ٠

وكان هذا سببا كافيا ليحقد الباشـــا على الثورة ، بعد ان وزعت أرضه على الفلاحين ، قضت على دوره الســياسى وحلت الحزب الذى استطاع بطرق مختلفة ان يكون سكرتيره العام ٠٠ ثم تعقبت نفوذه هو وأسرته فى الريف فعصفت به مما دفعهم الى هجر قراهم نهائيا ، ولم يذهبوا اليها أبدا طوال سنوات الثورة ٠

وكان ما حدث للباشا اكبر من ذلك عندما قدم لمحكمة الثورة

برئاسة عبد اللطيف البغدادى صباح ٩ ديسمبر ١٩٥٣ ، واقيمت ضده ثلاثة ادعاءات ، وكانت المحكمة علنية ، تنقلها الصحف ، وقد استدعت المحكمة للشهادة د. محمد حسنين هيكل وحسين سرى ونجيب الهلالى ، وعلى ماهر ومكرم عبيد وصالح حرب وزكى عبد المتعال ، وعبد الفتاح الطويل، وعلى علوبه ، ومحمد على رشدى وعددا آخر من رجال السياسة او كبار الموظفين .. وكانت الادعاءات العلنية التى قراها الناس ، مع شهادة هؤلاء تكفى فى نظر الباشا لكى يتخذ موقفا مضادا ضد الثورة التى تجسدت فى جمال عبد الناصر ولم تتجسد حتى فى الذين حاكموه من اعضاء مجلس الثورة .. كانت الاتهامات التى وجهتها الثورة الى فؤاد سراج الدين والتى ثبتت لدى المحكمة وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما اثرها .

● كان الادعاء الاول : انه اتى افعالا تعتبر خيانة لامانة الحكم مكنت للفساد فى البلاد .. وذلك انه فى خلال المدة من يناير سنة ١٩٥٠ الى يناير سنة ١٩٥٢ بوصفه سكرتيرا عاما للحزب السياسى صاحب الاغلبية البرلمانية ووزيرا فى حكومته ، وبحكم صلته الوثيقة برئيس ذلك الحزب تواطا مع آخرين وبسوء قصد على توجيه سياسة ذلك الحزب وحكومته توجيها غير كريم .. فجنح بها فى اوسع نطاق الى اهداف فاسدة اساسها الخنوع والاستسلام للملك السابق فتآمروا معه على تنفيذ اغراض ملتوية وتحقيق مصالح ذاتية لا تمت للصالح العام بسبب وطرح المثل الوطنية العليا .. وبذلك خان الامانة التى حملها الشعب لذلك الحزب بتزكيته فى الانتخابات العامة والتى مكنته من التربع على كراسى الحكم .. واهدر النظم الدستورية الصحيحة الامر الذى مكن لطغيان الملك السابق وحاشيته وذويه فى كل المرافق وهيا تربة صالحة للاستعمار .. واثر فى كيان الدولة اقتصاديا وسياسيا وادبيا .

● الادعاء الثانى : أتى افعالا هى استغلال النفوذ وافساد اداة الحكم دون مراعاة لصالح الوطن وذلك انه فى خلال المدة من

يناير سنة ١٩٥٠ الى يناير سنة ١٩٥٢ بوصفه وزيرا للداخلية ووزيرا للمالية ووثيق الصله برئيس الحكومة .

أولا : اشترك مع السيدة زينب عبد الواحد الوكيل زوجـــة رئيس مجلس الوزراء اذ ذاك وشقيقتها عزيزة عبد الواحد الوكيل فى استغلال النفوذ باجراء تصرفات وافعال من شأنها التأثير بالزيادة فى اثمان القطن الاشمونى بقصد الحصول من الشركـات والبيوتـات التجارية والافراد على فائدة من وراء هذه الزيادة فساندوا محمد احمد فرغلى وعلى امين يحيى وفرانسوا نصرى تاجر وغيرهم من تجـار الاقطان فى العمل على احتكار القطن الاشمونى ورفع اسعاره رفعا مصطنعا ينتهى بالبائعين عند حلول اجل تنفيذ العقود الى العجز عن تسليم الاقطان ويخول المحتكرين قبض فروق الاسعار الضخمة .

ثانيا : تزعم فى جلســــة مجلس الوزراء المنعقدة بتـاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٥٠ الدفاع عن الطلبــات التى تقـــدم بها المحتكرون تنفيذا لغرضهم . . وهى الغاء الحد الاعلى لسعر القطن الاشمونى وتبديل لائحة البورصة مع تسليم الاقطان المعاد كبسهـا كبسا ثانيا وتغيير هيئة الخبراء الاستئنافيين ويجعلهم جميعا حكوميين ونتج عن موقف المتهم ومن تأثير شركائه ومن تدخل الملك السابق الى جانبهم ان وافق مجلس الوزراء فى ١٠ يونيه سنة ١٩٥٠ على اجابة كافة طلبات المحتكرين بقرار ذى اثر رجعى .

ثالثا : قبـــل من الياس اندراوس تـــدخلا فى عمـــل يضر بالمصلحة العامة ذلك ان هذا الاخير بوصفه مستشـــارا اقتصاديا للملك السابق ، وثيق الصلة به حمل المتهم على اصدار قرار فى ٢١ مارس سنة ١٩٥١ بتحديد حد ادنى لسعر القطن ثم على اصدار قرار آخر فى ٩ ابريل سنة ١٩٥١ بتدخل الحكومة مشترية له تحقيقا لمصلحته ولمصلحة التجار المضاربين الذين كانت الاقطان قـد وصلت الى ايديهم وقد اذعن المتهم لهذا التدخل المعيب الذى ترتب عليه ان تحملت الخزانة العامة خسائر تقدر بمبلغ ١٥ مليون جنيه عن

تدخل الحكومة فى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ . كما قدرت الخسائر عن التدخل فى سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ . بمبلغ ٧ ملايين و ١٠٠ الف جنيه . وكان من نتيجة هذه السياسة الفاسدة والعمليات ان ساءت سمعة البلاد التجارية فى الاسواق العالمية وانعدمت الثقة فى مركزها المالى فضلا عن الانهيار الاقتصادى الذى اودى بكثير من بيوت التجارة المصرية .

● الادعاء الثالث : اتى افعالا من شأنها افساد اداة الحكم واجرى تصرفات هى استغلال للنفوذ . . وذلك انه .

اولا : فى شهر يوليه سنة ١٩٤٩ بوصفه وزيرا للمواصلات استغل نفوذه ليحصل صهره « عبد المنعم هنو » على فائدة من احدى السلطات العامة بالعمل على زيادة ثمن عقار مملوك له بجهة العجمى فأمر بأنشا طريق يوصل بين طريق الاسكندرية — مرسى مطروح وبين ساحل البحر الابيض المتوسط عند الكيلو رقم ١٧ ليخترق ارض ذلك الصهر وفعلا اتخذت الاجراءات وسار التنفيذ بخطى سريعة غير عادية وتم انشاء الطريق على الرغم من ان مصلحة السياحة طالبت بأنشائه عند الكيلو رقم ١٤ ليكون قريبا من المدينة وليتيسر الانتفاع بهذه المنطقة فى الاصطياف وبذلك انفقت من اموال الدولة مبالغ كبيرة بلا مبرر اللهم الا المصلحة الخاصة وحدها على حساب المصلحة العامة .

ثانيا : فى غضون سنة ١٩٥٠ وهو وزير للداخلية ، حصل على مبلغ خمسة آلاف جنيه من النائب السابق محمود عثمان حمزاوى « كرشوة فى مقابل اداء عمل صميم خصائص وظيفته وهو نقل مقر مركز الروضة بمديرية اسيوط من بلدة « الروضة » الى بلده « المحرض » .

ثالثا : وفى غضون سنة ١٩٥٠ وهو وزير غير متخصص « وزير داخلية » اتفق مع آخرين على عرقلة اجراءات تحقيقات الاسلحة والذخيرة الفاسدة باخفاء الادلة المادية وتوجيه

التحقيق وجهة تنكرها العدالة تنفيذا لمشيئة الملك السابق تقربا منه وتوصلا لمرضاته .. فتدخل سافرا وعمل على تهريب احد المتهمين من رجال الحاشية — ادمون جهلان — الى الخارج وحماه بماله من سلطة من الوقوع فى قبضة المختصين .. فلم يمكنهم من استجواب او وضع يدهم على ادلة الجريمة .. وترتب على هذا الاجراء البغيض ان افلت ادمون جهلان من العقاب .

رابعا : فى شهر فبراير سنة ١٩٥١ بوصفه وزيرا للمالية خالف القوانين وتهاون فى مصلحة البلاد .. فوافق على صرف مبلغ ١٠٠ الف جنيه قيمة مخصصات الملك السابق عن سنة مقبلة على خلاف ما تقضى به الاصول المالية وقواعد الميزانية كما وافق على تحويل هذا المبلغ للخارج بالدولارات الامريكية رغم ما تستلزمه المصلحة العامة من الاحتفاظ بالعملة الصعبة لحماية اقتصاد البلاد .

خامسا : فى شهر يناير سنة ١٩٥٢ بوصفه وزيرا للمالية وافق على تحويل مبلغ ١٢٥ الف جنيه الى الخارج دون مبررات أو دواعى من المصلحة العامة بل كان الاعتبار فيه الصالح الخاص .. فحابى السيدة « هند عريضة » مالكة لعمارة رقم ١٠٦ بكورنيش الاسكندرية التى تعاقدت على بيعها لوزارة الاوقاف فأجابها الى ما اشترطته من تحويل الثمن الى الخارج فى الوقت الذى كان متعاقدا مع زوجها « جورج عريضة » على شراء العمارة رقم ٢٣ بشارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة الامر الذى يضفى على تصرفاته صفة الاستغلال ويدمغها بسوء القصد .

اقطاع الباشا وعائلته :

فى القائمة الاولى للارض المستولى عليها والموزعة على الفلاحين تقرأ اسماء عائلة سراج الدين ، واسماء عائلة صهره البدراوى عاشور ، وقد استولت الثورة على مساحات يكفى الاستيلاء عليها

وحده لكلهذا الحقد.تقول الرقام ان الفلاحين حصلوا علىالمساحات التالية من اراضى الباشا واصهاره : محمد فؤاد سراج الدين استولى منه زيادة على ١٦١٦ فدانا و ٢٢ سهما بالضبط ، اما بقية افراد اسرته فسوف نكتفى بالفدانين وتحذف الاسهم والقراريط من الارض المســتولى عليهم منهم وهى : يس سراج الدين ٢٨٨ فدانا . نظله سراج الدين ٢ فدانا . محمد سامى سراج الدين ٤ فدان . عبد الحميد سراج الدين ٩٣ فـــــدان ، انيس سراج الدين ٤٦ فـــــدانا ، جميـــل سراج الـــدين ٣٩٢ فـــــدانا — زكى سراج الدين ٤ فدان ، زكية سراج الدين ٢ فدان ، يحيى محمد البـدراوى ٤٤٦ فدانا . نظلة محمد بدروای ٧٨ فدانا . نبيهة بدراوى ٦٧٩ ، نبوية محمد بدروای ١٢١ فدانا ، محى الدين محمد بدراوى ٨٤٧ فدانا ، محمود كمال الدين بدراوى ٢٨٤ فدانا . محمود سامى بدراوى ٥٣٧ فدانا . محمد منصور بدراوى ٣٣٣ فدانا ، محمد محمد بدراوى ١٥٢ فدانا ، محمد عز الدين بدراوى ١٩٦ فدانا ، محمد زين العابـدين بدراوى ٢٨٧ فدانا ، محمد حسام الدين بدراوى ٩٢٩ ، عبد العزيز محمد بداروى ١٤٦٠ ، فتحية السيد البدراوى ٧٨ فدانا ، احمـــد فتحى السيد البدراوى ٢١٣ فدانا ، ورثة عبد المجيد البدراوى ٧٢٩ فدانا ، السيد محمد البدراوى « ورثة » — ٧٠٣ فدانا ، محمــــد عبد العزيز بدراوى — توفيق محمد بدراوى ٩١٨ فدانا ، حافظ على البدراوى ١١٤ فدانا وحسن السيد البدراوى ٣٦٠ فدانا ، ودولت السيد البدراوى ٧٧ فدانا ، زكية محمد بدراوى ٥٩٩٢ فدانا .

كانت هذه هى مساحات الارض التى استولت عليها الثـورة من عائلة سراج الدين واصهاره بعد ان تركت لكل منهم ثلاثمائة فدان كاملة . . لذلك فان فؤاد سراج الدين كان امينا مع نفســه عنــدما رفض قانون الاصلاح الزراعى ، وهو ايضــا امين مع نفســه الان عندما يكرس ما بقى من حياته للهجوم على ثورة يوليـــو ، وعلى عابدين للافطار مع كتيبة الحرس الجمهورى التى كـــان يتولى

قائدها جمال عبد الناصر الذى جرده من كل هذه الالاف من الافدنة فى القانون الاول ، ثم جرده من نصفها ايضا فى قانون الاصــــلاح الزراعى الثانى . ثم جاءت لجنة تصفية الاقطاع ووضعت كــــــل الاراضى تحت الحراسة .

وعندما يقول فؤاد سراج الدين ان مصر لم يكن بها اقطاع ، فقد يصدقه البعض اذا كان يقصد صورة الاقطاع التى شــــهدته أوربا فى القرون الوسطى .. ولكن هؤلاء الذين يصدقونه لا يعرفون أن الاقطاع الاوربى حيث كان يملك الاقطاعى الارض بمن عليهـــا من سكان .. هذه الصورة كانت موجودة فى عائلة البدراوى اصهار فؤاد سراج الدين الامر الذى ادى الى ثورات وانتفاضات للفلاحين فى القرى التى كانوا يملكونها .

لقد عاد الباشــــــا لممــــارسة دوره الســـــياسى من انقاض الماضى وكان هناك من دعم عودته وأوصى بها ، وفى يوم زيارة الســــادات للولايات المتحدة اعلن فى مصر عودة حزب الوفد وقام الحزب واسفر عن هدفه الاساسى وهو .. الانتقام من ثورة يوليو ، ومن قائدها جمال عبد الناصر ، فلم ير فى الثورة انها حررت الفلاح.. لان ذلك ضده .. وهو يعترض على النسبة المخصصة فى المجالس المنتخبة للعمال والفلاحين وهو يعترض على التصنيع وعلى القطــاع العام .. وبديهى انه ضد الاشتراكية .. وايضا لا يرى فى عبد الناصر الرجل الذى حرر البلاد من الانجليز ، وهو الامر الذى كان حـــزب الوفد يناضل من اجله قبل الثورة لسنوات طويلة .

تصفية قيادات حزب الوفد مع عبد الناصر .. هى مجرد الثأر .. لما حدث لهم ولعائلاتهم من تأميم أو قضاء على النفوذ أو تحـــديد ملكيته وتوزيع ارضهم على المعدمين ، ثم محاكمة بعضهم ، وعـــزلهم عن الحياة السياسية طوال هذه السنوات التى صمتوا خلالها ، هم واتباعهم .. وعادوا مملوئين حقدا وشرا ، وسمموا ليصـــفوا حساباتهم ، من تصور ان الجيل الجديد يمكن أن يضلل كل الوقت .

... وأموال أسرة محمد على أيضا

وحتى أموال أسرة محمد على أدخلوها فى الحملة على جمال عبد الناصر .. وهم عادة يرددون نظريات قديمة ، وقصصا ملفقة . سبق ان رددتها بعض اجهزة المخابرات الاسرائيلية والامـــــريكية المعادية للعرب ولجمال عبد الناصر .. ولا يتحدثون ابدا عن أشياء محددة .. أو وقائع معينة .. ولكنهم يكتفون بتعميمات تسيء ولكنها لا تمسك عليهم . معتمدين على أن احدا لن يجد الوسيلة للرد وتفنيد اقوالهم . أو حتى مساءلتهم حول وقائع معينة .

جريدة مشبوهة كانت تصدر فى بيروت خلال الخمسينات اسمها الحياة .. نشرت ان نجل جمال عبد الناصر شوهد وهو يبيع بعضا من مجوهرات الملك فاروق فى لندن ..

وكان أكبر اولاد جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت طفـــــلا بالمدرسة الابتدائية .

وهى نفس القصة التى عادت بعض الصحف تنشرها اخيرا ، بنفس الكلمات ، ونفس التفاصيل .

وهذه ليست كل القضية ، فهم يطرحون قضية اموال اســـرة محمـــــد على .. وهى الامـــوال التى خصصت للمجلس الدائم للخدمات الذى كان يشرف عليه عضو مجلس قيـــادة الثـــورة عبد اللطيف البغدادى . والذى اقام حتى عام ٥٨ حوالى ٨٦٤ وحدة مجمعة بالقرى تخدم كل وحدة ١٥ الفا وتضم مدرسة ومستشفى وعيادة وصيدلية وخدمات زراعية مختلفة وقمم للصـــــناعات الزراعية الريفية .

واقام كورنيش النيل ، و ١٢٣٥ مدرسة فى السنوات الخمس الاولى للثورة ، وكان عدد المدارس التى اقيمت فى العام السابق للثورة ثلاث مدارس فقط .. كل هذه المشروعات تمت بتمويل من اموال أسرة محمد على المصادرة .

وكان عدد الذين صودرت أملاكهم ٤٠٧ فردا من اسرة محمد على سمح لهم بأن يسكنوا قصورهم مقابل ايجار رمزى ، وقد صودر للملك السابق ٢٤ قصرا وتفتيشا و ٤٨ الف فدان عدا الاموال التى التى كانت باسمه فى البنوك ، ويختان هما فخر البحار وفيض البحار.

وقد بدأ جرد القصور الملكية بقرار من الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية بتشكيل لجان لجرد محتويات السـرايات والقصور الملكية .. ثم عينت الثورة وزيرين سابقين للاشـراف على هذه العملية هما حسين فهمى واحمد خشبة ، وظلا يقومـان بأداء عملهما حتى عهد بهذه المهمة الى الاستاذ عبد العزيز على ، وكان احد اقطاب الاخوان المسلمين ، وقد عين وزيرا بعد الثورة .

وقام عبد العزيز على بتأجير ارض المعمورة وكانت فضـاء ــ بايجار رمزى ــ للاخوان المسلمين ، ليقيموا فيها معسكرا صيفيا، ثم اتضح انهم يستغلونها فى تدريب بعض افراد الجماعة علـى استخدام السلاح .. وكلف السيد كمال الدين حسين ببحث الامر معه ، وتم الاتفاق على الغاء التعاقد .

وقد قام عبد العزيز على وكان وزيرا للشئون البلدية والقروية بجولة على استراحات الملك وقصوره ، ووصل على رأس وفد الى استراحة رأس الحكمة ، وانتقى أفضل الغرف ليقضى ليلته فيها .. وفى اليوم التالى نشرت جريدة الاخبار أن الحارس على اموال الملك ينام على سرير الملك .

وكان المكتب الفنى فى مجلس قيادة الثورة ، الذى عهد اليه بتلقى كل التقارير حول هذا الامر برئاسة المهندس محمود يونس .

وصدر قرار بمنع دخول القصور الملكية اطلاقا الا على اعضاء لجان الجرد ، وبموجب تصريحات خاصة .. وندب احمـد حسنى وزير العدل للاشراف على هذه اللجان وكان ايضا من الأخـوان المسلمين .. كما شكلت لجنة قانونية برئاسة المستشار احمد خيرى سعيد لتلقى التظلمات وبعدها شكلت لجنة عليا للاشراف على الاموال

المصادرة من وزراء المالية د . العمرى . د عبد المنعم القيسونى . د . على الجريتلى . ومثل مجلس قيادة الثورة فيها زكريا محيى الدين . . اى ان جمال عبد الناصر كان بعيدا تماما عن هذه القضية .

قواعد لجان الجرد :

اجتمعت ثلاث لجان للجرد برئاسة احمد مصطفى سلطان المدير العام لحساب ومشتريات الحكومة بمكتبه وقد تناقشت اللجان بحضور مندوب من قيادة القوات المسلحة فى كل لجنة «١» .

وتم الاتفاق على الخطوات الواجب اتباعها عند الجرد وقد وقع رئيس اللجنة على محضر الاجتماع الذى تم يوم ٣١ يوليو ١٩٥٢، وهذه الخطوات كما يذكرها الدكتور محمود محمد الجوهرى هى :

جميع المفاتيح تحفظ يوميا فى دولاب زجاجى يغلق ويختم بالشمع الاحمر بنفس الطريقة المبينة فى البند ٦ ويسلم مفتاح الدولاب الزجاجى المذكور الى النوبتجى ويؤخذ عليه الايصال اللازم ·

١ ـ على كل عضو مراعاة منتهى الامانة والدقة والسرعة الواجب انجاز عملية الجرد بها ·

٢ ـ تحرر استمارات الجرد ١٢١ ج من ثلاث صور احداها للقيادة العامة والثانية لوزارة المالية والثالثة تسلم لصاحب العهدة بالسراى أو القصر ·

٣ ـ للقيادة العامة ان تعين مندوبا عنها للاشراف على اعمال هذه اللجان الاربعة الى ان تنتهى المامورية ولحضرة احمد مصطفى سلطان الاشراف العام على جميع هذه اللجان ·

٤ ـ جميع حضرات اعضاء اللجان من رجال الجيش ووزارة المالية ومصلحة الاملاك الاميرية وغيرهم وكذلك المشرفون على اعمال هذه اللجان خاضعون للتفتيش اليومى الذى يقوم به الضباط المسئولون عن حراسة هذه القصور والسرايات ·

٥ ـ لا يسمح بدخول أو خروج أى مهمات أو اصـــــناف أو اشخاص غير مختصين بالدخول الى السرايات المذكورة ٠

٦ ـ على كل لجنة قبل البدء فى عملية الجرد أن تقوم باغلاق جميع الامكنة والمنافذ وتشـميعها بالشمع الاحمر وختمها بخاتمى مندوبى وزارة المالية والقيادة العامة للقوات المسلحة ٠

٧ ـ عند البدء فى الجرد تفض اختام المكان الذى سيجرد فقط وبعد ذلك يغلق ويختم بنفس الطريقة الموضــــحة بالبند ٦ واذا اســـتمرت عملية جرد احد الاماكن اكثر من يوم يغلق هذا المكان ويختم بنفس الطريقة السابقة ويفتح فى اليوم التالى من ايام العمـل لاتمام الجرد ٠

ويلاحظ ضـــرورة عمل محضـر يومى بفتح وغلق الامكنة الســابقة يوقع عليه اعضاء اللجنة الموجودة اختامهم على الابواب ويتم ذلك بحضور مندوب الحرس ٠

لا طرد للاسرة :

كان كل فرد من افراد اســـرة محمد على يوقع على اقرار يثبت فيه امواله وعقاراته ، ومنقولاته ، ومجوهراته ويحفظ الاقرار فى ملف خاص لكل منهم ٠ ثم اصدر مكتب القائد العام بمجلس قيادة الثورة تعليمات فى ٩/٧/٦٧٢١ بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٢ نصها :

بالاشارة لكتابنا رقم ٩/٧/٦٦٨٣ بتاريخ ٩/١١/١٩٥٢ ـ وبناء على ما تم الاتفاق عليه فى الاجتماع الذى عقد فى مكتب السيد وزير العدل وبحضور السيد البكباشى ٠١ ح٠ مهندس محمود يونس والسيد الصاغ ٠١ ح٠ محمود محمد الجوهرى يتبع الآتى :

١ ـ يسمح لافراد اسرة محمد على الاحتفاظ بالآتى :

(أ) جميع المجوهرات وتحصر اذا تديت من أصحابها .

(ب) سيارة واحدة ويسمح باختيارها ٠

(جـ) مسكن واحد ويسمح بانتخابه ٠

(ه) جميع الملابس الشخصية ٠

٢ ـ على الحراس المعينين على هذه المساكن اتباع الآتى :

(ا) عدم التعرض للافراد عند الدخول والخروج ولا داع لتفتيشهم ٠

(ب) لا يسمح اطلاقا بخروج الاثاث ٠

٣ ـ تحرر اجراءات من اربع صور وتوزع كالآتى :

(ا) صورة الى السيد وزير العدل (ادارة تصفية الاملاك المصادرة) ٠

(ب) صورة الى مدير مكتب القائد العام للشئون الفنية بمجلس قيادة الثورة ٠

(جـ) صورة تسلم الى اصحاب هذه المساكن بعد توقيعهم على المحضر بالاستلام ٠

٤ ـ يترك موظفو وخدم هذه القصور والمبانى بها كما كانوا ٠

٥ ـ يبلغ فورا عن الطيور والخيول والمواشى والاشياء سريعة التلف التى لم يتسلمها اصحابها أو الموجودة فى القصور والمبانى التى اغلقت لسرعة اصدار قرار بشأنها ٠

ومن هذه التعليمات المكتوبة لمجلس الثورة تتضح الحقائق الآتية كما يرويها محمود الجوهرى :

١ ـ ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أمر بتعديل تعليمات وزارة المالية القاضية بطرد افراد اسرة محمد على من بيوتهم ٠

٢ ـ ان كل فرد من افراد اسرة محمد على يعلم ما قدم محض ارادته ودون اجبار الى لجان الجرد من تحف ومجوهرات وغيرها ووقع على محضر بذلك ٠

٣ ـ لم تكن لجان الجرد مكلفة بعمل تفتيش بوليسى للبحث عن المجوهرات والاموال المصادرة من اسرة محمد على ٠

مزاد بيع التحف :

لقد بيعت معظم تحف ومجوهرات اسرة محمد على بالمـــزاد العلنى الذى اقيم فى قصر القبة فى مارس ١٩٥٤ ، وحضره كثـــير من اثرياء العالم ·

وكان يشرف على هذا المزاد بيت خبرة عالمى متخصص رأى ان تعد كتالوجات فخمة . طبعت بالخارج تشمل التحف ونبذة عن كل منها ، وروعى عند البيع القيمة التاريخية للمعـــــــروضات حيث ان بيت الخبرة متخصص · ومع ذلك فانه من الصعب مقارنة الاسعار التى بيعت بها المعروضات بأسعار هذه الايام .

ان الرئيس جمال عبد الناصر .. لم يكن هو الذى أمر ببيع تحف ومجوهرات اسرة محمد على بل كان الموضــــوع محــل دراســـة لجنة وزارية فنيـــة انتهت الى هـــذا القرار بعــد اخذ رأى سليمان حافظ الذى كان مستشارا قانــــونيا لرئيس الجمهورية ، ولم يكن رئيس الجمهورية هو جمال عبد الناصر .

وكان ايقاف البيع للتاريخ بأمر من الرئيس الراحل جمــال عبد الناصر بناء على اقتراح من المهندس محمود يونس ·

وحقيقة الامر ان وزارة القصر كانت قــد تقدمت الى مجلس الوزارة بمذكرة وافق عليها فى ١٩٥٢/١١/٢٦ ، بتشكيل لجنـة من السادة وزراء المالية والاقتصاد والاشغال والمواصلات والقصر والحارسين على اموال الملك السابق ، وانتهت اللجنة فيما يختص بتحف ومجوهرات اسرة محمد على الى مشروع اتفاق بعمل مزاد علنى عالمى لبيع تحف الملك السابق وافق عليـــه مجلس الوزراء بجلسته فى ١٨ ، ١٩٥٣/٢/٢٥ مع تفويض السيد وزير الماليــة والاقتصاد فى توقيع العقد مع شركة « سوزبى » بلندن وهى الشركة التى وقع عليها الاختيار للاعداد الفنى لهذا المزاد العالمى ، وقــد شمل المشروع الموافق عليه طريقة الاشراف على المزاد العـــالمى

وطريقة التثمين ونظام البيع والسداد والتسليم ، وطريقة تصدير التحف المباعة للخارج للمشترين الاجانب .

وكان الدكتور عبد الجليل العمرى يرى ان الاحتفاظ بكل هذه الثروة يعتبر تجميدا لها وبالتالى سيؤدى الى تضخم فى وقت كانت فيه الثورة قد تسلمت خزانة الدولة خاوية .

تصفية طبقة :

صادرت لجان الجرد مجموعــــات من المجـــــوهرات وتم رصدها ، ووضعت فى صناديق خاصة ، واودعت فى احدى خزائن البنك الاهلى ..

ويقول الدكتور الجوهرى ان جمال عبد الناصر كان يقول لهم « يجب ان تضعوا نصب اعينكم ان الناس دول كانوا يملكون كل شىء وبين يوم وليلة اصبحوا لايملكون شيئا ، علشان كــده انا اطالبكم بضبط النفس ولازم تفهموا الناس اللى معاكم الكلام ده ، احنا مش ضد افراد . احنا بنصفى طبقة » .

وبعد ذلك اشرف عبد اللطيف البغدادى على لجان الجرد ، وكان رئيسا للمجلس الدائم للخدمات العامة ووزيرا للشـــــئون البلدية والقروية . وكان المقصود دفع عملية تصفية هذه الممتلكات لتخصص حصيلتها للمشروعات التى يقوم بها المجلس .

وكان اول عمل قام به ان أرسل لجنة من الدكتور عزيز صدقى، والدكتور عبده سلام واللواء مهندس عبد المنعم خضر مدير ادارة التعبئة لدراسة الاسراع فى تصفية المسائل المعلقة ، ثم اصدر قرارا بتشكيل لجنة للاشراف على لجان الجرد برئاسة السيد عبد الشافى عبد المتعال وزير المالية الاسبق . ومرة ثانية عاد الاشراف على هذه الاموال للدكتور عبد المنعم القيسونى ، ويقول الدكتـــــور الجوهرى انه فى يوم ١٤ ابريل ٥٣ زار الرئيس عبد الناصر قصر

قيادتها عبد المحسن ابو النور ، وكان يرافقه عبـد الحكيـم عامر وصلاح سالم ، وخالد محيى الدين وجمال حمـــــاد وغيرهم ٠٠ وزاروا المتحف ، ومخازن الفضيات بقصر عابدين ، حيث وضعت الفضيات على ارفف ، وكانت الفضيات مسجلة تسجيلا دقيقا وقد اوصى الرئيس عبد الناصر بعدم التصرف فى اى شىء من الفضيات بعد ان طلب بعض قادة وحدات القوات المسلحة التصـــــرف فى

اين المجوهرات ؟

على اى حال فان المسئول عن لجان الجرد لم يكن عبد الناصربل كان عددا من وزراء المالية بعضهم مازالوا احياء .. وبعض اعضاء مجلس الثورةالذى كان يتحمل المسئولية كاملة ..

مجـــوهرات اسرة محمـــد على مودعة الآن فى خزائن البنك المركزى داخل ٣٢ صندوقا كبـــيرا ، وشـــكلت لجـــان من الاثريين والمخصصين لفحصها وعليهم أن يحددوا ما حدث فيها بالضبط . ومن

انه على افتراض أنه قد بددت بعض اموال ومجوهرات اسرة محمد على فى بداية الثورة ، فان المسئول منطقيا لايمكن ان يكـــون جمال عبد الناصر الذى لم يكن قد اصبح رئيسا عندما جردت الاموال ورصدت فى كشوف ووضعت فى البنك المركزى .

.. وذمة عبد الناصر أيضا

.. و .. وصلوا الى ذمة جمال عبد الناصر ..

تحدثوا فى البداية عن الملايين التى هربها جمال عبد الناصر للخارج .. ثم تحدثوا عن مجوهرات أسرة محمد على .. واخيرا اعادوا ترديد ما سمى بشيكات الملك سعود .. وبين هذا كله تطفو على السطح فقاعات تحاول اثارة ضوضاء حول امور جانبية .. وفرعية مثل ما نشره عثمان حول الفيلا التى تسكنها السيدة هدى عبد الناصر .. وقد ذهب عثمان بنفسه الى مجلس الشعب ليكذب ما ذكره فى كتابه .. ويدعى انه كان يقول « كلاما مرسلا يدور على السنة الناس .. ولم يقصد أى شخص معين » ولقد ثبت بالوثائق ان كل ما قيل عن فيلا السيدة هدى غير صحيح وبقيت قضية الملايين التى هربها عبد الناصر للخارج ..

ولايتصور عقل ان القوى المعادية لعبد الناصر . ومن ورائها امريكا واسرائيل لم تكن قادرة ؛ على معرفة البنوك التى اودعت فيها هذه المبالغ ، وأرقام الحسابات مهما كانت سريتها ، فهذه القوى ظلت معركتها الاساسية لمدة سنوات وحتى الان ، تشويه جمال عبد الناصر وفكره .. واعماله .. وشخصه ، وسمعته ..

فاذا مضت كل هذه السنوات ، ولم تقدم مايثبت ادعاءها يكون التسليم بعدم صحتها هو الامر المقبول ..

ويحاول البعض ان يلبس ثوب المدافع عن جمال عبد الناصر بطريقة لا تدعو للريبة بحيث يثبت الاشاعة ، فيدعى ان الاموال المودعة بالخارج مشروعة لان هدفها تأمين الثورة ضد أى انقلاب من القوى المضادة .

وليس من المعقول ان تامين الثورة فى الداخل يتم عن طريق اموال توضع فى الخارج ، وبأرقام سرية .. كما انه لم يكن من المعقول تصور انه فى حالة حدوث انقلاب مضاد يمكن ان يهرب

عبد الناصر الى الخارج ، فلم يكن من طبيعة الرجل الهروب أو عدم المواجهة وحتى اذا حدث ، فهل كان عبد الناصر سوف يحتار كيف يعيش هو وأولاده ، حتى يؤمن نفسه بأموال يودعها فى الخارج .

ولقد قال لى صلاح نصر اذا كان جمال عبد الناصر قــــد هرب اموالا الى الخارج فلماذا لا تتدخل الدولة لتعيد هــــذه الاموال .. وقد كانت هناك سابقة ، فان الاموال التى كانت مودعة فى الخارج بأسم الزعيم الجزائرى خيضر لحساب جبهة التحرير ، طلبت الحكومة الجزائرية بعد مصرعه ، استعادة هــذه الاموال من البنك على اساس انها اموال عامة تخص جبهــة التحــرير .. وكانت مودعة بأسم شخص ، وقد استجاب البنك ..

وقد نشرت ذلك فعلا فى وجود السادات .. طالبت الحكومة المصرية بحسم هذا الأمر ؛ ولكنها لم تحسمه ؛ لانها كانت تريد ان تظل الاشاعة المغرضة قائمة ..

واذا كانت هناك اموال اودعها عبد الناصر فى الخارج ، وعجزت عنبيانها مخابرات الدولالعظمى التى مازالت تأخذمنهموقف العداء ، وتسعى لتشويه صورته فى اذهان الجماهير ، فان التساؤل يكون عن قيمة وجدوى هذه الاموال .

هل عادت الى اسرته .. وكيـــــف .. والنـــاس جميعـــا يعرفون الاسرة فردا فردا ، وانهم جميعا يعيشون حياة عـــــادية، وفى شقق يستأجرونها ، فيما عدا السيدة هدى وزوجها حــــــاتم صادق ، والسيدة منى وزوجها الدكتور اشرف مروان .

وفيلا الدكتورة هدى عبد الناصر كان قد اشترى والدهـــــا الارض من الجمعية التعاونية المصرية لبناء المساكن لضـــــباط القوات المسلحة على أن تسدد على خمسة عشر قسط سنوى ، وتم السداد حتى اصدر مجلس الوزراء قرارا بعد وفاته بأن تتحمل الحكومة ديون جمال عبد الناصر فسددت الحكومة بقية الاقســـاط .. وقد تم الاقتراض من الجمعية لبدء البناء كما هو ثابت بالوثائق

التى قدمت لمجلس الشعب عندما اثار عثمان احمد عثمان هذه القضية فى كتابه الذى تراجع عنه ، ولايختلف كثيرا موقف فيلا السيدة منى عن ذلك ٠

وكان زوجها الدكتور اشرف مروان مجندا بالقوات المسلحة ، ثم منتدبا للعمل بمكتب سامى شرف عند وفاة عبد الناصر ، ولم يكن قد اصبح من رجال الاعمال .. وقد استطاع أن يكون ثروة ابتداء من اراضى البناء ، وهبها له بعض شيوخ الخليج فى بلادهم .. وعندما بدات المضاربة على الارض . وارتفع ثمنهـــــا عشرات الاضعاف ، والتهبت اسعار البترول وامتد العمران الى الاراضى النائية استطاع اشرف ان يبدأ الطـريق الى الثـروة عـن طـريق بيـع هـذه المسـاحات مـن الاراضى ٠٠ ولـم يكن لاشرف مـروان اعمال تذكر داخل مصر ، وانما كانت ، وظلت اعماله فى الخارج .

ولقد تغيرت الظروف بالنسبة له ، عندما اختلف مع السادات وترك موقعه . وافتتح مكتبا حرا لاعماله ، حاولت اجهزة المخابرات ان تدس له فيه اجهزة تصنت ، الا انه كشفها وابلغ الامـــــر للمسئولين ، وكانت فضيحة .. بدات هذه الاجهزة تنقب لاشرف مروان ، وتبحث عن ثروته ، وابلغت كل ادارات واجهزة الرقابة ، مع التوصية اللازمة .

ويقول اشرف مروان فى رده على عثمان احمد عثمان انه ٠٠ « يكفينى ان اقول ان الرقابة الادارية واجهزة الكسب غير المشروع باعتبارهما جهات اختصاص فحصت بدقة بالغــة كافــة الاقرارات المتعلقة بثروتى وتاكدت من حقيقة ممتلكاتى ، وقد خلص آخر تقرير للرقابة الادارية فى هذا الشأن المؤرخ ١٦ ابـــــريل ١٩٨٠ الى ان عناصر الذمة المالية المتعلقة بى وبعائلتى فيها مصادرها المشروعة، وانه بالتالى لا توجد أية وقائع للكسب غير المشروع تتعلق بنـا » ولا احد ينكر ان الدكتور اشرف مروان قد كون ثروة كبيرة او صغيرة ولكن النظرة الموضوعية هنا لابد ان تضع امامها عدة اعتبارات :

ــ ان هذه الثروة ــ مثل غيرها من الثروات التى حفل بهــ المجتمع المصرى ــ لم تكن ايام جمال عبد الناصر .. حيث كـــان الدكتور اشرف حتى وفاة عبد الناصر موظفا برئاسة الجمهورية ·

ــ ان هذه الثروة قد تكونت من العمل فى الخارج ، وليس داخل مصر .. فليس لاشرف مروان فى مصر اعمال تذكر .

ـ ان القضية ليست فى ثروة اشرف مروان ، فهناك الوف قد حققوا خلال السبعينات ثروات تفوق ثروته ، ولا احد يذكرهم ؛ وانما القضية هى محاولة النيل من ذمة جمال عبد الناصر عن طريق صهره اشرف مروان .

ــ لو كانت هذه الثروة التى حققها اشرف مروان مرتبطـة بجمال عبد الناصر ، لكان الاولى بتحقيقها أولاد جمال عبد الناصر ·· وهم ثلاثة ذكـور ، وابنتين ·· خالد يعمل اســتاذا بكليــة الهندسة ، المهندس عبد الحكيم ويشارك اخاه عبد الحميد فى شركة محدودة للمقاولات بعد ان أثر الابتعاد عن العمل الحكومى ·

ولم نسمع ان واحدا من هؤلاء قد اصبح فى حياة ابيه مـــن اصحاب الملايين او انه كون ثروات ، وسكن القصور فى مصر ، او الخارج كما يحلو للبعض ، وكان أولاد جمال عبد الناصر ــ دون غيرهم ــ اذا تحركوا .. او عملوا ، او سافروا ، فان حركتهــم مرصودة ، وأن اى مال يكسبونه لابد ان يكون من أموال الدولة ·

ولم يبد مظاهر الثراء على اى منهم .. ولم يبد على واحــد منهم انه عاطل بالوراثة فكلهم يعمـــلون ، من أجـــل توفـــــير مستقبل افضل لاسرهم ·· وكلهم يستأجرون شققا يسكنونها ، هــم واسرهم ، مثل سائر ابناء الشعب المصرى ·

ثروة عبد الناصر :

وحتى نقف على الحقيقة والكذب حول ذمة جمال عبد الناصر فاننا لابد ان نعرف موقف الرجل ، ورؤيته للمال ، وللذات الحياة كلهــــا .

ولم يعرف عبد الناصر حبه للمال ، او جريه وراء مظـاهر او متع مهما كانت ٠٠ فهو لم ينفصل عن بيته ٠٠ مكتبه فى بيته ٠٠ حياته فى بيته .. الزوار يستقبلهم فى بيته .. الاصدقاء يذهبون الى بيته .. فلم يكن عاشقا للرفاهية كما انه لم يكن يستخدم مئات او عشرات الاستراحات .

ومثل هذا الرجل الذى لم تستهوه ملذات الحيـــاة من ملبس او متع،عندما رحل عن دنيانا كانت كل ممتلكاته كما رصدتها الوثائق الرسمية لا تتجاوز ثلاثة آلاف جنيه مــن اســـهم وسندات واموال سائلة ، وقد سجلت جميعها ، وسددت عنها ضريبة التركات ثـم وزعت على اولاده تقول ابنته الدكتورة هدى :

« اود حســما لكل جدل أن احدد ـ مـؤيدة بالوثائق ـ ما كان لدى والدى حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، وهو التاريخ الذى ينتهى عنده تحمل اسم جمال عبد الناصر لمسئوليتنا جميعا :

(أ) مبلغ ثلاثة الاف وسبعمائة وثمـانية عشر جنيهـا و ٣٧٢ مليما فى حسابه الخاص رقم ٦٤٢٢٦ / ١٩ فى بنك مصر ٠

(ب) عدد من الاسهم قيمتها رمزية اشتراها من ماله الخاص مساهمة فى بعض الصناعات الوطنية ، وقد ابقيناها باســـمه ٠٠ ولقد تمكنت من الحصول على قيمة بعضها كما هو موضح ادناه ، وهذه الاسهم مودعة باسم والدى فى بنك مصر ٠

- مائتا سهم شركة كيما .
- خمسة أسهم شركة مصر للالبان ● سهم واحد بنك الاتحاد ٠
- مائة جنيه فى قرض الانتاج ● سند واحد بنك عقارى ٠
- ستمائة جنيه شهادات استثمار اسهم الحديد والصلب .
- عشرة اسهم شركة النصر لصناعة الاقلام قيمتها الاجمالية ثمانية عشر جنيها وسبعمائة مليم .
- عشرة اسهم بنك الاتحاد التجارى قيمتها الاجمالية واحد وثلاثون جنيها وخمسمائة مليم ٠

● مائة سهم الشركة القومية للاسمنت ● تسعة وثلاثون جنيها سندات تأمين ·

(جـ) وثائق تأمين على الحياة لم يرد ذكرها فى شهادة الافراج الضريبى عن التركة حيث ان وثائق التأمين معفاة من الضرائب بحكم القانون بيانها كالاتى :

● وثيقة بصندوق تأمين الجيش بمبلغ الف وخمسمائة جنيه مصرى ·

● وثيقة لدى شركة الشرق للتأمين بمبلغ الف جنيه مصرى زيدت فى ١/٥/٧٠ الى الفين وخمسمائة جنيه مصرى .

● وثيقة لدى شركة القاهرة للتأمين بمبلغ الف جنيه مصرى ثم زيدت الى الفين وخمسمائة جنيه مصرى .

● وثيقة لدى شركة مصر للتأمين بمبلغ الف جنيه مصرى ·

● وثيقة لدى شركة التأمين الاهلية بمبلغ الفين وخمسمائة جنيه مصرى .

(د) السيارة الاوستين التى كان يملكها وهو ضابط وقاد بها الثورة فى ليلة ٢٣ يوليو ٥٢ ولقد تم تسديد ضريبة التركات ورسوم الايلولة والبلدية المستحقة على هذه العناصر وبلغت مائتين وثمانين جنيها و ٦٢٣ مليما ·

هذا هو كل ماتركه والدى تدعمه الوثائق المرفقة وغير ذلك لم يكن هناك على الاطلاق اى شىء غيره : لامحال ــ ولاعقار ــ ولا ارض .

وتظل هناك مسالة اخيرة ، وهى تتعلق بسيارات اعطيت لابناء جمال عبد الناصر ولا تشكل امتيازا لانها لم تكن متكررة وانما اعطيت لمرة واحدة ، وكذلك قرار الحكومة بتسديد ما كان على جمال عبد الناصر من ديون .

وفيما يتعلق بهذا الدين الذى سددته الدولة عن والدى بعد رحيله ، وقد حصلت على مسكن استطيع تسديد ما يخصنى من هذا

الدين وهو مبلغ وقدره ثلاثة الاف وخمسمائة جنيه مصرى و ٩٨٥ مليما وبفوائده اذا كان ذلك هو الاصوب والاكثر ملائمة دفعا لاى تاويل ولكى يستقر كل أمر فى نصابه .

تلك هى قصة الامتيازات التى يقال ان اسرة جمال عبد الناصر تتمتع بها ،[1] .

هذه هى مجمل ثورة جمال عبد الناصر يوم رحيله كما رصدتها ابنته هدى ، وايدت اقوالها بوثائق رسمية لكل ماذكرته وتبقى قصة الشيكات .

شيكات الملك سعود :

وقصة شيكات الملك سعود .. التى تحدث عنها جـــلال الدين الحمامصى ، بدأت عندما ترك الملك السعودية وسافر الى اليونان وارسل رشاد الحسينى الى القاهرة ليقول أنه يريد ان يبدا صفحة جديدة مع مصر .. ويحضر ليقيم بها .

وطلب عبد الناصر ان يرسل الملك خطابا بذلك يقول فيه أنه يريد الاقامة بمصر لانها مركز اسلامى حتى لايهاجمـــــة البعض لاستضافة مصر للملك سعود ، فالاستضافة هنا لعربى مسلم .

وتم الاتفاق على كل ترتيبات الاقامة .. وطلب عبد الناصر ان يستقبله فى المطار سعد زايد محافظ القاهرة .. ثم اســـتقبله فى بيته بعد ذلك ..

وكان صلاح نصر المسئول عن اقامة الملك سعود ، وهو حلقة الاتصال بينه وبين عبد الناصر ..

ورصد الملك سعود مليونى جنيه لمعاونته فى استرداد عرشه .

وكتب شيكا بالمبلغ باسم صلاح نصر .. وبعد حرب ١٩٦٧ كان الموقف الاقتصــــــادى سيئا وكانت مصر فى حاجة الى عملات صعبة وخاصة بعد اغلاق القنـاة ، فارسـل عبـد الناصر صـلاح

---

١ ـ وثائق الكتاب

نصر للملك سعود ليقرض مصر عشرة ملايين جنيه واستجاب الملك ، وتم توقيع بروتوكول بين الملك وحسن عباس زكى وزير الاقتصاد على قرض قيمته عشرة ملايين دولار ٠

ولقد سلم صلاح نصر الشيك الذى كان باسمه الى وزير الاقتصاد بعد استئذان الملك ٠٠ وحولت كل الشيكات على البنك المركزى ٠٠ هذه هى قصة شيكات الملك سعود ، كما تثبتها وثائق البنك ٠

ولكن جلال الحمامصى اصر على ان الشيكات دخلت فى حساب جمال عبد الناصر ٠٠ وذكر ذلك فى كتاب أصدره ، وقد أثار هذا النشر ضجة لاتهام عبد الناصر بالسرقة وكان منطقيا ان يسأل هؤلاء انفسهم .. انه حتى اذا اراد ان يسرق ، ألم يكن امامه الا شيكات من الملك ؟ ٠٠

وعلى كل فقد حول الامر الى المدعى العام الاشتراكى للتحقيق ، وأرسل نتيجة تحقيقاته لمجلس الشعب ، ولكنها لم تنشر حتى اليوم ٠

ولا يمكن ان يكون فى التقرير ــ الذى أعد فى زمن السادات وفى ظروف صعبة ــ ما يدين جمال عبد الناصر لان ذمته فوق مستوى الشبهات ٠٠ كما انه فى نفس الوقت يصعب ان يبرىء التقرير الذى وضع فى تلك الظروف جمال عبد الناصر ٠٠

والنتيجة انه لم يعلن حتى الان ٠٠ وسوف يمضى وقت طويل ، قبل ان ينشر ٠ ان وقائع الحياة التى عاشها عبد الناصر تؤكد انه لم يكن عاشقا للمال ٠٠ أو الاستمتاع بملذات الدنيا ، ولكنه سيظل هناك من يشك فى ذمته لان هناك اصرار ومصلحة لجهات معينة فى تشويه صورة الرجل ٠٠ فالهدف هو القضاء على صورة جمال عبد الناصر ٠٠ والهدف هو القضاء على النموذج الذى مازال الناس يتطلعون اليه ٠٠ ثم القضاء على كل منجزاته ٠٠ والمواطن العادى فى أى نجع من العالم العربى يعرف هدف الحملة الشرسة ومن هم وراءها فيزداد تمسكا بعبد الناصر الفكر ٠٠ والعمل القومى ٠

قصـــــة استراحة المعمــورة

فى البداية حاولوا اخراج عائلته من البيت الذى كان يقيم فيه ، وخصصه مجلس الامة لاقامة اسرته بعد رحيله .. واثير الموضــــوع فى مجلس الشعب ، وتحول البيت الذى تسكنه عائلة جمال عبدالناصر الى قضية ، وكانه هو الذى سيحل مشاكل مصر ، ويسدد ديونها .

ورأوها فجة ، فصمتوا بعض الوقت ، ثم قررت الحكومة سحب الحرس الجمهورى الذى يقف أمام ضريحهكمظهر من مظاهر التكريم ، وكان ذلك ارضاء لجماعة الاخوان المســـلمين التى رأت أن تصـــفى حقدهاحتى على حراسة مقبرة الرجل .. ثم اتجهوا بعـــد ذلك الى المقبرة ذاتها . ونشرت احدى المجلات ان قضية قد رفعت امام المحكمة تطالب بنقل مقبرة جمال عبد الناصر من مسجده الى مكان آخر . فقد اقام رئيس جمعية كوبرى القبة الخيرية قضية ضـــد كل من محافظ القاهرة ووزير الاوقاف لطلب نقل مقبرة جمال عبد الناصر .. وقال ان جمعية القبة الخيرية تأسست وتم اشـــهارها بوزارة الشـــئون الاجتماعية برقم ٣٣ لسنة ١٩٥٥ ثم اعيد اشهارها برقم ٥١٥ لســـنة ١٩٦٩ لاضافة انشطة خيرية اخرى .. لاغراضها الدينية والثقافية .

فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٩ تسلمت الجمعية قطعة الارض رقم ١٠٢١ من مراقبة أملاك القاهرة ومساحتها ٣٣٨٧ر٥ متر مربع .. وصدرت موافقة الهيئة الادارية لمجلس بلدى القاهرة عـــلى تســـليم الارض بجلستها المنعقدة فى ٢٤ اغسطس ١٩٥٨ . وبذلك اصبحت المساحة المشار اليها فى حيازة وملكية الجمعية .

عندما توفى الرئيس جمال عبد الناصر فى شـــهر سبتمبر ١٩٧٠ فوجئت الجمعية ــ كما تقول صحيفة الدعوى ــ بالسلطة الحاكمة ، تقوم بحفر مقبرة بالطابق الارضى .. لدفن جثمـــان عبد الناصر .. بدون الحصول على اى موافقة من الجمعية .

. وادى ذلك الى استقطاع اكثر من نصف مساحة هذا الطابق ،

لاقامة المقبرة وملحقاتها من غرف الحرس وخلافه .

وجاء فى صحيفة الدعوى : ان استقطاع جزء من الارض ، لاقامة مقبرة للرئيس الراحل عبد الناصر ، جاء على حساب جزء كبير من الاماكن المخصصة للعيادة الطبية ، مما تسبب فى ضيق شديد وعجز فى مساحة الاماكن الخاصة بها .. مازالت تعانى منه الجمعية حتى الآن .

« ولقد ضاق المكان تماما ·· نتيجة اتساع وازدياد انشطة الجمعية أصبح المكان عاجزا عن استيعاب المترددين من المرضى على العيادة للكشف والعلاج ·

« أن الجمعية تحوز قطعة الارض المشار اليها ، حيازة قانونية كاملة .. ولها الحق فى الانتفاع بهذه الارض .

وبناء عليه .. تطلب الحكم بمنع تعرض كل من : محافظ القاهرة .. ووزير الاوقاف .. لجمعية كوبرى القبة الخيرية فى حيازتها لهذه الارض .. مع الاحتفاظ بكافة الحقوق الاخرى .. والتى منها الحق فى طلب التعويض ونقل مقبرة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الى مكان آخر تدبره محافظة القاهرة »

ولم يكن ذلك صحيحا ·· فقد خصصت مساحة من الارض لاحدى الجمعيات لاقامة مسجد ، وكان اللواء سعد الدين الشريف احد العاملين فى مكتب الرئيس والمقدبين له رئيس الجمعية ولاحظ عبد الناصر أثناء عودته لمنزله أكثر من مرة أن العمل يسير ببطء فى المسجد لان الجمعية تعانى من ضائقة مالية وسأل سعد الدين الشريف ، ثم تولاه بالانفاق من أموال التبرعات . وعندما توفى جمال عبد الناصر ، كان هناك اكثر من فكرة لاقامة مكان لمقبرته .. وتبارى الفنانون فى وضع تصميمات للمقبرة ، واختار البعض مكانا بجوار مجلس قيادة الثورة ، ورأى البعض أن تقام مقبرته فى منطقة تخطط لذلك بمدينة نصر ، أو على هضبة الهرم ..

ولكن سعد الوين الشريف عرض فكرة أن يدفن جمال عبد الناصر فى جزء مستقل من المسجد المجاور لمنزله الذى كان يتابع العمل فيـــه باهتمام ، واتفق عليه ، على أن يعاد تخطيط المنطقة باكملها بعد ذلك.
.. واقيمت المقبرة فى جزء مستقل عن المسجد الذى عرف باسم مسجد جمال عبد الناصر .

وخلال السنوات التاليـــة لم يعـــد تخطيط المنطقة ، وبذلت محاولات للاستيلاء على مساحة الارض المجاورة للضريح مرة بحجة اقامة دار للمناسبات ، ومرة أخرى لوزارة الحربية ، وغيرها،وتصدى أولاد جمال عبد الناصر فى صمت لهذه المحادلات ، وهم الذين تولوا مهمة حراسة المقبرة على نفقتهم .. واصبح الموظفون فى الضريح من طرف أولاد جمال عبد الناصر فور ان سحبت الحكومة ، الحرس الجمهـــورى .

وكان نشر نبأ القضية مستفزا للناس ، فالحقـــد والتشـــفى لا تكون من الموتى بهذه الطريقة ، فضلا ان يكون هذا الحقد موجها ضد زعيم الامة العربية بلا منازع .. وتراجعت الجمعية ، واصدرت بيانات تقول فيها ان أحد المحامين لجأ الى القضاء باســـمها دون أن تعرف .. وانتهت القصة ، ولكنها قد تتجدد مرة ثانية فى وقت آخر . اذا نفذت كل سهامهم ولم يجدوا امامهم الا ان يعودوا لترديد ماسبق ان قالوه .

استراحة المعمورة :

مجلة « حوار » التى تصدرها منظمة حرية الثقافة العالمية فى بيروت قررت منح الدكتور يوسف ادريس جائزتها السنوية ، وقدرها الفى جنيه .. وثارت ضجة بين الكتاب والمفكرين فى مصر على هذه الجائزة ، متهمين المجلة بأنها ممولة من المخابرات الامريكية المركزية وكان الدكتور يوسف أدريس قد اتخذ موقفا شجاعا بمجـــرد علمه بالجائزة ، فقد اعلن رفضه للجـــائزة من المجلة المشـــبوهة وقـــدر عبد الناصر هذا الموقف الوطنى من الدكتور يوسف أدريس ، وقرر

أن تصرف قيمة الجائزة كاملة للدكتــور يوسف ادريس من الــدولة لا من المجلة المشبوهة ، كما قرر منح الدكتور يوسف ادريس وسام الآداب والفنون . . وعندما مات ناصر كتب د. يوسف ادريس :

«الحفاة خرجوا ساعة سماع النبا يشقون ثيابا لا يملكون غيرها ، ويلطمون خدودا ضامرة اولئك الذين لم تصلهم الثورة بعد وكان لهم الامل · فكنت الامل ، فزعوا فى منتصف الليل ، وغاب الامل ، وقــد مات الامل ، واصبحت مفرد واصــبحت الدنيــا لاول مرة بلا عبد الناصر ، ونحن لم نتعود ابدا أن نتنفس هواء لايتنفســه عبد الناصر ، ولا أن ننام الا ونحن نحس انه هناك فى كوبرى القبة ولا ان نستقبل الصباح الا على صورة له وابتسامة جهد مخلص آخر فى سبيلنا وفى سبيل الحرب ·

المصيبة اننا لا نبكى فيك البطل ، ولا المقاتل الشجاع ، ولا مفجر الثورة ، ان كارثتنا ابشع لاننا نبكى فيك قبل هذا كله الحبيب وحبيبنا جميعا الذى كان لكل منا فيه قطعة : وكان له فى كل منا قطعة ·

فالدكتور يوسف ادريس ليس معاديا لعبد الناصر ولم يغير موقفه ، لذلك كان غريبا أن يثير هو قضية استراحة المعمـــــورة المخصصة لاسرة عبد الناصر بمعلومات خاطئة ، ويقول أنها ٤٠٠ فدان ، وانها يمكن وحدها أن تسدد ديون مصر ، ولان المقال كتبه يوسف ادريس بالذات،بثقله وموقفه،فقد تلقفته قوى معينة لتثيرضجة حول استراحة المعمورة ، وسلمت اسرة عبد الناصر الاستراحة فورا الى الحكومة ، والمفارقات الغريبة أن أعلن الرئيس حسنى مبارك أنها ستتحول الى مكان سياحى .

وكان الدكتور خالد عبد الناصر قد ارســل للاهرام برد على الدكتور يوسف ادريس جاء فيه :

بداية فاننى اود ان اصحح المعلومات غير المسئولة التى استقاها يوسف ادريس من مصدره « المسئول » ليعلم الجميع ان البيت الذى كان يقيم فيه جمال عبد الناصر فى المعمورة هو ملك للدولةوقد خصص لاقامة الرئيس قبل انشاء شركة المعمورةوان مساحة هذا البيت بحدائقه ليست اربعمائة فدان بحال من الاحوال وقد قمت بنفسى بقياس

المنزل والحديقة التى تحيط به فوجدت ان مجمل هذه المساحة لا يتجاوز خمســـة افدنة محاطة بسور ، ويبدو ان السيد المسئول صديق الدكتور يوسف ادريس مصاب بعمى الارقام حيث ان الفدادين الخمســة الى مائة ضعف مســاحاتها الحقيقية اما اذا كان المعنى بالفدادين الاربعمائة المساحات الاخرى من اراض وشواطىء فى هذه المنطقة فانــه كان بوسع كاتب المقال ان يعرف بسهولة ان هذه الاراضى موزعة بشـــكل رئيسى بين جهتين

الجهة الاولى : وزارة الزراعة التى تستخدم بعض العمال الزراعيين فى زراعـــة مساحات ممــا تملكه وأيضا تؤجر الاراضى للفلاحين يقومون بزراعتها بالفواكه ولقد قمت يوما بشراء جوافة منها فى احدى السنوات السابقة .

الجهة الثانية ــ وزارة الدفاع التى تستخدم بعض هذه الافدنة فى اغراض خاصـــة بهـــــــا .

ومن هنا فاننى لا أستطيع التبرع لســداد ديون مصر بأموال او اراضى لا أمتلكها وتمتلكها وزارة الزراعة ووزارة الدفاع كما انه لا يمكن الســـماح لمعاول الهـــدم ان تمس بيتا كان يقيم فيــه جمال عبد الناصر باية حجــة كانت فنحن دولـــة التاريخ العريق التى يحترمها العالم أجمع من خلال حفاظها على تراثها .

ففى هذا البيت عاش جمال عبد الناصر والتقى بزعماء العالم وخرجت منــه اخطر القرارات التى غيرت مصير مصر والوطن عربى بل وامتد تاثيرها الى العالم كله .

ولاشك ان معرفة د. يوسف ادريس لهذه الحقائق كانت ستكفينى مشـــقة كتابة هــذا الرد .. وبعد هذا التصحيح ، الواجب ، يلزم ان اضيف الى معلومات الدكتـــور بعض الحقائق فقد اصدر مجلس الامة قانونا بان يكون هذا البيت لعائلة جمال عبد الناصر مدى الحياة يعود بعدها للدولة المصرية وانى اعتبر هــذا القرار تكريمــا لعائلة جمال عبد الناصر بمسئولية المحافظة على هذا البيت من أن تمتد اليه معاول الهدم والتخريب .

واصدقك القول انه لو كان هذا البيت ملكا شخصيا للاسرة مافكرت فى ان تمس ولو عرضت عليها كنوز الارض حتى وان ماتت جوعا لاننا كوطنيين نقـــدر تراث هــذا الوطن وتاريخه تقديرا عاليا يسمو فوق ارقام الجنيهات أو الدولارات . وأظن اننى لست بحاجة الى ان اذكر الدكتور بخطورة هذا المنطق الذى تبناه فى مقاله والذى يمكن ان يؤدى بنـــا الى مشروع جديد لتاجير هضبة الاهرام او طرح جانب من قلعة صلاح الدين للبيع فى مزاد علنى .. واذا كان د. يوسف ادريس يرى ان بيتا اقام فيه عبد الناصر نقــل اهميتــه

التاريخية بالنسبة للاجيال القادمة عن اهمية بيت جوته بالمانيا أو دار بن لقمان بالمنصورة فاعتقد ان الملايين من أبناء مصر والوطن العربى لا توافقه على ما يراه .

واخيرا احب أن أقول لصديقى الدكتور يوسف ادريس بكل اعتزاز وقوة اننى أحمل نفسى مسئولية الحفاظ على تراث جمال عبد الناصر بنفس القدر الذى يجب أن نتحمل به جميعا مسئولية الحفاظ على تراثنا وتاريخنا حتى لا نكون اضحوكة للاجيال القادمة .

التنازل عن الاستراحة :

وكان يمكن ان يكون فى هذا الخطاب الايضاح الكافى حول الاستراحة ومساحتها ، ولكن البعض انتهز فرصة الرد لكى يحور موضوعة . فما كان من السيدة الجليلة حرم الزعيم الا أن ارسلت الى الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب رسالة تعلن فيها تنازلها عن بيت المعمورة قالت فيها : «١»

تابعت بمزيد من الاهتمام الحوار الدائر حول الاستراحة المخصصة لاستخدام عائلة الرئيس جمال عبد الناصر فى المعمورة بالاسكندرية .

واود ابتداء ان اضع امام الكل بعض الحقائق المتصلة بهذا الموضوعحتى لا نتود عن اصول المسائل ، ونخلط - ان عمدا او بحسن نية - بين منابع النهر وروافده .

١ - ان هذه الاستراحة .. كانت ولم تزل - مملوكة للدولة وكان جمال عبد الناصر يدفع عنهـا ايجـارا شهريا وفق ما أودعناه من وثائق فى مجلسكم الموقر عام ٨٢م .

٢ - ان الحوار الدائر حاليا موضوعه قطعة ارض مساحتها خمسة افدنة تقـع داخل اسوار استراحة الرئيس بالمعمورة وليس اربعمائة فدان على النحو الذى يدعيه

---

١ - لم تقـرأ الرسـالة فى مجلس الشعب ولم ترد فى المضبطه كمـا لم يلغ مجلس الشعب قرار مجلس الامة بتخصيص الاستراحة لاسرة الرئيس .

البعض كذبا وافتراء • وكل مازاد عن هذه الافدنة الخمسة موزع ملكيته بين وزارات الدولة • وليس لعائلة جمال عبد الناصر عليه اية حقوق ولا لهم فيها منافع •

٣ ـ ان مساحة ارض هذه الاستراحة ـ وهى لا تتعدى الافدنة الخمسة ـ فرضتها مقتضيات الامن الخاصة برئيس الجمهورية فى ذلك الوقت،حيث بنى هذا المنزل فى منطقة كانت نائية تحوطها المزارع وبعض المواقع العسكرية ، وشاطىء لم تكن يد التعمير قد امتدت له على النحو الذى نعرفه اليوم بشاطىء المعمورة •

٤ ـ ان الترتيبات المتصلة بتنظيم حياة اسرة الرئيس جمال عبد الناصر من بعد رحيله قد صدرت عن مجلس الامة بالقانون رقم ٧٧ الصادر فى ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ •

ومن البديهى ان تلك الترتيبات هى تحت تصرف الشعب ممثلا فى مجلسه النيابى الذى يمارس دوره التشريعى وفق تقديره ، تطبيقا للقاعدة الاصيلة • ان من يملك حق المنح يملك حق المنع •

(٥) وقبل ذلك كله فلا يجب ان يغيب عن احد ان مجلس الامة قد قرر تخصيص هذه الاستراحة لاسرة الرئيس جمال عبد الناصر من بعد رحيله • فكل مخاوفه اذن للزج باسمه فى هذا الموضوع مردود عليها سلفا بان ما تقرر كان لاحقا على تاريخ انتقاله الى رحاب الله •

ومن بعد وضع النقاط على الحروف انتقل الى وجهة نظرى فى الموضوع . وفى اختصار شديد فاننى لا استطيع ان اتصور مرقفا تقف فيه العائلة التى تحمل اسم جمال عبد الناصر فى سبيل ما قد يرتئى فيه مجلسكم مصلحة عامة . لقد وهب جمال عبدالناصر شعب مصر العربى العظيم حياته كلها حتى آخر نفس فيها ـ من قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعدها ـ مناضلا من اجل تحقيق امانيه القومية ، وكانت مبادئه ترجمة حية للامال التى تجيش بها صدور المواطنين فى حياته ومن بعد رحيله .

لقد قدم جمال عبد الناصر كل فكرة وكل جهده وكل وقته من اجل شعب مصر . وقليل من ذلك كله كان متاحا لعائلته .. ولكن جمال عبد الناصر شاء آن يعيش حيـــاته رسالة عظيمة من اجل شعب عظيم .

وترتيبا على ذلك فاننى اعلن لمجلسكم الموقر ـ بغير تردد وباقتناع كامل ـ عن تنازل اسرة جمال عبد الناصر عن الحق الذى شرفت به لسنوات بان تبقى فى المنزل الذى وضعة مجلس الامة تحت تصرفها فى المعمورة .

واظننى فى ذلك اعبر عن القرار الصحيح الذى كان جمال عبد الناصر يبادر باتخاذه لو انه كان فى موقفى .

اما فيما يتعلق بالحملات الشرسة التى تعرض لها جمال عبد الناصر عبـــر سنوات مضت ، محاولة استغلال قانون مجلس الامة رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٠ ، فيكفينى ان اسجل امامكم اننا قبلنا قرار مجلس الامة الموقر على اساس انه رغبة كريمة لترتيب حياة الاسرة من بعد رحيل جمال عبد الناصر ، وتقدير من المجلس نعتز به ، ولكن اسرة جمال عبد الناصر الذى استشهد من اجل القومية والكرامة العربية ليست على استعداد لان يحاول البعض تحويل تلك الرغبة او ذلك التقدير الى معابر للنيل من كرامتها .

ان كل ما ارجوه منذ رحيل الرئيس لم يكن منزلا فى المعمورة وانما ان يوفر لى مكان الى جانبه فى جامع جمال عبد الناصر حين تنفذ ارادة الله عز وجل .

راجية من السيد رئيس المجلس الموقر ايداع هذا الخطاب مضبطة المجلس مع شكرى وتقديرى .

رسالة من ابنتـــه :

اعتذر الدكتـــور يوسف ادريس ، وكتب مقـــالا عن الســـيدة العظيمة حـــرم الرئيس .. وكان من المفروض أن ينتهى ملف هـــذه القضية بهذه الرسالة التى تعلن تنازل الاسرة عن الاستراحة بل وتسليم الاستراحة فعلا ، التى كان جمال عبد الناصر يدفـــع عنها ايجارا شهديا يخصم من مرتبه قدره ٢٥ جنيها .. وهو ليس مبلغا تافها اذا عرفنا انه تحدد ويدفع منذ ما قبل قيام شركـــة المعمورة .. اى منذ أكثر من ربع قرن .

ولكن الذين انتهزوا فرصة اشعال هـــذه النيران ، لتصـــفية حساباتهم مع جمال عبد الناصر لن يهدأوا .

وكانوا من قبل قد أثاروا قضية مخصصات اسرة عبد الناصر ، وفى عام ١٩٨٣ ، ارســـلت الدكتورة هدى عبد الناصر رســـالة الى المستشار ممتاز نصار عضو مجلس الشعب الذى تبنى القضية .. ولكنه لم يشر الى هذه الرسالة ، كما انه لم يشأ أن يخطر بها فيما بعد

حزبه الذى جعل مهمته الاولى الهجوم على عبد الناصر وثورة يوليو . .
الرسالة التى اشار اليها المستشار ممتاز نصار تاريخهــا ٧ فبراير
١٩٨٣ وقد جاء فيها :

خلال السنوات الاخيرة امتنعت عن الخوض فى طوفان من الجدل الذى حفلتبه الصحف وغيرها من وسائل الاعلام فى مصر ، الى الحد الذى كان معه توضيحان لبعض الوقائع المتصلة بوالدى — فى احدى المرات — استثناء لا يقاس عليه .

وام يكن ذلك — علم الله — عن قلة اهتمام ابنة باسم ابيها ، او عن ساعية ازاء ما يجرى فى وطن اعطاه جمال عبد الناصر شبابه وحياته ، عمله وعمره . فلم املك اكثر من ذلك فى غيبة فرصة حقيقية للتصحيح ، ولا كان فى طاقتى شىء اواجه به حملات غير مبررة ثم انها ظالمة فى حق مقاتل وشهيد مصرى لا يختلف احد فى الدنيا على حجم اخلاصه وعطائه ، ولا على قيمة اسهامه فى التاريخ العربى المعاصر ، ولا لى انه اصبح بعد رحيله — مثلما كان فى حضوره — رمزا وتجسيدا لاعظم آمال وطموحات امته العربية .

ولقد كنت ادرك فى تلك الظروف اننى اكاد ان لا املك فرصة التصحيح ولاحق الشـــــكوى .

وفى كل الاحوال فلقد كان اعتقادى ان والدى ليس ملك اسرته وانما هومــلك شعبه وامته ، وعليهما وعلى التاريخ تقع مسئولية التصحيح واحقاق الحق ووضع كل امر فى موضعه الصحيح .

ولم تكن ممارسة حق الشكوى واردة مهما كانت الضغوط . فاول ما يخطر على البال . فى شانها هو التساؤل : ومن الشاكى ؟ ولمن الشكوى ؟ وقد عاش جمــــال عبد الناصر ثائرا ورحل مناضلا ، وليس لاحد بعده — ولا اقرب الناس اليـــــه — ان يتقدموا باسمه او نيابة عنه بشكوى لمخلوق مهما كان .

لكننى فى الشهور والاسابيع الاخيرة لاحظت عودة الى الزج باسم جمال عبدالناصر فى صدد ملابسات ليس من شانى ان اخوض فيها رغم اعتقادى ان اسم جمال عبدالناصر قد اقحم فى هذه الملابسات المؤسفة اقحاما ليس له مايبرره الا ان يكون ستارا لمآرب واهواء يعرفها اصحابها . وكانت آخر هذه الملابسات فى مناسبة مناقشة مزمعة فى مجلس الشعب لمخصصات اسرة جمال عبد الناصر استغلتها بعض الصحف مرة اخــرى

بتناول اعلامى يجىء فى توقيت يصيب ان تخطىء حقيقة مقاصدة ، وهى النيل منجمال عبد الناصر ، والرغبة فى التغطية على تجاوزات آخرين . واتخذت هذه الصحف فى ذلك اسلوبا يتصف فى اقل تقدير بالتهويل وعدم التحديد ليترك — عن عمد — لشطحات الخيال مساحات واسعة .

وعكفت على استقبال الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع رايت ان اكتب لكم ، وقد تغيرت الظروف ، كى اضع بعض النقاط على الحروف فى أمر امتيازات التى قبل ان اسرة جمال عبد الناصر تتمتع بها .

وبالتاكيد فان هناك بعض الامتيازات ، لكنى اسمح لنفسى بان انبه ذاكرة الكل الى ان هذه الامتيازات قد تقررت بواسطة مجلس الامة فى اعقاب رحيل والدى وكبادرة حفاوة شعبية ورعاية كريمة لاسرته ٠

وكانت هذه الامتيازات تنحصر فى ثلاثة اشياء :

(١) معاش شـهرى مســاو لمرتبه وقدره اربعمائة وواحد واربعون جنيهــا ومخصصاته كرئيس للجمهورية وتبلغ خمسمائة جنيه مصرى فى الشهر وهــذا هــو المبلغ الذى تعيش عليه والدتى وتبقى به بيته مفتوحا .

(٢) ثم مقر منزله بمنشية البكرى وخدماته . وقد خصــص لوالدتى وابنائه مدى الحياة على اساس تحويله بعد ذلك الى متحف ٠

(٣) ثم استراحة المعمورة فى الاسكندرية .

واسمحوا لى ان أوجز الحقائق المتصلة بهذا الموضــوع ووجهــة نظرى فيه على النحو التالى :

اولا : ان مجلس الامة قد قرر هذه الامتيازات بعد رحيل والدى . فكــل محاولة اذن للزج باسمه فى هذا الموضوع مردود عليها سلفا بان ما تقرر كان لاحقا على تاريخ عودته الى رحاب الله .

ثانيا : سبق ان اثير موضوع امتيازات اسرة جمال عبد النــاصر فى مجلس الشعب بعد رحيله بحوالى اربع سنوات ٠ وتوجهت يومها الى السيد / حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى فى ذلك الوقت معترضة على اقحام اسم والدى فى هذا الموضوع ومطالبة بتخفيض هذه الامتيازات .

ثالثا : أن مقر منزل والدى بمنشية البكرى والمخصص لسكنى والدتى ، واستراحة المعمورة ، تحت تصرف مجلس الشعب فى اى وقت يراه » واذا بلغت الامور هذا الحد فاننى ساترك لها بيتى تنزل فيه مهما كانت العقبات ، والى ان نتمكن من تدبير مقر ملائم لهـا .

رابعا : اننى اعلن عن تنازلى عن حصتى الشرعية فى معاش والدى الذى قرر مجلس الامة فى حينه — وبصفة استثنائية — ان ينتقل الى اولاده بعد حياة والدتى — اطال الله عمرها . لان الحكمة من هذا القرار الذى صدر حين كـــان اخوتى قصرا وفى المراحل الدراسية المختلفة قد انتفت بعد ان تخرجنا فى الجامعات واصبح لكل منا عمله وحياته .

خامسا : فى ظـل الظروف الاقتصـــادية السائدة الان فقـــد ترون ملائمة المبلغ الذى تصرفه والدتى شهريا والسابق الاشارة اليه والذى تعيش عليه حاليا ، وذلك الاسباب الآتية :

١ — اننى لا اظن احدا منزها عن الغرض يقبل لقرينة جمال عبد الناصر ان تعيش معتمدة على آخرين — ولو كانوا ابناءها . وما يعنينى هنا — بغير لبس — هو الجانب المعنوى .

فلقد تركها جمال عبد النـاصر امانة فى عنق شعبه ولم يحاول حتى ان يؤمن لها من بعده حياة . وقد قضتها راضية فى صمت فى ظل زوج كان لامته ولشعبه المكان الاول فى تفكيره ومشاعره ، فى همة وفى أمله .

٢ — ان والدتى ليس لديها اية ممتلكات شخصية تدر لها دخلا .

ومن بعـد الحقائق اصــل الى تعليق لعله يكون واضحا فى زمــان غلبت عليه الاعتبارات المادية .

فمجلس الامة قد قرر هذه المخصصات لاسرة جمال عبد الناصر فور رحيله وفى وقت كنا فيه جميعا لانكاد نعى ما يحدث من حولنا من هول وعصف المفاجاة . وتقبلنا قرار المجلس ولم نزل على أساس أن هذه المخصصات رموز تقدير شـــعب لزعيمه وامة لبطلها ، ومظاهر تكريم لنضال مشترك للاثنين ولعصر من اعظـــم عصورهما .

ولكن فى الوقت الذى فيه يشن الكل حملات ضارية اســتبيح فيها التاريخ واستبيحت فيها امجاده ، فان اسرة باعث الكرامة العربية ليست على استعداد لان تتحول الرموز ومظاهر التكريم الى معاير النيل من كرامتها .

ولقد كان والدى يعى تماما مدى ضراوة المعركة الاجتماعية والسياسية التى يخوضها لصالح القطاعات العريضة لشعبه ، واذكر قوله لى قبل عام من رحيله : « ان هذا المنزل ملك للدولة ، والاثاث فيه عهدة ، ويجب ان تتوقعوا كل الاحتمالات بما فيها ان تجدوا انفسكم يوما فى الشارع » .

واننى اكتب هذا الخطاب بصفتى الابنة الكبرى لجمال عبد الناصر عشت معه وعملت معه ، وفهمت مبادئه ، ورايت مدى التزامه بها وتقديسه لها ، حتى اصبحت جزءا منى اقتناعا والتزاما . واوجهه لكم بوصفكم عضوا فى مجلس الشعب تجمعون بين الحيدة والاستقلالية ، راجية التكرم بايداعه مضبطة المجلس .

الحملة المستمرة :

لم تنته الحملة بعد ..
فسوف يطالبون بمنزل الاسرة ..
فقد طالبوا فى البداية بمقبرته .. ثم طالبــوا باســـتراحته ، وسيأتى الدور على منزله .

وهناك ملايين فى عالمنا يمكن ان يقيموا تصورا لزوجة جمال عبد الناصر ، ولكنه من الجحود ، الا تقيم فى منزل تملكه الحــكومة المصريـــة .

وستظل المعركة مستمرة ؛ لان هناك من يريد استمرارهـــا وهم لا يطالبون بتكريم اسرة عبد الناصر ، او تخليد ذكراه ، او انشاء متحف للثورة ، او تمثال لزعيمها ، ولكنهم يطالبون بطرد زوجته من منزل تملكه الحكومة .

مـــن حـــارب فى اليمـــن

من المقارنات المضحكة ان الذين لايملون من الهجرم عـــلى العرب لانهم لايدعمون مصر ولايمدون لها فى ازمتها يد المعونة ، هم انفسهم الذين لايملون من الهجوم على جمال عبد الناصر لانه دعم العرب ، ومد لهم يد المعونة فى ازماتهم ، فكانهم يستنكرون الا يقوم الحكام العرب بنفس ما قام به جمال عبد الناصر .

ودور مصر العربى مازال موضع هجوم . وان كان قد خفت قليلا . بعد ان امتدت الايدى ذات يوم تحاول اقتلاع مصر مـــن ارضها العربية . وتخلع عنها عروبتها .. وهى معركة لم تستمر طويلا . وان كان قد شارك فيها كبار الكتاب ــ الذين انهالوا أرضـا على عبد الناصر ــ حيث لم تلق هذه الحملة الا الازدراء من المواطن العادى ، الذى يعرف ان ابسط مصالحه واكبرهـــا يرتبط بامته العربية التى يشاركها اللغة والارض وطموحات المستقبل كمـــا شاركها معارك الماضى كلها ، ولم يكن لجمال عبدالناصر فضل اكتشاف عروبة مصر ، فمصر عربية من قبل عبد الناصر ، ومن بعده ، وربمـــا كانت اسهامات عبد الناصر الجوهرية ، انه اعاد بعث القوميـــة العربية . وواجه الاستعمار الذى كان يتعامل مع العالم العربى على انه كم مهمل ممزق .

ولابد ان ننظر الى خريطة العالم العربى قبل جمـــــال عبد الناصر حيث كانت الغالبية العظمى من اقطاره ــ بما فيهـــا مصر ــ مستعمرات .

وعندما رحل جمال عبد الناصر ، كان الاستعمار قد حمل عصاه على كتفيه ورحل من جميع الاقطار العربية ، وكانت بداية مواجهـــة الاستعمار اعلاميا بخلق التيار المعادى له افتتاح اذاعة صـــوت العرب فى اوائل يوليو ١٩٥٤ مع توجيه محدد ، بأن تواجــــه الاستعمار الجاثم على صدر الامة العربية .

ومع مرور السنوات ، اصبح صوت العرب وسيلة ثورة مصر للاتصال بالشعوب العربية ، ورصدت بريطانيا ٢٥ مليون جنيه استرليني للتشويش على صوت العرب ، وكان المواطن في اقصى مكان من العالم العربي لايشتري الراديو الا لأن به صوت العرب ، كما كان سماع صوت العرب جريمة تعاقب عليها بعض الحكومات .

وقاد عبد الناصر بعد ذلك معركة ضد الأحلاف العسكرية التي تهدف لربط العالم العربي بعجلة الاستعمار ، وكانت اشد معاركه ضراوة ضد حلف بغداد .

وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر التهبت الامة العربية كلها مع مصر . وفجرت انابيب البترول ، وقطع العرب بترولهم عن الدول المعتدية . وهددت مصالحها في العالم العربي ، واجتاحت المظاهرات العارمة الدول العربية حتى التي كانت تحت سيطرة الاحتلال .

وقامت المظاهرات في سوريا ولبنان وليبيا وقطر والبحرين ، والكويت . والامارات ، والمغرب وتونس .

كانت معظم الدول العربية تقع تحت سيطرة الاستعمار الاجنبي ، وبمساندة ثورة مصر المادية والمعنوية تحررت ، وعاش عبد الناصر اعياد تحريرها ، وساهم في الاحتفال ببعضها . بل بدعمه قامت ثورات تحرير في بعض الدول العربية ..في العراق وفي ليبيا ، وفي اليمن ، وغيرها من اقطار الوطن العربي .

كان لاسهامات عبد الناصر اذن دور لا ينكره احد في معارك الشعوب ونضالها ضد قوى الاستعمار .

رؤية نضالية :

عندما ضربت اذاعة القاهرة اثناء العدوان الثلاثي ، اعلنت اذاعة عمان « هنا القاهرة » وقالت اذاعة دمشق « هنا القاهرة » وكانت عمان قد طردت الجنرال الانجليزي جلوب قائد الجيش ،

وعندما حشدت تركيا حشودها على حدود سوريا ، بادر عبد الناصر بارسال قوات مسلحة الى سوريا لحمايتها .

وعندما هددت الكويت ، ارسل عبد الناصر قواته لتحمي استقلال الكويت .

وجاءت سوريا تطلب الوحدة مع مصر عبد الناصر الذى تجسد فيه آمال الامة العربية ونضال شعوبها .

وقال المجلس الثورى بضرورة الوحدة ووافق عبد الناصر على الوحدة يوم ٢١ فبراير ١٩٥٨ وقامت اول وحدة دستورية بين دولتين عربيين فى العصر الحديث بارادة شعبية كاسحة وقال بن جوريون ان اسرائيل اصبحت بين فكى كسارة البندق ، بعدها بشهور قامت ثورة العراق وسقط رجل الاستعمار البريطانى نورى السعيد ، وسقط معه نظامه بالكامل ، وتآمر الاستعمار على الوحدة ووقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ م .

ولكن سوريا ظلت فى قلب عبد الناصر وضميره . كما ظل هو فى قلب الشعب السورى ، وفى ضميره وحاول الشعب السورى ان يعيد الوحدة اكثر من مرة مع عبد الناصر .

لم يشهد التاريخ الحديث فترة تقارب بين الشعب العربى فى جميع اقطاره مثل سنوات عبد الناصر ، حيث عاشت الوحدة امل الجماهير ، وفى وجدانها ، وكان عبد الناصر يرى ان الخلافات بين الحكومات العربية هى نتيجة الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى،وان وحدة الهدف قائمة عند القواعد الشعبية ، كما ان الوحدة لايمكن أن تتم فرضا لان الاهداف العظيمة للامم يجب ان تتكافأ اساليبها شرفا مع غاياتها . وان اى حكومة وطنية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار الاستقلال الوطنى هو خطوة نحو الوحدة لانها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية فى الوحدة ، وان اى وحدة جزئية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبين واكثر هى خطوة وحدوية متقدمة تقرب من يوم الوحدة الشاملة وان الجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها

جزء من الامة العربية لابد لها ان تنقل دعـــوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، على الا تدخل طرفا فى المنازعات الحزبية المحلية وان عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية وان تفتح مجال التعاون بين الحركات الوطنية التقدمية .

وعندما رحل جمال عبد الناصر كان العــالم العربى كله ملتفا حوله .

وحزن عليه كل العرب ، وبكاه الشعب العربى بأكملـــــه ، وشارك كل العرب شعوبا ورسميين فى جنازته .. وكانت الجامعة العربية الرســمية تتوسط قلب القاهرة ، كمــا تتوسط مصر قلب العالم العربى .

ولم تكن رؤية جمال عبد الناصر لنضال الشعوب العربيـــة اقوالا كانت اعمالا .

تحرير اليمن :

وهذا مايوصلنا الى القضية الهامة ، وهى حرب اليمن .

فعندما قامت ثورة اليمن ، فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، طلبــت الى مصر معاونتها .

وكان السادات مسئولا عن اليمن والخليج العربى .. وكانت الجمهورية العربية المتحدة اول دولة تعترف بالنظام الثورى الجديد فى اليمن ، الذى سيخلص الشعب من حكم الامامة وينقله من ظلمات القرن التاسع عشر ، ويضعه على مشارف القــرن العشرين . ولم تكن هناك بشاعة حكم ، افظع مما فى اليمن .. حيث يتولى الامام كل شىء .. والشعب يئن تحت وطأة الفاقه ، والحرمان ، مـــن التعليم ، والعلاج ، والخدمات كلها ، فالامام هو الدولة كلها .. وهو كل الوزارات والادارات .. ولا احد يعرف عما يدور داخل اليمن شيئا ، حتى ان مصر عندما ارادت معرفة معلومات عن اليمـــن بعد ثورتها ، وقبل التدخل لم تجد الا لدى السفارة الامريكية تقريرا اعده احد السفراء الامريكيين عمره ربع قرن .

وطلب النظام الجديد ، والشرعى من الجمهورية العربية المتحدة ان تضع مبادئها فى نصرة الشعوب فى التطبيق ، بان تساند ثورة اليمن الوليدة ، خاصة وان بعض القوى بدات حرب التدخل ضد النظام الجديد .

واجتمع مجلس الرياسة لبحث هذا المطلب ، ووافق الاعضاء جميعا على أن مصر لابد أن تساند اليمن فى ثورتها ويقول حسن ابراهيم أن احدا من مجلس الرئاسة لم يعترض على الاطلاق ، فكلنا وافقنا ، بما فينا كمال الدين حسين ، وايدنا مساندة ثورة اليمن ، والوقوف الى جانبها الى ان تسيطر على مقاليد البلاد ، فلم يكن تواجد الجيش المصرى فى اليمن اذن قرارا فرديا من عبد الناصر ، وارسلت مصر كتيبة واحدة ، سافرت على طائرة مدنية ذات ليلة ، ومعها جهاز لاسلكى واحد ، للاتصال ، وعدد من المدنيين .

وخلال اربع سنوات كان هناك من يهمه الاجهاز على ثورة اليمن ، والقضاء عليها وكانت الثورة قد اشتعلت فى الجنوب اليمنى تطالب ايضا بطرد الاستعمار البريطانى من عدن ، وقد اطلقت رصاصتها الاولى فى اكتوبر ١٩٦٤ .

وعززت مصر قواتها فى اليمن لكى تسيطر الثورة على اليمن ، وتقلق ايضا المستعمر البريطانى فى الجنوب حتى يرحل .. فقد كان تحرير اليمن الجنوبى من الاستعمار البريطانى عملا لا يقل اهمية عن تحرير اليمن الشمالى من الاستعباد الامامى .

وكان الذين يقاتلون فى اليمن هم جنود مصريون الى جانب اشقائهم اليمنيين . وفى الجبهة الاخرى كانت بقايا فلول القبائل المأجورة من النظام الامامى ، والاهم من ذلك الجنود المرتزقة ، الذين جمعوا من كل انحاء العالم ليحاربوا نظير المال ، الى جانب قوات الامام البدر وعمه الحسن الذى عاد من رئاسة وفد اليمن فى الامم المتحدة ليقود عمليات التدخل عندما كان البدر مازال مختفيا

وتردد أنه قتل أثناء اقتحام قوات الثورة لقصره والاســـتيلاء على الحـــــكم .

وخلال الحرب انتقلت اليمن من القرون الماضــية الى العصر الحديث، انشىء فيها جهاز للدولة لأول مرة ودرب وسلح جيش يمنى، واقيمت المدارس والمستشفيات والمصانع لاول مرة،ودخلت الكهرباء، وعبدت الطرق ، واطيح بالنظام الامامى الرجعى ، واقيمت جمهورية فى اليمن وتحرر اليمن الجنوبى ، وسيطر العرب على باب المندب ، وتمكنوا من اغلاقه خلال حرب ١٩٧٣ فى وجه العدو الصهيونى .

وكانت هناك قوات مصرية لم تشـــارك فى الحـــرب ، او كانت مشاركتها رمزية . . كالدفاع الجوى ، والقوات الجوية ، والمدرعات ومع ذلك فقد كان عبد الناصر حريصا على السلام فى اليمن ، وعلى عدم الاقتتال ، حرصه على استمرار الثورة والنظام الجديد ، وعقد اكثر من اتفاقية للهدنة نقضها الملكيون وفى اغسطس ١٩٦٥ بادر عبد الناصر بصحبة زكريا محيى الدين بالذهاب الى جـــــدة دون حساسيات لوضع حد للحرب ، وانتهت الزيارة باتفاق ينص على أن تسحب مصر قواتها خلال عام .

وعهد الى ممثله الشخصى الدكتور حسن صبرى الخولى بأن يتابع الاتفاقية مع السعودية قال لى الدكتور الخـــولى فى حديث مسجل انه كانت لديه تعليمات محددة ، أن يؤجـــــل فى الاتفاق ، حتى لا يخرج آخر جندى مصرى من اليمن الشمالـــى الا بعد جلاء الاستعمار البريطانى عن الجنوب .

فقد كان الوجود المصرى فى الشمال هو القوة الدافعــــة للحركة الوطنية الثورية فى الجنوب ، وهى ايضا التى تمدهـــــا بكل الطاقات .

كانت مساندة حركات التحرير الوطنى ومقاومة الاستعمار على كل شبر من الارض العربية هدفا أساسيا لدى عبد الناصر . . لذلك فانه سيظل رغم الحملة فى مساندة شعب اليمن فى التحرر من النظام

الامامي من ابرز انجازات عبد الناصر ، وهو فضل يذكره له جميع أبناء اليمن شماله وجنوبه ، الذين كرموا ذكرى عبد الناصر ، بل وكرموا كل الجنود المصريين الذين شاركوا فىمعارك التحرير الكبرى.

ولم يكن من الممكن ان يترك الاستعمار عبد الناصر لكى يقيم تنمية حقيقية لذلك كان تحرير الارض العربية هو احد القلاع لحمايه منجرات الشعب المصرى فى الداخل .

وفى المحصلة النهائية لحرب اليمن فقد انتصرت الجمهورية،وتحرر الشعب اليمنى وتحرر باب المندب وسيطر العرب على مدخل البحر الاحمر وخسرت مصر ١٠ الاف جندى استشهدوا على ارض اليمن خلال خمس سنوات فى معارك لتحرير اليمن ، واقامة الجمهورية، ومساندة الثورة وكان عدد سكان مصر ٣٠ مليونا ،ولقد خسر محمد على ٢٨الاف جندى فى حربه بالجزيرة العربية التى لم تحقق شيئا ، ولم يساند احدا ، وكانت رغبة فى التوسع وكان عدد سكان مصر ثلاثة ملاين ودفعت مصر فى معارك اليمن ٣٠ مليونا من الجنيهات ، من اقتصادها المرهق ، تنفيذا لاهداف آمنت بها ، ولشعارات رفعتها ، وعملت جادة على تحقيقها ، وتحمل الاتحاد السوفيتى ثمن السلاح كاملا ، كما تحمل ايضا نفقات نقل القوات وهكذا فان عبد الناصر لم يندفع الى القتال فى اليمن ولكنه ارسل قوة محدودة لمساندة ثورة الشعب اليمنى ، والذين حولوها الى حرب هم الاخرون الذين لايهاجمهم احد .. فهم الذين واجهوا الثورة ، وهم الذين حولوا هذه المساندة الى حرب ، وحولوا الكتيبة الصغيرة الى جيش كبير .

ولم يكن عبد الناصر راغبا فى الحرب ، بل كان حريصا على السلام ، وكان الملكيون يصرون على أن يقفوا فى وجه عجلة التاريخ وان يوقفوا التطور ، ولكنهم لم ينجحوا .. وانتصر الشعب اليمنى وعاشت ثورته ، ومازالت رغم اختلاف الحكام ، تحمل للشعب المصرى وقائده كل الحب والتقدير .

ويقول د · حسن صبرى الخولى فى حديث خاص : ان عبد الناصر عندما اختاره مسئولا عن اليمن وضع أمامه عددا من القضايا بوضوح :

ـ ان مصر ليست لها مطامع فى اليمن . هدفها الوحيد هو دعم الشعب اليمنى وتأكيد رغبته فى القضاء على التخلف . وان يعيش حياة حضارية .. كأى شعب آخر .

ـ انه لابد من الحفاظ على العلاقات الودية الطيبة التى كانت قائمة باستمرار بين الشعبين المصرى والسعودى بقدر الامكان .

ـ ان القوات المصرية لن تعود من اليمن الا بعد أن تتأكد من مسألتين اساسيتين :

الاولى : أن يقوم فى اليمن حكم وطنى يرضى عنه الشعب اليمنى

الثانية : ان يخرج آخر جندى بريطانى من جنوب اليمن ويتحرر الجنوب اليمنى الذى كان محتلا باستعمار بريطانى .

كان عبد الناصر يقلقه فقد جندى مصرى فى اليمن ، ويريد وقف الخسائر فى الارواح ، ووافق على أن تبدأ اتصالات هادئة مع السعودية ، وكانت الكويت قد ابدت رغبتها فى التوسط لانهاء النزاع .

سافر الدكتور الخولى الى الكويت وامضى مايقرب من ثلاثة اشهر فى لقاءات مع الدكتور رشاد فرعون الممثل للملك فيصل بعيدا عن العاصمة الكويتيه .. وكان يحضرها الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية الكويتى .. وانتهت اللقاءات بسفر الدكتور الخولى الى جدة وتم التمهيد لتوقيع اتفاقية جدة .

كانت بداية تدخل مصر فى اليمن كما يقول الدكتور الخولى بمعاونة صغيرة ، طائرة حربية واحدة تحمل اللواء على عبد الخبير ويضعة جنود كحرس خاص له .. وجهاز لاسلكى وبرافقهم عبد الرحمن البيضانى .. وانتهى الامر بسبعين الف جندى مصرى

.. ثم خروج آخرهم يوم ٧ ديسمبر ١٩٦٧ بقيــــادة الفـــريق عبد القادر حسن آخر قائد عام مصرى فى اليمن .

الحل السلمى :

رغم مساندة مصر العسكرية فانها كانت دائما ترى حـــل المسألة اليمنية بالطرق السلمية وفقا لرغبـــة الشـــعب اليمنى ولم تدخر جهدا فى هذا السبيل ، ولكن الاخرون كانوا يصرون عـــلى استمرار الحرب، ففى عام١٩٦٣ قبلت مصر وساطة الرئيس الامريكى كنيدى .. الذى أوفد السفير « بانكر » وتم توقيع اتفاقية بيـــن القاهرة والرياض ومضمونها .

ــ قيام السعودية بانهاء مساعدتها للملكيين ومنع الزعماء الملكيين من استخدام اراضيها لمواصلة الصراع فى اليمن .
ــ تبدأ الجمهورية العربية المتحدة فى سحب قواتها فى نفس الوقت الذى تتوقف فيه معونة السعودية للملكيين .

ــ اقامة منطقة منزوعة السلاح تمتد مسافة ٢٠ كيلو مترا على جانبى الحدود المرسومة بين السعودية واليمن .
ــ مرابطة مراقبين محايدين فى كل جانب من المنطقة المنزوعة السـلاح .
ــ تتعاون الجمهورية العربية المتحدة والسعودية مع ممثل السكرتير العام للامم المتحدة وغيره من الوسطاء المقبولين من كـلا الجانبين فى التوصل الى اتفاق على اجراءات وقف الاشـــتباك والتحقق منه ، ولكن هذه الاتفاقية تعثرت، .. ولم تنفذ ...

اتفاقية الطائف :

وكانت المحاولة الثانية عربية فى فبراير ١٩٦٤ عقب مؤتمر القمة الاول عرضت كل من العراق والجزائر وساطتهما ورحبت الجمهورية العربية المتحدة والسعودية بهذه الوساطة .

وسافر المشير عامر الى السعودية على راس وفد من مصر .. واجرى محادثات سرية انتهت بتوقيع اتفاقية الطائف .
وقد نص الاتفاق السرى الذى وقعت عليه كل الاطراف على ما يأتى :

سعيا وراء جمع الشمل العربى وتكتل الامة العربية فى سبيل تحقيق أهدافها العليا ورسالتها الانسانية الحضارية السلمية ، وتمشيا مع مقررات مؤتمر القمة العربى التى اسفرت عن اجتماع ملوك ورؤساء العرب بالقاهرة يوم ١٧ يناير ١٩٦٤ .

واستجابة للمساعى الحميدة التى بذلها كل من الرئيسين المشير الركن عبد السلام عارف والرئيس احمد بن بللا فى سبيل الوفاق وتصفية الجو العربى بواسطة وفدهما المشترك .

وتنفيذا لما جاء فى البيان الذى صدر عن الرياض بتاريخ ٤ فبراير ١٩٦٤ اثر المباحثات التى اجراها وفد المساعى الحميدة المذكور مع سمو الامير فيصل ورجال المملكة العربية السعودية فقد اجتمع بمدينة الرياض فيما بين يوم ١ و ٣ مارس ١٩٦٤ وفد يمثل الجمهورية العربية المتحدة المؤلف من سيادة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة وسعادة السيد أحمد عمر السقاف وكيل وزارة الخارجية الدائم وبحضور وفد المساعى الحميدة المؤلف من معالى السيد أحمد توفيق المدنى وزير الاوقاف فى الجمهورية الجزائرية ومعالى الدكتور شامل السمرانى وزير الصحة فى الجمهورية العراقية وسعادة الحاج عبد الحميد نعمان سفير الجمهورية العراقية فى المملكة العربية السعودية .

وقد عقدت عدة اجتماعات سادتها الصراحة التامة وروح الاخوة الاسلامية والتضامن العربى والرغبة المشتركة فى التعاون الصادق لما فيه خير الامة العربية وتحقيق آمالها وفى هذا الجو الاخوى تم بحث القضايا والمسائل المتعلقة بين الطرفين وفى طليعتها المشاكل المتعلقة باليمن .

ونظرا للتقدم الملحوظ وتقارب وجهات النظر فقد اتفق الطرفان على استمرار هذه المباحثات كى تسوى فى الاجتماع القادم بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وسمو الامير فيصل فى مدينة القاهرة بعد انتهاء موسم الحج مباشرة فى حوالى نهاية

شهر ابريل ١٩٦٤ وذلك استجابة للدعوة الصادرة من سيادة المشير عبد الحكيم عامر باسم الرئيس جمال عبد الناصر ٠

كما تعلن المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ان لا مطمع لهما فى اليمن وانهما تؤيدان التاييد المطلق استقلال اليمن وحرية شعبه وتقاومان كل محاولة استعمارية ضد اليمن ٠

كما يعلن الطرفان لما جاء فى بيان الرياض الصـــــادر بتاريخ ٤ فبـراير ١٩٦٤ عودة العلاقات السياسية فورا بينهما على ان يتحقق سفير كل منهمـا بمقـر عمله فى اقرب وقت ممكن وتسوى كافة القضايا المالية والمادية المتعلقة بين الطرفين بروح التآخى العربى ٠

ان وفد الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية اذ يســـعدهما اعلان هذا البيان ليسعدهما ان يقدما باسم حكومتيهما شكرهما العميق للرئيس السيد احمد بن بللا والسيد المشير الركن عبد السلام محمد عارف ولممثليهما الشخصيين معالى السيد احمد توفيق المدنى ومعالى الدكتور شامل السامرائى ويتمنيان للامة العربية دوام العزة والصفاء ٠

وكان هذا البيان بداية مرحلة جديدة فى العـــلاقات المصرية السعودية حول حرب اليمن .. مرحلة تميزت بالتحرك لانهاء هـــذا النزاع .. كانت مصر اذن راغبة فى انهاء الحرب .. ولكن كان هناك من هو صاحب مصلحة فى استمرار الحرب ، ومن يصر على أن تظل النيران مشتعلة .

لقاء مع الملك فيصل :

واثناء انعقاد مؤتمر القمة الثانى بالاسكندرية حدث تطور آخر .. فقد كانت زيارة الامير فيصل فرصة كى يلتقى بالرئيس عبد الناصر فى عدة اجتماعات اشترك فيها الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع ، والمشير عامر واستقر الاتفاق على :

ــ عزم المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة على التعاون التام لفض الخلافات بين الاطراف المختلفة فى اليمن وتصميمهما على منع الاشتباكات

المصلحة .. وان تقوم الدولتان بالاتصالات اللازمة لدى الاطراف المعنية لتهيئة جو من التفاهم للوصول الى حل للخلافات القائمة بالطرق السليمة ، على ان تستمر هذه الاتصالات الى ان تزول هذه الخلافات وتستقر الامور في اليمن ، وان تتمسك الدولتان الشقيقتان بالتعاون التام فيما بينهما في جميع الشئون وشتى الميادين وتعلنان تاييد كل منهما للاخرى في جميع الظروف سياسيا وماديا ومعنويا .

واتفق ايضا على ثلاث نقاط عملية لم تعلن هي :

- تعمل الدولتان على وقف القتال فورا بين الاطراف المعنية في اليمن .
- توقف المملكة العربية السعودية مساعداتها العسكرية والمالية والتي من شانها ان يستمر القتال وان يتم انسحاب جميع قوات الجمهورية العربية المتحدة من اراضي اليمن على مراحل على ان يتفق على الطرق الكفيلة بحفظ الامن والاستقرار .
- يبدا تنفيذ النقاط الواردة في المادتين السابقتين بعد الاتصال بالاطراف المعنية في اليمن والاتفاق على مراحل الانسحاب وطريقته ومدته وتكوين لجنة تحضيرية تمثل الفئات المختلفة .

مرة اخرى كانت مصر اذن ساعية لانهاء الحرب .. ولكن الآخرين لم يكونوا يرغبون في انهائها .

واجتمعت هذه اللجنة يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٤ في اركويت « شرق السودان » فيما عرف باسم مؤتمر أركويت الذى حضره من مصر السفير احمد شكرى والعميد ا ٠ ح ٠ محمد محمود قاسم ومن الجانب السعودى الدكتور رشاد فرعون والزعيم حمود عبد الهادى محمد عبد الواحد وكان اعضاء اللجنة التحضيرية هم : محمد محمود الزبيرى ، محمد أحمد نعمان ، على بن ناجى القومى ، محمد بن أحمد المطاع ، على ناصر طريق ، أحمد محمد هاجى ، محمد عبد الواسع حميد ، أحمد محمد الشامى ، محمد بن على بن ابراهيم ، حسنين موفق ، أحمد الحكمى ، حسن ابن اسماعيل ، يحيى لطفى الفيل ، عبد الرحمن الواسع ، صلاح المصرى .

وقد اتفق فى هذا الاجتماع على :

ـ وقف اطلاق النار واعمال العنف ابتداء من الساعة السابعة مساء يوم ٨ نوفمبر .

ـ عقد مؤتمر وطنى يمنى فى مدينة يمنية فى ٢٣ نوفمبر لوضع الاسس الكفيلة بحل الخلافات القائمة بالطرق السلمية ، واستقرار الامور فى اليمن .

ـ يحضر المؤتمر اليمنى مائة وتسعة وستون شخصا من العلمـــاء والمشايخ والقادة العسكريين وأهل الراى والخبرة من أهل الحل والعقد بحسب النسب الآتية :

٤ر٣ من العلماء ، ٨ر٣ من المشايخ ، ٨ر٢ من القادة العسكريين وأهل الراى والخبرة على ان ينضم الى هؤلاء اعضاء اللجنة التحضيرية انفسهم وعددهم ثمانية عشر شـــخصا .

ـ يلتزم المجتمعون بتنفيذ هذه القرارات كما يطالبون الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية مجتمعين وكلا منهما من جانبها ان تساعد على تنفيـــذ هذا الاتفاق ، ولم يجتمع المؤتمر الوطنى بسبب الخلافات على نسبة الملكيين فيه .. مرة اخرى كان هناك من لا يريد للحرب ان تنتهى .

وكان لابد من عقد لقاء جديد بين الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ، قال لى الدكتور الخولى : فى بداية صيف ١٩٦٥ استدعانى عبد الناصر وطلب منى السفر للسعودية لانه قرر ان يقابل الملك فيصل لانهاء الحرب ، فقد كانت مصر راغبة فى استقرار الامور ، ولم تكن ساعية الى الحرب ، وكان على أن ارتب هذا اللقاء .. وكان الملك فى الطائف وذهبت اليه واقترحت ان يكون مكان اللقـــاء مطار رأس بناس ، باعتباره اقرب بقعة مصرية للاراضى السعودية قلت ضاحكا للملك فيصل :

ـ يقال أن الطائرات المهاجمة تخرج من مطار رأس بناس .. فلماذا لا نجعله منطقة للقاء بينكما انت والرئيس عبد الناصر .

ورد الملك فيصل : ولماذا نلتقى فى رأس بناس .. سوف اذهب انا اليه فى الاسكندرية ..

وعدت الى الاسكندرية وقلت للرئيس : ان الملك فيصل سيحضر الى هنا ليلتقى بك .

وقام عبد الناصر ليتمشى على الشاطىء .. دقائق معدودة .. وبعدها عاد ليقول لى انا ذاهب الى الملك فيصل فى جدة .. اخطرهم هناك .. وتصرف على هذا الاساس فنحن نريد انهاء الحرب ..

وعدت فورا الى الطائف حيث وجدت ترحيبا شديدا بزيارة عبد الناصر التى صحبه فيها زكريا محيى الدين ، وانور السادات، ومحمد حسنين هيكل ، والسفير السعودى بالقاهرة محمد على رضا .

وطلب الرئيس عبد الناصر قبل أن يتم أى لقاء بين الجانبين ان يقوم بتأدية العمرة وفعلا قام الوفد يرافقه الامير سلطان ، والامير فواز بأداء العمرة بعد العشاء الرسمى الذى اقيم يوم الوصول .. ثم تمت عدة جلسات ودية بعد أن قال عبد الناصر انه لا داعى لمباحثات رسمية بالوضع التقليدى ، وانه من أجل ذلك لم يرافقه وزير الخارجية المصرية ..

محضر اجتماع عبد الناصر :

كانت الجلسة الاولى يوم الاثنين ٢٣ أغسطس ١٩٦٥ يقول محضر الاجتماع المغلق ان الرئيس عبد الناصر بدأ حديثه بأن اوضح انه يهمنا ان تعود العلاقات بين مصر والسعودية كما كانت .. الاعداء فقط هم الذين يكسبون من عداوتنا .. العناد يجعلنا نصطدم .. اننى اتكلم بوضوح لمصلحتنا .. الوضع الطبيعى ان تكون مصر والسعودية اصدقاء ان عاجلا او آجلا لابد أن نصل الى عودة الصداقة .. نحن لم نهاجم الا بعد أن هوجمنا .. انا قلت للملك سعود الكلام ده .. وانا لم ادفع قرشا واحدا ضد الملك سعود او حكمه .. سنة ١٩٦٥ طلبنا منكم بترول اعطيتموه لنا بدون اتفاق .. لما طلبنا قرضا اخذناه منكم عملة صعبة دون اتفاق

ثم جاءت الوحدة ونتج عن هذا عملية مؤامرة سعود ، وسرنا هكذا حتى جاء موضوع اليمن .. هل نحن متفقون فى عودة العلاقات الى طبيعتها .. ؟ انا اعتقد أننا .. متفقون .

هل انتم متصورون اننا شيوعيون واننا نمثل خطرا على العرب .. الحقيقة أعداؤنا هم الذين يقولون هذا الكلام .

هناك فرق كبير بين الاشتراكيين والشيوعيين ، وانتم لا تقبلون ان تكون البلد فى ايدى حفنة من الاقلية .. لقد صرفنا ٤ آلاف مليون جنيه .. عندنا مشاكل بالنسبة لزيادة السكان فى بلدنا .. يوجد خلافات كبيرة بيننا وبين الشيوعية ، سنة ١٩٥٦ حبسنا الشيوعيين وطلعناهم منذ فترة قريبة ، ولكنهم لم ولن يستطيعوا تجنيد واحد ، ومن اجل هذا قرروا حل الحزب الشيوعى ، وهذا يحدث لاول مرة فى تاريخ اى بلد .

وتحدث عبد الناصر عن المعلومات المضللة التى وصلت المخابرات الامريكية عن طريق احد الصحفيين وكان الصحفى قد القى القبض عليه بتهمة التجسس لحساب امريكا — كما تحدث عن بعض عناصر الاخوان المسلمين الذين يعيشون فى السعودية ، ومعلوماتهم غير الصحيحة .

وانتهى عبد الناصر من حديثه الى ان الوضع فى مصر مستقر جدا وليس كما يصور الاخوان المسلمين من ان الوضع سينهار قريبا .

محضر هذا اللقاء يحوى ردا للملك فيصل على ما قاله جمال عبد الناصر .. قال الملك بالنص : مصر والسعودية يجب ان يكونوا متفاهمين ، واكثر من متفاهمين وهذا هو الشىء الطبيعى والمنطقى لان الواقع والتاريخ يقومان على ذلك ، والاشياء التى عطلت الصف ، وانا مابتكلم فيها لانها شىء معروف .

انا مرتين جيت لمصر لمحاولة اصلاح الحال ، وتمكنت بمساعدتك من ازالة بعض الاشياء ، ولكن يترجع الامور تتكرر ، ايام الملك سعود

لو كان ماضى طيب ما كانت العلاقة ساءت · ونحن مشينا مع الملك سعود بكل اخلاص ، وبكل امانة ، وكنا لانريد اى تفرقة ونفى الملك فيصل أن الحكومة السعودية سلمت نقودا لاحد لكى يحمل ضد مصر فى عهده ·

وقال الملك فيصل « سيادتك تتذكر اجتماعنا فى شبرد،وكان معك المشير عامر ، وصلاح سالم ، وتكلمنا ، وبينت لسيادتك اننا على علاقة بفاروق . وتذكر له انه جلب مصر للعرب ونحن كصداقة نعم . ولكن كون فاروق يحكمها ده شىء آخر لا علاقة لنا به ، ومصر يحكمها من يريده أبناؤها وسيادتك تتذكر هذا الحديث ·

وواصل الملك فيصل حديثه قائلا :

« فى العراق انشال الملوك اللى منها ، لم نتدخل مادام الشعب يريد ذلك .. من ناحية الكلام على الشيوعيين الاخوان يذكروا كلامى ، وانا باقول ان مصر تكون شيوعية هذا مستحيل ، وان جاءتنا الشيوعية فتأتى لنا من طريق آخر ·

الرئيس جمال عبد الناصر : هذا شىء آخر غير العلاقة بالاتحاد السوفيتى .

الملك فيصل : المهم ازلة ما يسبب تعكير ما فى النفوس .. ان جاءكم تقارير اننا ندفع فلوس ضدكم نحن كذلك تأتينا تقارير ان الجمهورية العربية المتحدة لها مخططات وتريد احداث شر فى المملكة .

وقال الملك فيصل بعد مناقشة اشترك فيها الامير سلطان : ولماذا ندفع ولمصلحة من ندفع اذا استطعنا ان نقوم بخدمة بلدنا فهذا اهم .. مصاريف مثل هذه الامور ليس لها اول أو آخر .. واكثرها يروح سرقة .. نشتغل ضد مين .. الانجليز .. الامريكان .. الروس معقول .. ولكن نشتغل ضد القاهرة .. وأؤكد انه لايمكن فى يوم من الايام أن يكون فى نفوسنا سعى أو عمل ضد الجمهورية العربية المتحدة بالذات أو ضد اى بلد عربى آخر . وذلك لان علاقاتنا بالجمهورية العربية المتحدة اكبر واقوى من اى بلد آخر .

من اجل ذلك .. الوضع الطبيعى ان يكون هنـــا ومحـر شيء واحد .. والمهم عندنا ان مثل هذه الاشياء التى تحصلك لاتجد عنـــدك نبولا .. ابرك الساعات واسعد الاوقات عـــلى نفوســـنا كلنا هو حضورك والشاعر النفراوى والله ، ما عندى خبر بحضوره الا قبل الجلسة بخمس دقائق ــ وكان الشاعر النفراوى قد كتب قصائد عديدة فى الهجوم على جمـــال عبد الناصر ولكنـــه حضر فى تلك الليلة والتى قصيدة يشيد فيها بالرئيس جمال ــ وبعد مناقشات طويلة وتمت اتفاقية جدة .

وكانت اتفاقية جـــدة من اهم الاتفاقيـــات فى تاريخ العلاقات المصرية السعودية ، ولم تنشر الاتفاقية وانما صدر عن الاجتماع بيان مشترك صاغه الاستاذ محمد حسنين هيكل الذى رافق الوفد المصرى وفيما يلى النص الكامل لهذه الاتفاقية الهامة :

ــ ان الهدف الذى قصد اليه الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل فىمباحثاتهما التى تمت فى جدة ايام ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ربيع الثانى ١٣٨٥ (الموافق ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ اغسطس ١٩٦٥) هو التمكين للارادة الحرة للشعب اليمنى حتى تكون قادرة على خدمة الامال الكبيرة التى تحدو هذا الشـــعب العربى المجيد وتوفر جو الســلام الذى يعطى هذه الآمال موضوعيا المناخ الملائم للنمو والازدهار ــ هذا فضـــــــلا عن ازالة كل سبب للخلاف الطارىء بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية وتوثيق الروابط التاريخية بين شعبيهما وتاكيد الحرص على الرغبـــة الاكيدة فى صون هذه الروابط من مضـاعفات اى سبب للخلاف .

وفيما يخص علاقات الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بالموقف الحالى فى اليمن فان الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ــ بعد الاتصــــال بكل ممثلى الشعب اليمنى وقواه الوطنية والتعرف على رغباتها ــ يريان ان طريق الحق والايمان لمواجهة المسئولية تجاه الشعب اليمنى وضمانا للهدف الذى قصـــد اليه من الاجتماع ، يتحقق على النحو التالى :

١ ــ يقرر ويؤكد الشعب اليمنى رأيه فى نوع الحكم الذى يرتضيه لنفســـه وذلك فى استفتاء شعبى فى موعد اقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ م .

٢ ـ تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء فترة انتقالية بقصد الاعداد والترتيب للاستفتاء المذكور ·

٣ ــ تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى تشكيل مؤتمر انتقالى يتكون من خمسين عضوا ويمثل جميع القوى الوطنية واهل الحل والعقد للشعب اليمنى بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسبما يتم الاتفاق عليه .

ويجتمع المؤتمر المذكور فى مدينة « حرض » يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٥ وعلى هـذا المؤتمر القيام بالمهام التالية : ــ

(ا) تقرير طريقة الحكم فى فترة الانتقال وحتى اجراء الاستفتاء الشعبى .

(ب) تشكيل وزارة مؤقتة تباشر سلطات الحكم خلال فترة الانتقال .

(جـ) تقرير شكل ونظام الاستفتاء الذى سيتم فى موعد اقصـــاه ٢١ نوفمبر ١٩٦٦ م .

٤ ــ تتبنى الحكومتان قرارات المؤتمر الانتقالى اليمنى المذكور وتدعمانه وتتعاونان فى انجاح تنفيذها وتعلنان من الآن قبولهما لوجود لجنة محايدة منهما معـــا للمتابعة والاشراف على الاستفتاء وذلك فيما اذا رأى المؤتمر ضرورة لوجود مثل هذه اللجنة المحايدة .

٥ ــ تقوم المملكة العربية السعودية على الفور بوقف كافة عمليات المساعدة العسكرية بجميع انواعها او استخدام اراضى السعودية للعمل ضد اليمن .

٦ ــ تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن فى ظروف عشرة اشهر ابتداء من يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ م .

٧ ــ توقف الاشتباكات المسلحة فى اليمن فورا وتشكل لجنة ســـلام مشتركة من الجانبين تقوم بما يأتى :

(ا) مراقبة وقف اطلاق النار بواسطة لجان للمراقبة .

(ب) مراقبة الحدود والموانى ووقف المساعدات العسكرية بجميع انواعها ، اما المساعدات الغذائية فتتم تحت اشرافها .. والجان المراقبة المذكورة ان تستخدم الاراضى السعودية اذا دعت الضرورة لذلك التى توصلها لنقط المراقبة التى سوف يتفق عليها .

٨ ــ تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة وتعملان

ايجابيا على تامين تنفيذ هذا الاتفاق وفرض الاستقرار فى الاراضى اليمنية حتى اعلان نتيجة استفتاء وذلك بتخصيص قوة من الدولتين تستخدمها اللجنة عند اللزوم للقضاء على اى خروج على هذا الاتفاق او اى عمل على تعطيله واثارة القلاقل فى سبيل نجـــاحه .

٩ ـ بغية دفـــع التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربيـــة السعودية الى التقدم واجتياز المرحلة الحالية الى الوضع الطبيعى كما كانت وكمـــا ينبغى ان تكون عليه العلاقات بين البلدين يتم اتصال مباشر بين الرئيس جمـــال عبد الناصر وجلالة الملك فيصل لتلافى حدوث اى مصاعب تقف فى طريق تنفيذ هذا الاتفـــاق .

لم يكن الامر سهلا بعد توقيع هذه الاتفاقية . . فقد رفضت كل الاطراف اليمنية الاتفاقية ، اصدر المشير عبد الله السلال بيانا قال فيه ان الجمهورية العربية اليمنية حكومة وشعبا لاتقبل بأى حال كل ما من شأنه ان يمس استقلالها ، وسيادتها من قريب أو بعيد بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، وان اتفاقية جدة عقدت بين الجمهوريـــة العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية . ولم تكن الجمهوريـــة اليمنية طرفا فيها ، ولم تقرها . . أو تلتزم بها وكل ما يقال عن استفتاء يعتبر تدخلا سافرا فى استقلال الجمهورية العربية اليمنية واعتداء صارخا على سيادتها ومخالفا لكل القوانين الدولية .

وقد طبعت سفارة اليمن فى موسكو هذا البيان نشرته على نطاق واسع قائلة : انه جاء تعبيرا صادقا عن ارادة الشعب اليمنى .

وقالت : ان الاتفاقية المعقودة فى جدة تعتبر ســارية عـــلى الطرفين الموافقين عليها فقط وأن الشعب اليمنى عبر عـــن رأيـــه فى مؤتمر (حرض)

اما بالنسبة للقبائل فقد عارضها الجمهوريون ، وأيدهـــــا الملكيون فى البداية ، ثم اعلنوا أنهم يرفضون أى محاولة للوساطة لانهاء الحرب الاهلية ضد نظام الحكم الجمهورى فى اليمن ، ويطلبون انسحاب القوات المصرية حفاظا على ارواحها .

اى ان الاطراف اليمنية جميعها ، وقفت ضد الاتفاقية ، لاسباب مختلفة بحكم موقع كل طرف .

وقامت مشاكل اخرى ادت الى تعطيل تنفيذ الاتفاقيـة .. وعرضت الكويت وساطتها اثناء زيارة اميرها لمصر فى ابريل ١٩٦٦ ، ومرة اخرى .. بدات الانصـــــالات لانهـاء المشـــــكلة اليمنية .. وكان محور النقاشات التى دارت بين الدكتور حسـن صبرى الخولى ، والدكتور رشاد فرعون يتلخص فى نقاط اربع :

ـ تسوية الوضع فى اليمن ـ تشكيل الحكومة الانتقـالية ـ سحب القوات المصرية ـ سحب اسرة حميد الدين .

وكانت الكويت قد تقدمت بمقترحاتها فى ٢١ يوليو ١٩٦٦ وتنص عـلى : ـ

● تشكيل حكومة انتقالية فى اليمن من الجمهوريين والملكيين فى ظل النظـام الجمهورى القـــائم .

● تشكيل الحكومة الانتقالية بنسبة ٥٠ لكل من الجمهوريين والملكيين تطلب الحكومة الانتقالية من بعض دول الجامعة العربية ارسال قوات رمزية الى اليمـن لحفظ النظام بالاشتراك مع قوات متساوية العدد من كل من مصر والسعودية .

● تطلب الحكومة انتقالية من السعودية سحب اسرة جميد الدين .

● تطلب الحكومة الانتقالية من القاهرة سحب القوات المصرية .

● تحدد الحكومة موعد استفتاء الشـــعب اليمنى .

ووافقت مصر على هذه المقترحات ، ولكن السعودية رفضتها، قدم وزير الخارجية الكويتى بمقترحات كويتية اخرى وافقت عليها مصر ، ورفضتها السعودية ، وهى قبول تسمية « الدولة » اليمنية .. تشكيل الحكومة الانتقالية بنسبة ثلاثة اخماس جمهوريين وخمسين ملكيين وان يتم سحب اسرة حميد الدين عند سحب نصف القوات المصرية او نصف المدة التى يتفق عليها .

وعندما تعثر مؤتمر حرض الذى نصت عليه الاتفاقية ، كان

هناك اتصال بين الرئيس والملك عبر الرســــــائل السرية وتلقى عبد الناصر رسالة سرية من الملك وقعها باســـم اخيكم فيصـــل فى ١٤ رمضان ١٣٨٥ الموافق ٥ يناير ١٩٦٦ وكان نصها :

فخامة الاخ الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ..

تحية وتقديرا ، وبعد : فان الحافز الذى دفعنى الى ان اكتب لفخامتكم شخصيا هو ما لمسته من تغير فى سير اعمال مؤتمر « حرض » قد يكــون مرده الى الطريق التى اتبعت فى تنفيذ اتفاقية جـــــدة او الى تباين وجهات نظر الاخوان الذين عهـــد اليهم بتنفيـــــذها .

لهذا وجدت من الضرورى الاتصال بفخامتكم ومصـــــــارحتكم بذلك لاننى على يقين بحسن نواياكم وتصميمكم الاكيد على ايجاد حل للمشكلة اليمنية التى لم يقتصر لهيبها على اليمن وحدها بل تعداها الى العلاقات الطيبة التى كانت تربط بلدينا .

وانطلاقا من الروح الخيرة التى املت علينا توقيع اتفاقية جدة ، ومن جـــو الود والتفاهم التام الذى ساد المباحثات ، كل هذا جعلتنى اثق كل الوثوق بـــانه لا يمكن ان نقف اى صعوبة فى سبيل تنفيذ هذه الاتفاقية مادامت النوايا الحســـــنة رائدنا والرغبة الصادقة فى الوصول الى حل لهذه المشكلة نبراسنا .

ولقد كان مفهوما لدينا اثناء المباحثات وما سبقها ان الهـــدف الرئيسى من هذه الاتفاقية يرمى الى نقطتين :

١ ــ وضع الاسس العملية لحـــل المشكلة اليمنية واقرار الامن والســـــلام فى ربوع اليمن العزيز بعد حرب طاحنة دامت ثلاث سنوات لم يكن خلالها اى طرف من احراز نصر عسكرى حاسم يحقق معه اهدافه .

وهذا ما حدا بنا الى التفكير فى ايجاد تسوية سليمة تلتقى عنـــــدها الاطراف المتنازعة فى فترة انتقالية لايحرص اى فيها على التمسك بنظامه بل ينصهر النظـــامان القائمان حاليا فى اليمن فى طريقة على ان تباشر السلطة فى هذه الفترة وزارة مؤقته لحين اجراء الاستفتاء الشعبى الذى سيتم بموجبه لحين ذوع الحكم النهائى الذى يرتضيه الشعب اليمنى لنفسه .

٢ ــ تدعيم التعـــاون البناء بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربيـــة

السعودية وازالة اسباب الخلاف بينهما وتوثيق الروابط التاريخية بين الشعبين الشقيقين ولهذا فلقد التزمت المملكة العربية السعودية بتنفيذ المادة الخامسة من الاتفاقية التى تنص على وقف جميع المساعدات العسكرية فور التوقيع عليها ، والتزمت الجمهورية العربية المتحدة بسحب كافة قواتها العسكرية من اليمن فى ظرف عشرة ايام ابتداء من ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ م .

ومن منطوق هاتين المادتين بانه ليس هناك لية علاقة بينهما وبين مايتخذه المؤتمر من قرارات بدليل ان وقف المساعدات العسكرية من قبل المملكة العربية السعودية نفذ فور التوقيع على الاتفاقية وعلى أن يبدأ بسحب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة يوم انعقاد المؤتمر فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ أى قبل أن يتخذ المؤتمر اى قرار .

ولتنفيذ النقطة الاولى من هدف الاتفاقية الرامية الى ايجاد تسوية بين الاطراف المتنازعة كان لابد من تهيئة الرأى العام اليمنى لقبولها وعلى ان تتم هذه التهيئة فترة الا شهر الثلاثة الواقعة بين تاريخ توقيع الاتفاقية وموعد انعقاد المؤتمر فى « حرض » .

وهذا ماقامت به المملكة العربية السعودية من جانبها بينما تركت الجمهورية العربية المتحدة للمسئولين فى صنعاء حرية التصرف حسب رأيهم وهو أهم ولهذا فقد تعثرت مباحثات المؤتمر وتباينت المفاهيم وامتزجت طريقة الحكم المؤقته فى فترة الانتقال بالنظام الدائم الذى سيحكم اليمن والذى سينبثق منه نتيجة الاستفتاء الشعبى الذى سيتقرر اجراؤه فى بحر سنة :

وان عدم السعى لدى الجانب الجمهورى فى صنعاء بتهيئته لقبول التسوية فى الفترة التى سبقت انعقاد مؤتمر « حرض » كان من نتائجه تعقيد الامور واحداث البلبلة فى المفاهيم مما اعاق سير اعمال المؤتمر .

وهنا لابد من الاشارة الى ماتعرضت اليه لجنة السلام من مواقف عدائية قام بها المسئولون فى صنعاء سواء عن طريقة وسائل الاعلام او فى تنظيم المظاهرات ضدها كما ورد فى الكتاب الذى ارسلته لجنة السلام للمسئولين فى كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ١٩٦٥/١٠/٢١ والذى جاء فيه :

« وانه لما يؤسف اللجنة ان تذكر أن الحوادث التي وقعت وان الاتصالات التي قامت بها بعد وصولها تثبت بما لايقبل الشك أن الجهات المسئولة في صنعاء لم تبذل اى جهد في وقف الحوادث بل على العكس مهدت لها وساهمت مساهمة فعلية فيها وان اللجنة تود أن تذكر بالحوادث المشابهة التى وقعت يوم السبت ١٦/١٠/١٩٦٥ وان تشير الى عدم اتخاذ اية اجراءات ايجابية حاسمة في الوقت المناسب كان من اهم اسباب اندلاع حوادث يوم الجمعة ٢٩/١٠/١٩٦٥ .

وتقول اللجنة في مكان آخر من الكتاب نفسه :

« وان اللجنة تستخلص من هذه الحوادث المؤسفة مغزى أعمق في ان كل ماحدث لم يقع الا لان الاطراف اليمنية المعنية لم تتجاوب مع اتفاقية جدة » .

هذا حسب رأينا ما اعاق تنفيذ اتفاقية جدة ، ويضاف الى ذلك السماح في فترة التهيئة بتشكيل منظمات شعبية داخل اليمن وتزويدها بالاسلحة لاثارة الفتن والقلاقل .

ولكن المملكة العربية السعودية لم تعبأ بكل هذه الاجراءات اعتقادا منها حسبما فهمت من قبل المسئولين في القاهرة بأن اتفاقية جدة تطبق نصا وروحا . وما هذه الاستفزازات والدعايات الا مجرد اثارات يقوم بها بعض المغرضين الذين ستتأثر مصالحهم الشخصية من جراء تنفيذ الاتفاقية .

وجاءت الاجتماعات التى عقدتها لجنة الرقابة في مؤتمر — حرض — مؤيدة لهذا الاعتقاد في بادىء الامر اذ نوقش فيها طريقة الحكم في فترة الانتقال تحت اسم — الدولة اليمنية — واتسع لبحث تحديد عدد اعضاء كل جهاز من اجهزة الحكم فيها .

وفي ضوء ماتقدم فاذا كان رأى فخامتكم منسجما مع مفهومنا من اهدف اتفاقية جدة فانه يسرنا ان نرسل شخصا موثوقا ومفوضا من قبلنا الى القاهرة بناء على الرغبة التى ابداها سيادة الاخ حسن صبرى الخولى لسفيرنا في القاهرة وذلك للتفاهم مع من ينتدبه فخامتكم لوضع الخطوط العريضة حتى التفصيلية الرامية لحل هذه المشكلة اتى لن يستعصى حلها باذن الله مادامت النوايا الحسنة متوفرة من الجانبين .

هذا واننى لعلى يقين بان فخامتكم ستولون هذا الموضوع ما يستحقه من

الاهتمام ، وستبذلون قصارى جهدكم لانجاح المؤتمر تحدوكم الرغبة الاكيدة المتبادلة في وضع العلاقات بين بلدينا حيث كانت وينبغي ان تكون دائما قربا وتعاونـــــا وبيقا بناء .. متمنيا لفخامة الاخ الصحة والتوفيق ولشعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيق الرفاهة والازدهار .

رسالة من عبد الناصر :

تلقى عبد الناصر رسالة الملك فيصل . . واعد ردا عليها أرسله للملك وتعه باســـم « اخوكم جمال عبد الناصر » وكـــــان نص الرســـــالة :

جلالة الاخ الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود .. ملك المملكة العربيـــــة السعودية .. احييكم اطيب تحية وبعد .. فقد قابلني الشيخ محمد على الرضا ، سفيركم في القاهرة ، وتسلمت رسالتكم — وانني لشاكر لجلالتكم مبادرتكم ومتابعتكم المخلصة لقضية السلام في اليمن . ولقد اهتممت بما أثرتموه من آراء في رسالتكم حول تنفيذ اتفاقية جدة .

ولقد تحدثت الى سفيركم بكل صراحة ووضوح ، وشرحت له وجهة نظـــــر الجمهورية العربية المتحدة ، وانى لواثق انه سينقل لجلالتكم كل مادار بيننا في هذا الصدد ، وبهذه المناسبة فانى أود ان اوضح امرين :

أولهما : اننا عندما وقعنا اتفاقية جدة الينا على انفسنا الالتزام بهذه الاتفاقية نصا وروحا مذللين اية عقبات قد تصادفنا ، وذلك لتوفير الاستقرار على الارض اليمنية لكى يستطيع شعبها العربى المجيد ان يبدأ عملية بناء حياته ، وأود أن اطمئن جلالتكم ان الجمهورية العربية المتحدة ستظل على التزامها بهذه الاتفاقية التزامها بكل كلمة ارتبطت بها .

والامر الثانى : الذى اردت ان اوكد لجلالتكم هو اننى وشعب الجمهـــورية العربية المتحدة حرصون — غاية الحرص — على ان تظل روح الاخوة هى السائدة في كل أمر يجرى بيننا ذلك اننا نؤمن بان العلاقات المصرية السعودية هى الابقى ، وان كل جهد من اجل تقويتها يجب ان يبذل ، ففى ذلك صالح الامة العربية كلها .. واذا كان لشعب اليمن الشقيق اليوم مشاكله ، فان كل الامل والرجاء معقود عـــــلى

ان يستطيع هذا الشعب مواجهتها والتغلب عليها بحكمة ابنائه وبكل مايملكون ولماله من جهد نساهم به فى هذا السبيل حتى يستقر لليمن العزيز كيانه المستقل فنخرج جميعا من هذه القضية التى شغلتنا اعواما ونحن جميعا اقوى اخوة وعملا وارتباطا من اجل مستقبل امتنا العربية ومن اجل حريتها وكرامتها ورفاهيتها .

وتاكيدا منا للحرص على صون العلاقات المصرية السعودية من مضاعفات اى سبب للخلاف خارج ارادتنا ، فقد اقترحنا ايفاد ممثل لشخصى لجلالتكم ليكون مفوضا ، وارجو ان تكونوا على ثقة من اننا سنيسر له كل سبيل التباحث بوضوح وبصراحة حول تفاصيل ماذكرته لحديثى مع الاخ محمد على الرضا .

وانى لاسال الله ان يمدنا بفضله ما يستعين به عـــلى توجيه طاقاتنـــــا الوجهة الخيرة التى يتحقق بها الخير لشعبينا ولشعب اليمن الشقيق ولكافة شعوب الامة العربية .

ومع تمنياتى الصادقة لجلالتكم بالصحة والسعادة ، ارجو ان يتحقق للشعب العربى السعودى تحت قيادتكم كل عزة ورفاهية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كانت هاتان الرســالتان احد السبل لحل المشكلة اليمنية . . التى لم يتوان عبد الناصر فى حلها حلا سلميا مع الابقاء على النظام الجمهورى والحرص على استقلال الجنوب ، حتى تم حلهـــــــا وعادت القوات المصرية .

وفى المحصلة النهائية فقد كانت حرب اليمن تاكيدا لدور مصر ومساندتها لحركات التحرر ، الامر الذى دفع القوى المعادية الى ان تحول هذه المساندة الى حرب . . ولم تكن معركة مساندة ثورة اليمن هى كل معارك عبد الناصر العربية .

والعرب ايضا . .

و . . وانتهى نظام الامامة المتخلف فى اليمن ، وانتهت معه الطائفية والقبلية ، واصبح اليمن جمهورية مستقلة ذات مجتمع موحـــد ، وعاد المهاجرون اليمنيون ، بعد أن كانت اليمن اكثر البلاد العربيـــة طردا لسكانها ، الذين هاجروا بسبب قسوة الحكم أو قسوة الحياة .

وفى المحيط العربى لابد ان نذكر سريعا لعبد الناصر ان تونس حصلت على استقلالها ، واجريت فيها انتخابات المجلس التأسيسى فى مارس ١٩٥٦ فاز فيها حزب الدستور الجديد بالاغلبية ، واعلنت الجمهورية فى يوليو ١٩٥٧ وانتخب الحبيب بورقيبة رئيسا . وسافر عبد الناصر الى تونس ليشهد أعياد استقلالها .

وبدأ جيش التحرير فى المغرب معاركه التى استمرت حتى عاد الملك محمد الخامس الى العرش بعد عامين من نفيه ، وانتهت الحماية على المغرب واصبح مستقلا فى مارس ١٩٥٦ .

وكانت تربط الملك محمد الخامس بعبد الناصر صداقة متينة وقد شارك فى وضع حجر الاساس للسد العالى فى يناير ١٩٦٠ .

وقامت ثورة فى ليبيا . . وفى السودان ، وتحررت كل دول الخليج ، وكان صوت عبد الناصر مدويا وهو يرفع شعار « بترول العرب للعرب » ، ويسعى لتحويله الى حقيقة ، الامر الذى قدره له كل العرب عندما تحقق الشعار بعد رحيله .

ولم يبادر عبد الناصر رؤساء الدول بالهجوم ، كما انه لم يفتعل معارك . . لقد كانت قضيته الاولى تحرير ارادة الانسان ، ومواجهة الاستعمار ، واختار موقعه الى جانب الشعوب .

ولقد اشتعلت ثورة الجزائر ضد الاستعمار الاستيطانى الفرنسى عام ١٩٥٤ ووجدت فى مصر عبد الناصر السند القوى الذى امدها بالسلاح ، والعتاد ، ودرب الجنود واحتضن الثوار ، وخصص اذاعة سرية للجزائر .

القضية الفلسطينية :

ومن اجل فلسطين كانت ثورة عبد الناصر لقد كانت القضية الفلسطينية هى قضيته التى عاش من اجلها واستشهد على ساحتها ، وليس هناك من يجحد دور عبد الناصر بالنسبة للقضية

الهـــزيمة ٠٠ قمـــة المـؤامرات الاســتعمارية

كان لابد من القضاء على عبد الناصر ، وان تظل مصر بلدا زراعيا متخلفا ، ولا تلحق بحضارة وعلم ، وصـــناعة العصر ٠٠ لتكون اسرائيل هى منارة المنطقة العالية التفوق والتقدم ٠٠

وكان لابد ايضا من مواجهـة البعد القومى للثورة الذى بدأ ماردا صاعدا يقلق امريكا واسرائيل ٠٠

فشـــلت كل محاولات التآمر من الداخل ، فبدأ التآمر من الخارج ، وهذه المرة خطط للمؤامرة الخارجية بدقة واسهمت فيها كل الاطراف التى تريد ان تتخلص من عبد الناصر ٠٠ وهى الاطراف التى تنهال عليه الان لانه مازال يزعجها بعد رحيله بأكثر من خمسة عشر عاما .

وكانت مؤامرة يونيو ١٩٦٧ ٠٠ وعندما كتب محمد حسنين هيكل خطاب التنحى بعد الهزيمة ، قرأه عبد الناصر قبل ان يلقيه ، فوجد به جملة تقول « وانا اتحمل نصيبى من المسئولية » امســكه عبد الناصر بقلمه ، وكتب بدلا منها ٠٠ « وأنا اتحمل المســئولية كاملة » ٠

وعندما اراد صلاح نصر ان يخفف عنه صدمة الهزيمة المرة ، قال له عبد الناصر : انها قصة محمد على تتكرر يا صلاح ٠

وكانت الدول العظمى قد تكالبت على محمـــد عـلى ، حتى هزمته ، عندما اراد ان يخرج بمصر عن حدودها الاقليمية ، ويمتد بها ، ويكون لها دور مؤثر فى المنطقة .

وللهزيمة العسكرية اسبابها التى يتحمل عبد الناصر ايضـا نصيبه فيها ٠٠

ومع ان اسرائيل قد احتلت اراضى تعادل ثلاثة اضـــعاف مساحتها ، الا انها لم تستطع ان تقضى على روح القتال عند العرب جميعا ، ولم تحقق بالانتصار العسكرى ما كانت ترجوه من انهـاء

الصراع العربي الاسرائيلي ، وان يجلس العرب ليتفاوضوا معها فلم يستسلم أى نظام عربى ، كما لم يسمح أحد الى عقد صلح منفرد أو غير منفرد معها ٠فالعرب لم يستسلموا ، ولم يفاوضوا،ولم يقبلوا الهزيمة ٠٠ ورفعوا اللاءات الثلاثة فى احلك الظروف ٠٠ وبعـــد الهزيمة مباشرة ٠٠ لا صلح ٠٠ ولا تفاوض ٠٠ لا مرور لاسرائيل فى قناة السويس ٠٠ كما انها لم تســتطع ان توقف المد التحررى فى المنطقة ولا ان تجهز على اعمال وفكر وروح عبد الناصر .

ولقد أجريت عدة دراسات رسمية وتحقيقات فى أسباب الهزيمة ٠٠ كما قامت لجنة التاريخ التى شكلها السادات بسؤال كل الذين عايشوها ٠٠ ولم تنشر بعد هذه الدراسات ٠

وكانت المعركة قد بدأت بعد ان وضعت الولايات المتحدة عزل مصر ، والقضاء على النظم التى تسير على طريقه فى التحرر والبناء ٠٠ واثقة ان عبد الناصر لن يقف مكتوف اليدين لو تعرضت سوريا لغزو فكان التلويح يغزو سوريا ٠

وتطورت الامور الى اعلان اغلاق خليج العقبة ٠٠ وارســــل الرئيس الامريكى جونسون يقترح ارسال نائبه هيوبرت همفرى الى القاهرة لمناقشة الازمة مع عبد الناصر ووافق عبد الناصر ، واقترح ايضا ان يسافر نائبه زكريا محى الدين الى امريكا على الفور ، بدلا من انتظار حضور نائب الرئيس الامريكى ٠٠ وتقرر ان يسافر زكريا محيى الدين يوم ٦ يونيو، ولكن اسرائيل قامت بضربتها يوم ٥ يونيو٠

موعــد الحــرب :

لــم يتصرف عبد الناصر فى اتخاذ القرارات من تلقاء نفسه ، فمنذ بداية الازمة جمع كل المشاركين معه فى الحكم . واستشارهم، على راسهم رجال المؤسسة العسكرية ، بل انه ثابت مــن المؤتمرات التى عقدها عبد الناصر فى تلك الفترة مع رجاله ، والمسجلة بالصوت والصورة انه حذر من الحرب ، بل وحدد موعدها بالدقة صباح ٥

يونيو حيث تقوم اسرائيل بضربة مباغتة ، ولكن رجال الجيش لـم يهتموا بهذه التحذيرات .

وفى المحكمة العلنية التى حاكمت رجال المشير عامر قال احـد المتهمين ان المشير قال له ان العوامل تداعت بسرعة دون ان يدرى ، فرد عليه حسين الشافعى رئيس المحكمة قائلا بالنص :

« ان الرئيس جمال عبد الناصر عقد اجتماعا شهده جميع نوابه وعرض عليهم مسالة سحب البوليس الدولى باعتبار انه حق لمصر ، الدولة التى استضافت هذا البوليس .. وقد وافق الجميع على هذا الراى .. ثم اتبع الرئيس هذا بأن قال بالحرف الواحد ان هـــذه العملية تزيد من احتمالات المواجهة العسكرية مـن ٥٠٪ الى ٨٠٪ ونظر الى المشير عامر فابدى موافقة كاملة على ما قاله الرئيس مـن توقع ، وابدى موافقته على التنفيذ على اساس ان الموقف العسكرى مستعد للزيادة المتوقعة فى نسبة احتمالات المواجهة العســـــكرية الى ٨٠ ٪

« وانه بالنسبة لاغلاق خليج العقبة فان الرئيس جمال عبدالناصر عقد اجتماعا اخر شهده جميع نوابه ، وعرض فيه مسالة اغــــلاق خليج العقبة كآخر اثر بقى من آثار عدوان ١٩٥٦ . يمكن تصفيته وقال الرئيس ان هذا العمل سوف يرفع احتمالات المواجهة العسكرية من ٨٠٪ الى ١٠٠٪ . وان المشير عامر قال حينذاك بالحرف الواحد « برقبتى ياريس » .

« ولو كان المشير عامر ابدى اقل بادرة فيما يتعلق باستكمال الاستعداد لكانت هذه البادرة هى الرأى الحاسم فى الموضوع . وقد عقد الرئيس اجتماعا آخر وحدد فيه موعد العدوان على وجه التقريب ، وقال انه سيبدا بضربة جوية ، واننا سنتلقى الضربة الاولى ، تكلم لاول واخر مرة الفريق صدقى محمود قائد الطيران وقال انه يفضل ان نبدا بالضربة الاولى ، ورد عليه المشـــير .. وقال انه سيخسر

حـوالى ١٠٪ فى الضربة الاولى ، وقال لـه عبد النـاصر يكفينى حتى ٢٠٪ » .

اى انه دار حوار واضح حضره المشير والقادة ، ووافقوا على كل الاجراءات ..

العدوان البرى اولا :

على ان اسرائيل بدأت عدوانها عام ١٩٦٧ ، بتحركات عسكرية برية ، وليس بضربة جوية كما هو شائع .

ويقول الفريق صلاح الحـديدى رئيس المحكمة التى حاكمت العسكريين المسئولين عن النكسة : انه حدث هجـوم برى اسرائيلى على الحدود المصرية فى الساعة السابعة والربع من صباح نفس اليوم ٥ يونيو حيث قامت اسرائيل باحتلال موقع متقدم داخـل حـدودنا المصرية كانت تدافع عنه سرية مشـاة مدعمة فى منطقة أم بسيس « الامامية » اى ان الهجوم البرى قامت به اسرائيل قبل الهجـوم الجوى المشهور بحوالى سبعين دقيقة ، وان اسرائيل قامت بهـذا الهجوم كأختبار اخير لجس نبض رد الفعل المصرى ، والواقع انه لو كان هذا الهجوم قد وجد العناية الكافية من القيادات المحلية لاعتبر بمثابة اعلان للحرب بيننا وبين اسرائيل ، ولكن الغريب ان هـذا الهجوم لم يأبه له القادة المحليون بل لم يعتبروه حدثا هاما ينبىء باحداث أكثر جسـامة لابد ان تقع فى اعقابه ، وبالطبع ما لبث الهجوم البرى ان فقد اهميته عندما بدأ الهجوم الجوى الرئيسى ضد الطيران المصرى فى التاسعة الا ربع »

فاسرائيل بدأت هجومها اذن بقوات برية على منطقة ام بسيس الامامية قبل ضربة الطيران بساعة وعشر دقائق .

وكان يمكن ان يكون ذلك بمثابة اعلان الحرب ، وبمثابة الضربة الاولى لتتحرك قواتنا على اثرها ، او على الاقل تنبه لبداية الحرب، ووقاية الطيران ، ولكن ذلك لم يحدث .

ويقول الفريق محمد فوزى « ان المقدم ابراهيم سلامة قائد مكتب مخابرات العريش قد ارسل انذارا فى الساعة السابعة صباحا — حتى قبل احتلال قرية ام بسيس — يتحدث عن تجميــع لدوريــات العدو ومشاهدات انوار وسماع اصوات عربات جنزير ، واستعداده للهجــوم ·· وقد حدث ذلك حوالى الساعة الرابعة من صــباح ٥ يونيو ، وأرسلت الاشارة فى السابعة صباحا الى مكتب وزير الحربية شمس بدران ·· واستقبلت الاشارة ، وارسلت من كوبرى القبة الى مدينة نصر للقيادة العامة حيث كان المشير نائما ، وتسلمها على شفيق ، وعرضها على المشير فى غرفته . ولم يؤشر عليها احد ·· ولكنها وصلت لهيئة العمليات فى الساعة العاشرة الا ثلث اى بعد حدوث الهجوم الاسرائيلى الفعلى »

وكان هذا انذارا ثانيا ·· اذا كانت القيادة العسكرية واعية وعلى حذر ·· او على الاقل تمارس مسئولياتها العادية ·

وكان هنــاك انذار ثالث شــهير ·· هو ما اطلق عليه اشــارة عجلون ·· كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى الاردن ليتولى قيادة الجبهة هنــاك ·

ولاحظت قواته على شاشات الرادارات الاردنية اقلاع الطائرات الاسرائيلية بأعداد كبيرة ·· وقامت القوات الاردنية بابلاغ هــذه المعلومات لاسلكيا الى القيادة العامة ، والى قيادة القوات الجوية ·

ويقول صلاح الحديدى « انه كان من الممكن ان تكون هذه البرقية نقطة تحول لصالحنا فى تاريخ المعركة لو انهــا وصــلت فى الوقت المناسب وامكن الاستفادة من المعلومات التى تحملها ولكن القدر من ناحية ، والاهمال من ناحية اخرى ، وعدم اخذ الامور بالجـــدية اللازمة من ناحية ثالثة والثقة السياسية من عدم قيام الحرب حالت دون الاستفادة من هذه المعلومات الثمينة بل التى لا تقدر بثمن حيث ان مفتاح هذه الشفرة كان قد تغير فى الدقائق الاولى يوم ٥ يونيو ولم يتمكن الذى استقبلها فى القاهرة من فك رموزها حيث استخدم

مفتاح الشفرة التى سبقت يوم ٥ يونيو بجهل واهمال · وقد انتهت اشارة عجلون الى محاكمة عريف وعزله الى رتبة عسكرى »

الضربة الاولى :

وليست القصة هى الضربة الاولى التى يتهم جمال عبدالناصر بأنه طلب بتحملها فاسرائيل وجهت اليها الضربة الاولى عام ١٩٧٣ ، ولكنها قاتلت ، والمانيا وجهت هى الضربة الاولى ، ولكنها انهزمت، والامثلة كثيرة من التاريخ ·· ولقد كانت نصيحة كل من الاتحـاد السوفيتى وامريكا ضبط النفس ، والا تبدأ مصر بالقتال ، وقال ديجول أنه سيحدد موقفه على ضوء من الذى سيبدأ بالضربة الاولى ··

وفى التحقيقات يروى شمس بدران قصة الضربة الاولى قائلا :

«عدت من موسكوبعد أربعة أيام وكان الرئيس فى غرفة العمليات فابلغته بنتائج محادثات موسكو فقال الرئيس : احتمال الحرب ارتفع من ٨٠٪ الى ١٠٠٪ وقال : « عندى معلومات مؤكدة بأن اليـــهود سيهاجمون ، بعد غد » وانه عرف ذلك من مصدر امريكى وقال ان الموقف السياسى يحرمنا من الضربة الاولى « لان امريكا ستدخل فى الحرب لو حدث هذا واحنا مش حمل الكلام ده » · واعترض صدقى محمود قائد الطيران وقال : « ان الضربة الاولى من اليهود ستصيبنى بالشلل ؛ وقال له المشير : تحب الضربة الاولى ؛ ولاتحب أن يتدخل الاسطول السادس ·

صديقى : خلاص ·

المشير : ما هى الخسائر ؟

صدقى : الخسائر ٢٠ ٪

المشير : عجز ٢٠ ٪ وتحارب اسرائيل او تحارب امريكا ؟

صدقى : احارب اسرائيل فقط ·

وهكذا وافق المشير على تحمل الضربة الاولى التى لـــم تكن مفاجئة بعد كل هذه التحذيرات ، وفى ظل الاستعداد للحرب · بل

والمذهل ان عبد الناصر حدد موعد العدوان فعلا فى التاريخ الذى وقع فيه وهو يوم ٥ يونيو ٠

يقول الفريق صلاح الحديدى رئيس المحكمة العليا التى حاكمت قادة الطيران « ان الرئيس جمال عبد الناصر امر بعقد مؤتمر سياسى مساء يوم ٢ يونيو حضره كل من السادة أنور السادات ، وحسين الشافعى ، وزكريا محى الدين ، وعلى صبرى ، وعدد من القيادات السياسية كما حضره المشير عبد الحكيم عامر وقائد القوات الجوية ومساعدوه ، ورئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة ومساعدوه، ورؤساء الهيئات العسكرية ، بعض مديرى الادارات ، وكان هـذا اكبر مؤتمر سياسى عسكرى عقد حتى ذلك الحين ونقطة التحول فى المعـركة ٠

واستعرض الرئيس الموقف السياسى بالتفصيل وانتهى الى اننا كسبنا المعركة السياسية ، وان اسرائيل خسرتها على طول الخط ٠

ومن الناحية الاخرى فان الظروف الدولية تحتم علينا الا نتبع استراتيجية عدوانية حتى لا نضـحى بموقف امريكا وباقى الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد ان أعلن الجنرال ديجول ان فرنسـا ستقف ضد البادىء بالعدوان ٠

وأوضح الرئيس بان اسرائيل ليس امامها الا ان تسـلم بالامر الواقع او ان تعلن حربا علينا ، وعلى الدول العربية المتاخمة ٠

واشار الى انه لا يستبعد الاحتمال الاخير ، بل يتوقعه مائة فى المائة لا سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين الجنرال موشى‌ديان وزيرا للدفاع فى هذه الوزارة،وكذا بعد الاتفاق الذى تم مع الحكومة العراقية على ارسال قواتها للاردن للمشاركة فى المعركة القادمة ٠

واعلن ان استراتيجيتنا وقد تحولت الى استراتيجية دفاعية بحتة تلزمنا ان نكون فى حالة يقظة تامة من اعمال العدوان ان قـامت بعمليات هجومية واسعة وهذا غير مستبعد بل محتمل جدا فلن يتأخر قيامها بهذه العمليات عن يومين او ثلاثة » اى ـ ٤ ـ ٥ يونيو » ٠

ويقول الفريق صلاح الحديدى « ان صدقى محمود اعترف فى المحكمة امامى بانه اصدر التعليمات لزيادة الاستعدادات بعد ان حضر هذا المؤتمر ، وهذا الاعتراف من الفريق صدقى محمود حقيقة ، كما ان تحذير عبد الناصر حقيقة مثبتة فى السجلات العسكرية ، بل ان اللواء اسماعيل لبيب قائد الدفاع الجوى كان يعمل تحت امر صدقى مباشرة ، حوكم على تهمة واحدة وادين فيها ، وهى انه لم يبلغ المرءوسين له بتعليمات قائد الطيران الفريق صدقى الخاصة برفع درجات الاستعداد وقد دافع عن نفسه بان القوات الجوية كانت فى اعلى درجات الاستعداد »

ويقول الفريق محمد احمد صادق رئيس المخابرات الحربية :

« ان عبد الناصر قد عقد مؤتمرا وهو مسجل بالصوت والصورة واذكر ان السيد الرئيس عندما لاحظ تجمع قوات العدو امام مثلث رفح والعريش ، أبو عجيلة « ثلاث عمليات » خلاف مجموعة لواء مدعم امام غزة أوصى بتقوية الدفاع فى اتجاه رفح .

وكنت قد اثرت فى تقريرى الذى قدمته له ان العدو أكمل استعداده للهجوم ، ويستطيع ان يبدأ من فجر ٣ يونيو ، فرد الرئيس عبد الناصر قائلا أعتقد انه من المرجح ان يبدأ فى ٥ يونيو «وهذه حقيقة للتاريخ» :

« عقب انتهاء الاجتماع توجهت الى مكتب السيد المشير عبدالحكيم عامر ، وبوجود الفريق صدقى محمود ، واقترحت اخلاء مطارات سيناء المتقدمة لتعذر تجنب المفاجأة وطلبت ان توزع الطائرات فى المطارات الاخرى ، ولكن الفريق صدقى رفض هذا الرأى رغم ان المشير كان يضم رأيه الى رأيى ، وعقب صدقى ، وقال : انه ادرى بعمله منى ، وانه لا يريد ان يؤثر على الروح المعنوية لطياريه .

ويقول أمين هويدى : ان الرئيس عبد الناصر حدد تقديراته يوم ٢ يونيو كالاتى :

ـ ان اسرائيل سوف تبدأ عملياتها خلال يومين او ثلاثة بل حدد سيادته يوم ٥ يونيو موعدا لبدء الهجوم الاسرائيلى .

- ان اسرائيل سوف تبدأ عدوانها بالضربة الجوية
- ان اسرائيل تعتمد علـى المفاجأة والمرونة وان معركتها قصـيرة ٠

ولكن هذه التقديرات لم تتجاوز خارج القاعة ٠٠ حيث استمع القادة للتوجيهات ولم يتخذوا اى قرار لتنفيذها ، او لتحويلها الى عمل ، فخرجوا من الاجتماع الذى تحدد فيه موعـد بـدء الهجوم ٠٠ وكأنهم لم يسمعوا شيئا ٠٠

الانسحاب الكارثة :

رغم كل هذه التحذيرات ففى صبيحة ٥ يونيو كان المشير عامر وكل قادة القوات المسـلحة الكبار يستقلون طائرة فى الجو لتفقد القـوات فى سيناء ٠

وكان بقية القادة يودعون المشير فى المطار ، اما قادة كـل القوات الموجودة بسيناء فقد كانوا مجتمعين فى مطار بير تمادا انتظارا للمشير ٠

أى انه وقعت الضربة الجوية ، والمشير ورجاله فى طائرة ، وقد قيد اطلاق المدفعية المضادة للطائرات لان المشير فى الجو ، كما ان كل القادة كانوا بعيدين عن مواقع قياداتهم حتى قادة الفرق والالوية٠

يضاف الى ذلك الحفل الذى اقيم فى قاعدة انشاص الجوية ليلة ٥ يونيو ، والذى تحول فجأة الى حفل ساهر واستمر حتى ساعة متأخرة من الليل ٠

ولم تكن الكارثة فقـط فى الضربة الجـوية ٠٠ التى سـبقتها ضربات برية - ولكنها كانت فى قرار الانسحاب الذى اتخـذه المشير عندما علم بضرب الطيران دون دراسة ، وهو القرار الذى وصفه بعض الساسة بأنه كان امرا بالانتحار ٠

ويقول الفريق اول محمد فوزى ان المشير طلب منه وحالته

النفسية منهارة ، وضع خطة لانسحاب القوات من سيناء خلال عشرين دقيقة · واستدعى الفريق انور القاضى رئيس هيئة الاركان واللواء ممدوح التهامى مساعداه · وبعد ان وضعوا الخطة مكتوبة توجه للمشير قائلا انهم وضعوا الخطة على ان يتم سحب القوات بعد اربعة ايام ، ورد المشير قائلا « اربعة ايام ايه يافوزى انا اعطيت امرا بالانسحاب ·· خلاص » ·

ولم يكن هناك قرار مكتوب او منظم لعملية الانسحاب حتى ان بعض القوات كانت تنسحب بينما كانت هناك قوات اخرى متجهة الى الجبهة ، بل ان المشير نفسه أراد ان يدفع الفرقة الرابعة المدرعة الى سيناء بعد قرار الانسحاب بأربعة وعشرين ساعة إلا ان قادتها رفضوا ·

المسئولية السياسية والعسكرية :

فى كل الحروب تقع المسئولية على القيادة العسكرية التى تتسلم المعركة وتوافق على قرار القيادة السياسية بالحرب وتقبله وتقوم بتنفيذه · ولو ان القيادة العسكرية ابدت رأيا مخالفا ، وقالت انها غير مستعدة لتغير الموقف تماما ·

ففى كل الاجتماعات ، وفى كل المؤتمرات ، وفى كل المناقشات التى دارت قبل الحرب ، والتى اتخذت بعدها خطوات قد تؤدى الى المواجهة ، لم يبد القادة العسكريون من مختلف المستويات انهم غير مستعدين ·· كما لم يعترضوا على اجراءات القيادة السياسية بل وافقوا عليها وساهموا فى صنعها . وبذلك اصبحوا مسئولين عن ممارسة مهامهم ·

على ان المؤسسة العسكرية طوال سنوات عبد الناصر ، كان لها من السيطرة والقوة والعنفوان ما يجعلها وحدها قادرة على تحمل المسئولية وأن تبدى رأيها،فقد كانت فى الواقع هى التىتحكم·

ولم يعلن عبد الناصر كل ذلك ، وانما أعلن مسئوليته الكاملة

عن النكسة ، وآثر التنحى ، وخرجت الجماهير تعلن تمسكها به ، وشارك فى هذه المسيرات الحاشدة كل الشعب حتى ربات البيوت اللواتى خرجن ملتاعات يعلن تمسكهن بقيادة عبد الناصر ، ولو ان تنظيما كان قادرا على اخراج كل هؤلاء الجماهير فى ظلام الليل ، وفى محنة الهزيمة لكان اقوى تنظيم فى العالم ، ولما وصلنا الى ما وصلنا اليه بعد ذلك من ردة على كل المنجزات ، التى قام الاتحاد الاشتراكى ليدافع عنها .

واذا كان هناك - كما يقولون - من دفع الناس فى مصر الى الخروج تمسكا بجمال عبد الناصر ، فمن الذى دفع الجماهير الى مثل هذا الخروج الحاشد فى كل الوطن العربى ، بل من الذى دفع العرب فى كل العواصم الاوربية الى الاعتصام فى **السفارات حتى يقبل عبد الناصر التراجع عن قرار التنحى ٠**

حرب الاستنزاف :

بعد اقل من عشرين يوما من عودة عبد الناصر بدأت مدافع مصر تنطلق فى اتجاه العدو ، رفضا للهزيمة ، وتحديا للامر **الواقع ، وكانت معركة رأس العش فى اول يوليو ، وبعدها لم تسكت المدافع المصرية ، وانطلقت قوات مصر المسلحة تقوم بواجبها فى ازالة اثار العدوان ، فيما اطلقت عليه اسرائيل اسم حرب الاستنزاف ، واطلقت عليه مصر مرحلة الردع استعدادا لمرحلة التحرير ٠**

واعلن عبد الناصر ان القدس قبل سيناء ، والجولان قبل سيناء ، ورفض فى ظل الهزيمة أن يساوم على حق الشعب **الفلسطينى او على الارض المحتلة ، ورفض الصلح بشروط جيدة** من العدو الغاصب الذى ابدى استعداده للتنازل عن سيناء ٠٠ **واعلن ان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ٠**

واعاد بناء القوات المسلحة تدريبا ، وتسليحا واعدادا ، فى

الوقت الذى كان يقاتل فيه العدو ٠

وانشئت منظمة سيناء ، وعبرت القوات المصرية لتقوم باعمال فدائية ضد العدو ٠

وبعد معركة رأس العش بشهرين اغرقت القوات المصرية اكبر قطعة بحرية لدى العدو وهى المدمرة ايلات ومعها ٢٥٠ بحــــريا امرائيليا ٠٠ ثم تصاعدت العمليات العسكرية ضد العدو ممـــا اضطره الى ان يضرب فى العمق ٠ ولقد كان رأى قادة اسرائيل انهم هزموا العرب ، وقضوا على ارادة القتال عندهم ، واعلنوا انهم ينتظرون ان يسلم عبد الناصر ، ولكنهم فوجئوا بان ارادة القتال لم تهزم ، وان عبد الناصر يعيد بناء القوات المسلحة من صفوة ابناء مصر الخريجين ، وهو يقاتل فى نفس الوقت ، فكانت حرب الاستنزاف مناورة كبيرة استعدادا للمعركة الفاصـــــلة ، وتطورت حرب الاستنزاف تطورا محسوبا ليصل فى نهايته الى مرحلة التحرير ٠

وكان عبد الناصر عندما عهد الى الفريق محمد فوزى بناء القوات المسلحة من جديد قد طلب اليه ان يخلص من هذه المهمة خلال ثلاث سنوات تنتهى بتحرير الارض ٠

وكان عبد الناصر يتابع عمليات البناء ، كما كان دائم التردد على الجبهة واللقاء مع افراد القوات المسلحة ، وبحث احتياجاتهم بنفســـــه ٠

وخلال حرب الاستنزاف كانت جملة خسائر اسرائيل اكثر مـــن خسائرها فى كل حروبها مع العرب على جميع الجبهات ٠

وفى أواخر سنة ٦٩ استكملت القوات المسلحة هيكلها التنظيمى الذى خطط بناءه على اساس الخطة ٢٠٠، ونجحت مصر فى اقامة اكبر شبكة دفاع جوى على أحدث الاسس المتطورة فى العالم ٠ وتمكنت القوات المسلحة من تغيير الموقف العسكرى لصالحها ، وتأكـــدت

الولايات المتحدة ان تصعد حرب الاستنزاف ليس لصالح اسرائيل ، وان الاستنزاف بعد الخسائر الجسيمة التى لحقت باسرائيل هـــو استنزاف للمعدات الامريكية ، التى تعمل بها اسرائيـــل ، اعلنت ان هذه هى الحرب الوحيدة التى خسرتها خلال المواجهة العـــربية وقامت الولايات المتحدة بمبادرة لانهاء النزاع تقوم على ايقاف اطلاق النيران لمدة ثلاثة شهور فيما عرف باسم مبادرة روجرز ، وقبـــل عبد الناصر المبادرة بعد ان التقى بالفريق فوزى ليكون جاهزا بخطة العبور جرانيت بعد انتهاء وقف اطلاق النار ..

وكان واضـــحا ان تحول وقف اطلاق النار يهدف تحـــريك حائط الصواريخ الى الامام خلال هذه الفترة ، وقد قـــدمت اسرائيل اكثر من شكوى ضد مصر لانها تقـــوم باعمال عســـكرية اثناء فترة وقف القتـــــال .

ويقول الفريق محمد فوزى انه فى اكتوبر ١٩٧١ حدد المارشال جريتشكو « التفوق فى القوى بين الجبهتين المصرية والسورية وبين اسرائيل بنسبة ٢ الى ١ كما كان متفقا عليه فى خطط عمليات تحرير الارض فى نهاية ١٩٧٠ وأوائل عام ١٩٧١ وان هذا التفوق يمكن ان يصل الى ٣ الى ١ لصالح الجبهة المصرية ، بالاضافة الى ما كنـــا نتوقعه من امدادنا طائرات ميراج من القوة الليبية ، التى اشترتها الثورة الليبية من فرنسا ؛ وارسل فنيون مصريون للتدريب عليهـــا تحت ستار هوية ليبية »

وقال عبد الناصر للفريق فوزى ، ولمحمود رياض وزير الخارجية « ان توقيت المعركة لن يتجاوز ربيع ١٩٧١ »

ويقول الفريق اول محمد فوزى انه التقى بالرئيس السادات يوم ٢٦ ابريل ١٩٧١ فى جلسة منفردة معه استغرق أكثر من ساعة،كان التركيز خلالها منصبا على تنفيذ الخطة جرانيت وهى الخطة المرحلية

لتحرير الارض الشاملة ، وكان الرئيس ناصر قد صدق على تنفيذها فى سبتمبر ١٩٧٠ وتقضى باقتحام القوات المسلحة قنـــاة السويس وتدمير القوات الاسرائيلية ، شرقها والوصول الى خط المضـــايق الاستراتيجية ٠٠

معركة الاستقلال الوطنى :

كان الاستعمار يتربص بمصر المستقلة سياسيا واقتصـــاديا المتحررة من النفوذ الاجنبى ويريد عزلها عن الامـــة العربية ، وهى المحاولات التى سعى لها طويلا بضرب الثورة بعد ان نشطت الولايات المتحدة فى اسقاط نظم زعماء العالم الثالث الذين كانت لهم فاعليـــة فى حركة عدم الانحياز ، وتأييد حركات التحرر ٠

وكانت هزيمة ١٩٦٧ مؤامرة اشتركت فيها اطراف كثيرة بهدف القضاء على ثورة مصر وارادتها وتحجيم دورها ، ولم تحقق الهزيمة رغم قسوتها ما ارادته الولايات المتحدة واسرائيل ، وقاومت الثورة فرض الهزيمة ؛ فرفضت الصلح ؛ أو التفريط ؛ أو التنازل وأعادت بناء قواتها المسلحة ، ودخلت بهـــا حربا لاستنزاف قوات الاحتـــلال الصهيونى ، ودعمت منظمة التحرير الفلسطينية ، ووضعت خطـة لتحرير الارض ٠

والذين يهاجمون عبد الناصر ، ينسون دائما ان الهـــدف كان القضاء عـــلى استقلال مصر ، وحريتها ، واعادتها الى التبعية ٠٠ وعزلهـــا عن امتهـــا العربية . فهـــل تراهم يفعلون غافلين ؛ أو متعمدين ٠٠ وعندها يكون السؤال ٠٠ من هم أصحاب المصلحة فى هـــذا الهجـوم ٠٠

.. ولابد ايضا من وضع العلاقات المصرية السوفيتية خـلال الستينات فى موقعها الصحيح ، دفاعا عن شرف مصر ، واستقلالها .. وحرية ارادتها التى أصابها كثير من التشويه المتعمد ..

ولم يكن عبد الناصر مرتبطا بالاتحاد السوفيتى باية معـاهدة عام ١٩٧١ ، فقد وقعت المعـــاهدة الوحيدة بين مصر والاتحـــاد الســـوفيتى ، أى بعد رحيله بعام كامل .. وفى تلك الفترة ــ وبعد رحيل عبد الناصر ــ عين فى مصر أول وزراء شيوعيون .

وكان المسئولون عن الاعلام والصـحافة جميعا بعيدين عن أى ارتباط مذهبى بالاتحاد السوفيتى . بل لعل بعضهم كان بأفكاره من المعادين للاتحاد السوفيتى .. « ١ » فلم يسيطر الشـــيوعيون على الاعلام كما ردد البعض كثيرا .

وكان عبدالناصر قد أصدر ميثاق العمل الوطنى فى ٢١ مايو ١٩٦٢ وتحدث فيه عن الاشـــتراكية العلمية ، وقال ان هنـــاك خلافات بين التطبيق العربى للاشـتراكية ، والماركســـية ، فنحن نؤمن بالدين ، ولا نرى تناقضا بين تطبيق الاشتراكية .. والايمان بالدين الذى لا نعتبره معوقا ، بل دافعا لتقدم الشعوب ، واشتراكيتنا تقوم على أساس توسيع قاعدة الملكية ، فلا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تؤمم كل وسائل الانتاج ، وتحدد دورا للقطاع الخاص ، كمـا انها ترفض ديكتاتورية الطبقة ، والحزب الواحد ، وتقيم بدلا منه تحالفا بين فئات الشعب العاملة الخمسة ، بعد أن تم حل الصراع

---

١ ــ عام ١٩٧٠ كان محمد حسنين هيكل رئيس الاهرام ، وقاسم فرحات وموسى صبرى رئيسا الاخبار ، وفتحى غانم رئيس الجمهورية ، واحمد بهاء الدين رئيس دار الهلال ، وكامل زهيرى رئيس روز اليوسف ، ومحمد على حمـــــاد رئيس الاذاعة ، ومصطفى خليل رئيس اتحاد الاذاعة والتليفزيون .

بين الطبقات حلا سلميا ، لا دمويا ، ، كما اننـــا نؤمن بالقوميــة العربية وننادى ببعثها فنحن جزء أساسى ومؤثر من العالم العربى كانت هذه هى الرؤية للتطبيق الاشتراكى فى مصر ، وهى تختلف عن الرؤية المذهبية فى الاتحاد السوفيتى ٠

وسياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية هى تأييد الدول النـامية فى نضالها ضد الاستعمار ، وحق الشعوب فى حل مشاكلها ، واحترام سياسة عدم الانحياز ، ومعاونة حركات التحرر ، وكانت مصر تنتهج نفس هذه السياسات ٠

وكانت بداية التعاون مع الاتحاد السوفيتى فى مجال التسليح ، ففى السنوات الاولى للثورة ، كان قادتهـا يأملون أن تعـــاونهم الولايات المتحدة الامريكية لتسليح مصر ، وبناء جيش وطنى قوى ٠٠٠ وسافرت الوفود الى أمريكا ، ولكنها لم تعد حتى بالوعود ٠٠٠ وأخذت الولايات المتحدة تماطل فى امداد مصر بالسلاح ، ثم عرضت أن ترتبط معها بحلف عسكرى ، هدفه محاربة الشيوعية ، وكان رد عبد الناصر كيف ارتبط بحلف يقاوم عدوا لا أراه فهو على بعد ستة آلاف كيلو متر ، بينما عدوى الاساسى أراه على بعــــد أميـــال منى ! كيف أحارب الشيوعية ، ولا أحارب مغتصب أرض فلسطين !

ورفض عبد الناصر الارتباط مع الغرب فى أحلاف عسكرية ، بل انه قاد حملة شرسة ضد جر البلاد العربية لهذه الاحـــلاف المشبوهة ٠

وبعد أن قامت اسرائيـــل ـ مدعومة من الولايات المتحـــدة الامريكية ـ بعدوان وحشى على غزة ، أصبح من المحتم أن تحصل مصر على السلاح ٠٠ وبسرعة ٠ واتجهت نحـــو الشرق ، وطلب عبد الناصر من شواين لاى فى باندونج ان يتوسط لدى الاتحـــاد السوفيتى لمد مصر بالسلاح ٠

وفى عام ١٩٥٥ سافر حافظ اسماعيل على رأس وفد عسكرى الى براغ لعقد أول صفقة ســـلاح مع الدول الاشـــتراكية ٠٠

ـ الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ـ ووافق الاتحاد السوفيتي على كل مطالب مصر من السلاح ، وكانت هذه الصفقة تحمل عدة دلالات ، فقد كسرت احتكار الغرب لتوريد السلاح لمصر ، وكانت بداية لتطوير شامل للقوات المسلحة بفروعها المختلفة واعادة تنظيمها وايضا بداية لرحلة طويلة من التعاون فى المجال العسكرى انتهت باتجاه السادات مرة ثانية نحو الولايات المتحدة الامريكية لتسليح الجيش المصرى ·

ويقول حافظ اسماعيل رئيس البعثة التى عقدت أولى صفقات السلاح مع السوفييت ان اسعار السلاح كانت تقل كثيرا عن الاسعار التى كانت مصر تشترى بها من دول غربية ، بل انه لايمكن مقارنتها بالاسعار الغربية ·

لم يكن السلاح بالنسبة للاتحاد السوفيتى صفقة تجارية ، ولكنه كان تأييدا لسياسة مصر برفضها الانضمام للاحلاف العسكرية الغربية ، وسعيها لتصفية القواعد الاستعمارية ، كما أن معاونته لثورة مصر الوليدة ، يعطيه مكانة فى الوطن العربى ، وفى العالم الثالث .

وقد تكثف التعاون فى المجال العسكرى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وهو الامر الذى اعترف به السادات فى كل خطاباته مشيدا بدور الصديق السوفيتى ودعمه قائلا للصحفيين ان على من يريد ان يشك فى علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى الصديق بلا غرض ، ان يقصف قلمه !

التعاون العسكرى

وكان الاتحاد السوفيتى قد تنازل عن ثمن جميع الاسلحة التى استخدمت فى حرب اليمن ، كما شطب من قائمة الديون كلها الاسلحة التى حصلت عليها مصر منه بعد نكسة ١٩٦٧ مباشرة ..

وبعد الهزيمة بدأ الجسر الجوى لتعويض مصر عما فقدته من معدات عسكرية خلال الحرب !

وقال السادات فيما بعد انه كانت تهبط بمصر طائرة كـــل دقيقتين تحمل السلاح ·

وقد بلغ عدد الرحلات الجوية التى حملت السلاح فى تلك الايام ٥٥٠ رحلة جوية الى جانب ١٥ باخرة نقل معدات ، رأى الاتحـاد السوفيتى ان تكون هذه الاسلحة كلها بلا مقابل تعويضا عما فقدته مصر من السلاح ، فتنازل عن ثمنها · لتكون هدية من الاتحـــاد السوفيتى للشـــعب المصرى ، وجاء الرئيس بودجورنى . ومعـه المارشال زخاروف رئيس هيئة الاركان على رأس وفد عسكرى ، وامضى العسكريون فى مصر أربعة أشهر ، درسوا خلالها اسـباب النكسة ووضعوا رأيهم فى تقرير قدموه لعبد الناصر بناء على طلبه ، كما شاركوا فى وضع اللبنات الاولى لاعادة بناء القوات المسلحة .

وعقدت مصر اثناء زيارة بودجورنى أول صفقة سلاح بعـــد الهزيمة قيمتها مائة مليون جنيه ــ خلافا للسلاح الذى منحه الاتحاد السوفيتى هدية ــ وارسل ١٢٠٠ مستشارا عســكريا فى جميع التخصصات و ١٢٠ طيارا لتدريب الطيارين وقد سافر عبد الناصر بعدها الى الاتحاد السوفيتى ثلاث مرات ، التقى خلالها بالقادة وهناك . وقد اسفرت كل زيارة عن مزيد من التعاون العسكرى .

وفى زيارته الأولى صحب معه ياسر عرفات . وقدمه للقـادة السوفيت ، وحصلت مصر على أسلحة بمائتى مليون جنيه . وعلى عدد آخر من المستشارين ·

وسافر السادات الى موسكو وطلب خبراء فى الطــيران ، وصواريخ سام ٣ باطقمها لتدريب الجنود ، ووافق الاتحاد السوفيتى على ارسالها خلال ستة شهور ، ورأى عبد الناصر أن المدة طويلة وسافر الى موسكو وحصل على أكبر صــفقة سلاح من الاتحـــاد السوفيتى ، فيها ٨٥ طائرة ميج معدلة و ١٠ ميج تدريب ، و ٣٢ كتيبة صواريخ سام ٣ بأجهزتها ومعداتها واطقمها ، وعدد من اجهزة الرادار وقطع الغيار ، وموتورات الطائرات ، وطائرات التدريب ·

ولقد جاءت هذه الخطــوة ردا على الغـــارات الاسرائيلية فى العمق المصرى . وكان التواجد السوفيتى فى مصر ، تحذيــــرا لاسرائيل والولايات المتحدة بعدم معاودة هـــــذه الغارات ، وقد تأكـــــد هـــــذا التحذير عندما التقطت طـــــائرات اسرائيل حديثا بالروسية بين سرب طائرات يحمى سماء مصر يقوده سوفيت وأوقفت اسرائيل غاراتها على العمق ، وبدات اسرائيل وامريكا حملة ضارية ضد التواجد السوفيتى فى مصر ، يستخدم نفس الكلمـــات التى يرددها البعض الآن .

وفى زيارة عبد النـــاصر الاخيرة لموسكو طلب اجهزة الحرب الالكترونية المتطورة ، وطائرات قاذفات ثقيلة ، واستكمال شـــبكة الدفاع الجوى بالصواريخ ، بالاضافة الى مهمات ومعدات عسكرية أخرى ، واستجابت القيادة السوفيتية لطلبات عبد الناصر التى وصل ثمنها ٤٠٠ مليون دولار ، وتقرر تخفيض ٥٠٪ من قيمتها .. وفى هذا اللقاء اتفق على حضور ٥٥٠٠ جنديا من وحدات الصواريخ والدفاع الجوى ، والحرب الالكترونية على أن تكون مهمتهم مؤقته حتى تتمكن القوات المصرية من تدريب بدل منهم من المصريين ، وقد ارتدوا الزى الميـــدانى ، ورفض أن يتجولوا فى البلاد أو حتى يزوروا المنشــآت السياحية ، وفى هذا اللقاء أعلن جمال عبد الناصر انه سوف يقبل مبادرة روجرز لتعطيه الوقت الهادىء لاستكمال بناء شبكة الصواريخ على الضفة الغربية من القناة ، رغم اعتراض القيادة الســـوفيتية على أن يقبل عبد الناصر حلا يحمل العلم الامريكى ، ولكن عبد الناصر قال انه واثق انها مناورة تقوم بها أمريكا ، وانه يقبلها لانها تحمل العلم الامريكى لمجرد توريطها ، فانه ليس لدى أمريكا أى حل الا ان نستسلم لاسرائيل .. والمســألة مجــرد منـــاورة امريكية لتلتقط اسرائيل أنفاسها من حرب الاستنزاف ثلاثة أشهر سوف نستغلها ــ نحن ــ فى بناء حائط الصواريخ .

قد بلغ عدد المستشارين السوفيت ١٢٠٠ وزعوا على جميع

الوحدات بزيهم المدنى عدا من يعملون فى وحدات ميدانية ... ولم تتحمل مصر اية تكاليف مادية لهم سوى المأكل والمسكن اما مرتباتهم فيدفعها السوفيت .

وكان الاتحاد السوفيتى يتحمل نفقات تدريب وايواء الضباط والجنود المصريين الذين ذهبوا للتدريب فى موسكو بمعدل ١٨٠٠ عسكرى كل ثلاثة اشهر .

ولم يطلب الاتحاد السوفيتى من مصر – فى مقابل كل ذلك – سوى تزويد اسطوله فى البحر المتوسط بالمؤن والمياه العذبة .

فلم يكن السوفيت يمثلون جيش احتلال فى مصر ، فقد جاءوا بناء على طلب القيادة الوطنية لتمكينها من حمـــاية عمقهـــا فى فترة عصيبة ، وعندما طلب اليهم أن يغادروا مصر ، غادروها قبل الموعد المحـــدد .

ويتساءل سيد مرعى « بماذا انتصرنا فى حرب عام ١٩٧٣ .. اننا انتصرنا بالسلاح السوفيتى ، واذا كان قد حدث انتقاد للاسلحة السوفيتية فى اواخر السبعينيات وقيل انها ليست فى كفاءة السلاح الامريكى ، فقد تم الرد عليه بشكل حاسم فى ٦ اكتوبر لقـــد حاربنـــا الاسلحة الامريكية باسلحة سوفيتية ، وقابل الســـلاح الســـوفيتى السلاح الامريكى وانتصر عليه » .

ويواصل سيد مرعى قائلا : يجب أن لا ننسى ابـــدا أن اولادنا قتلوا فى ٦ اكتوبر بسلاح امريكى ، كما لا ننسى ما فعلته امريكا بعد ٦ اكتوبر من نقل كميات ضخمة من الاسلحة الحديثة الى اسرائيل كما اشار الى ذلك الرئيس السادات » .

التعاون الاقتصادى ..

وقدم الاتحاد السوفيتى معاونات اقتصادية ايضـــــــــا [1] بشروط ميسرة جدا ، وعندما امتنع البنك الدولى الذى تمثل الولايات

---

١ – قصة السوفييت مع مصر .

،المتحدة ٣٢٪ من أصوات مجلس ادارته عن تمــويل بناء مشروع السد العالى ، قام الاتحاد السوفيتى ببنائه فى الموعد المحدد ٠

وفى كل ما تدمه الاتحاد السوفيتى لمصر ، كان يحصــل على حقوقه من الصادرات المصرية ، من البصــل ، والاحذية ، والقطن ، والموبليات والرائح العطرية ، وهكذا سددت مصر قيمة بناء السد العالى كاملة . . اى انه لم يحصل من مصر على عملات صعبة ابدا .

وقد أقام فى مصر عشرات المصانع ، واستصلح مســاحات مساحتها عشرة آلاف فدان ، اعلن عنها خرشوف اثنـــاء زيارته لمصر ٠

اقام الاتحــاد الســوفيتى فى مصر ١٠٨ مشروعا صــناعيا من الارض ، واهدى مصر مزرعة آليــة استصلحها عــــلى نفقته منها مجمع الحديد والصلب ، ومصـــنع الكوك ، ومصـــفاة الزيوت بالسويس ، ومصنع المطروقات ، ومصانع السجاد ، ومجمع الالمنيوم بنجع حمادى ، ومصنع الكيماويات فى ابى زعبل ، والترســـانة البحرية بالاسكندرية ، وغيرها .

وبنى السد العالى ، ومد شبكة الكهرباء الى اربعة آلاف قرية لتغير نمط الحياة فيها تماما ، كما ساعد فى بناء ٩٦ مشروعا منها ٣٢ مشروعا صناعيا ومحطات كهرباء ٠٠ وشارك فى تحسين زراعة ٣٠٠ الف فدان ، ومد شبكة الانابيب فى النوبارية ٠

وساهم الاتحاد السوفيتى فى تدريب الكوادر الفنية للصناعة حيث اقام ٤٣ مركز تدريب تكنيكى فى كل الفروع ملحقة بالمصانع ، الى جـــانب تدريب عدد من الكوادر داخل الاتحاد الســـــوفيتى ، وبالارقام فقد درب ١٦٧ الف من العمال الفنيين فى الفروع المختلفة ، وانشأ معهد الحديد العالى الذى خرج ٣٠٠ مهندس يعملون بمصنع الحديد والصلب حلوان ٠

وفى المجال الثقافى أقام ودرب وعاون فى بناء أكاديمية الفنون، ومعهد الباليه ومعهد الكونسرفتوار والســـيرك القومى وغيرها من

الاعمال الثقافية الجادة .

وكانت قد وضعت خطة للاستثمار الصناعي قيمتها ٢٥٠ مليون جنيه خلال خمس سنوات بعد انشاء وزارة الصناعة .

ولم يكن هناك من يمول الصناعة بخمسين مليونا من الجنيهات سنويا سوى الدولة ، وكانت شروط الغرب أن تدفع مصر ربع الثمن مقدما والفائدة على الباقي ٦٪ على الاقل .

وسافرت أول بعثة لبحث امكانية التعاون مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨ برئاسة الدكتور عزيز صدقي وزير الصناعة ، وحصلت على قرض ٦٢ مليون جنيه استرليني للخطة ، وكانت الشروط السوفيتية : الدفع بعد عام من اقامة المصنع ، اي من انتاج المصنع نفسه وعلى اقساط لمدة ١٢ عاما وبفائدة لم تزد على ٢٫٥٪ .

ويقول الدكتور عزيز صدقي انهم يساعدوننا بوصفنا دولة وطنية تقدمية تحاول تنمية نفسها ، ولم يحدث أن استغلوا حجم المعونات لفرض أسلوب معين كما لم يتدخل في خطتنا ، وعندما حدث سوء تفاهم سياسي معهم عام ١٩٥٩ واصلوا التعاون معنا في مجال الصناعة دون اي تأثر بالازمة » .

وبهذه الطريقة وبمعاونة السوفييت امكن تنفيذ الخطة في ثلاث سنوات بدلا من خمسة !

ويقول الدكتور عبد العزيز حجازي « ان العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي نشأت باتفاق حول مبداين أساسيين الاول هو محاربة الاستعمار والصهيونية تحت عنوان الاستقلال الوطني ، والثاني هو التنمية الاقتصادية والاجتماعية كهدف لصالح الجماهير »(١) .

ولا يعتقد الدكتور حجازي أن هناك مواطنا مصريا يرفض او يشكك في مثل هذه الفلسفة فمن الواضح أن الاتحاد السوفيتي يؤيد قضايا التحرر الوطني والاستقلال السياسي في الدول العربية

والعالم الثالث عموما ، وهى بالنسبة لنا من نقاط التعاون السياسية الاساسية وموقف الاتحاد السوفيتى معنا فى المنظمات الدولية ، وأمام العالم كله فى كل مناسبة يؤكد تمسكه بتأييد مصر والدول العربية فى تحرير الارض من أجل ضمان حقوق شعب فلسطين » ٠

المقارنة المجحفة

الذين يقارنون صداقة مصر بالاتحاد السوفيتى فى الستينات ، بتبعية مصر للولايات المتحدة الامريكية فى السبعينيات ، عليهم ان يشيروا الى المشروعات الانتاجية التى اقامتها الولايات المتحدة فى مصر ٠

انها لم تقم مصنعا واحدا ، ولم تستصلح شبرا واحـــدا من الارض ٠

والذين يتحدثون عـلى الاستعمار الســوفيتى لمصر عليهم ان ان يحددوا القواعد العسكرية التى اقامها فى مصر ، وان يبرروا خروج خبرائه فورا قبل الموعد المحدد عندما طلب اليهم ذلك ٠

وان يسالو انفسهم عما اذا كان ممكنا أن تمد الولايات المتحدة مصر بالسلاح الذى يمكنها من مواجهة العدو الاساسى اسرائيل .

ثم ماهو حجم ديون مصر للاتحاد السوفيتى ، وفوائدها خلال خمسة عشر عاما من التعاون ، اقيمت فيها الصناعة ، واستصلحت الارض ، وسلحت مصر بسلاح تفوق على السلاح الامريكى حقق النصر فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وعوض مصر عما فقدته من سلاح ، ثم ماهو حجم ديون مصر وفوائدها للولايات المتحدة الامريكية خلال عشر سنوات لم يقم فيها مصنع واحد ، ولم تستصلح أرضا ، ولم تكن مصر فى حاجة الى سلاح لتخوض به حرب تحرير .

ان هذا ليس دفاعا عن عبد الناصر ولكنه كما قلت دفاع عن شرف مصر واستقلالها وحرية ارادتها وقرارها المستقل ٠٠٠

١ ـ قصة السوفييت مع مصر .

زواج المشير من السيدة برلنتي عبد الحميد

.. وكان آخر ما في جعبتهم – حتى الآن – ان البسوا الممثلة برلنتي عبد الحميد ثياب السياسيين ، واستدعوها لتاديـة دور في الحملة على جمال عبد الناصر .

واختيرت برلنتي عبد الحميد ، لانها كانت متزوجة من المشير عبد الحكيم عامر زواجا عرفيا سريا .. لم يكن معروفا .. فلم يعلن هذا الزواج ، ولم تظهر معه في المجتمعات ..

وافردت لها الصحف صفحات تحدثت فيها عن عبد الناصر وعامر .. فعبد الناصر قتل عبد الحكيم عامر ، وعرض عليها مليوني دولار لكي تقوم بعملية تشهير بعبد الحكيم عامر ولكن شهامتها ووفاءها رفضا تمثيل هذا الدور .. فهي وفية لزوجها والد وحيدها عمرو ، كما انها صادقة لا تكذب ابدا .

كانت السيدة برلنتي عبد الحميد تتصور ان احدا لن يهتم بالرد عليها فتمادت في نشر اكاذيب حول وقائع مسجلة في تحقيقات كثيرة .

وكانت برلنتي عبد الحميد قد تعرفت على المشير عبد الحكيم عامر بواسطة صلاح نصر بعد انفصال الوحدة بين مصر وسوريا مباشر .

وفيما بعد سوف يتزوجها المشير عامر بعقد عرفي ، الامر الذي لم يعطها حقا قانونيا في ان ترث المشير عامر . وان كان قد تقرر ان يصرف لابنها عمرو معاشا ، وكانت اسرة المشير عامر كريمة معها فاعطت ابن المشير نصيبه من ميراث ابيه بعد تدخل كريم من مصطفى عامر شقيق المشير .

وقصة السيدة برلنتي طويلة .. طويلة .. ويكفي ان ننقل بعض فصولها من ملف قضية عبد المنعم ابو زيد سكرتير خاص المشير لدى محكمة الحراسة .. وكان عبد المنعم قد اتهم في قضية

الانحرافات في مكتب المشير ، وفرضت عليه الحراسة ، كمـــا كان قد تقدم ببلاغ عن التعذيب الذى اصابه اثناء التحقيق معه ، وهـــو يرجع كل ما حدث من القاء القبض وتعذيب ثم سجن ، بل وايضــا ما سمى بقضية انحراف مكتب المشير الى السيدة برلنتى ، ورغبتها في الانتقام منه شخصيا . لانه كان يعارض زواجها من المشير . .
ولننقل اجزاء من القضية كما وردت في اقوال عبد المنعم ابو زيـــد المودعة في محكمة الحراسة .. تقول المذكرة المقدمة منه تحت عنوان « كيف قابلت السيدة نفيسة عبد الحميد » النص :

مهمة من اليمن :

« عام ١٩٦٣ كلفنى العقيد على شفيق بالبحث عن فيلا مناسبة لسكنى خبير المانى ومعه زوجته في منطقة الهرم أو المعادى تكون غير مكشوفة وسهلة المواصلات والحراسة واعتبر ذلك امرا سريا هامـا نظـرا لحـدوث اعتداءات على بعض الخبراء ، كنت ابحث واسـلمه عناوين ما اجده .

« وفى احدى سفرياتنا لليمن أمرنى المشير بالنزول للقاهرة لمدة ٢٤ ساعة ارتب فيها عقد الفيلا وانتقاء اثاثاتها على ان تكون جاهزة للاقامة فى خلال اسبوع من نزولنا من اليمن وعدت لليمن بعـــد ٢٤ ساعة موقعا عقد الفيلا باسم ممدوح ابراهيم البربرى وهو السكرتير المدنى للمشير وقريب العقيد على شفيق ، واخذت مساحات الغرف وانتقيت مع الصيرفى الموبيليات اللازمة ..

« بعد اسبوع من عودة المرحوم المشــــير من اليمن كانت الفيلا جاهزة لاقامة الخبير الالمانى . ركب معى المشير ليلا واعجب بالفيلا وتعرف على الجناينى اسحق وعائلته ـــ واستلم المفاتيـــح وانتهت علاقتى بهذه المامورية اللهم الا ارسال الايجار كل اول شهر ..

« وفى يوم ما . . كنت أحاول اصلاح الثلاجة بنفسى ومعى اسحق . اذا بزوجته تهرول قائلة : « الست الخوجاية جت » ، فخرجت

فورا من باب المطبخ الى السيارة ·· وما ان ادرت السيـــارة ·· وجدت بلوزة وبنطلون تنادى : يا استاذ عبد المنعم فعدت وتقدمت منها وسلمت على وهى على عتبة المطبخ ولدهشتى وجدتها تشكرنى علىّ ذوقى فى اختيار المفروشـــات والموبيليات .. واتلخمت عنـــدما وجدتها تسألنى عن صحة زوجتى ومرضها ، وعن اولادى كل باسمه بما هو مشهور عنه ·· كل ده وانا مرتبك مش قادر اعرف مين دى ·· لانى مش متصور ابدا بأىشكل ان تكون دى ··

« كانت معلوماتهم عنى اننى اتحلى بأخلاق فلاح .. وشهامة اولاد البلد ، ولذلك كما علمت فيما بعد .. اتفقت برلنتى مع المرحوم المشير ان اوضع امام الامر الواقع .. فكانت تمثيلية اللقاء ..

«خرجت لاواجه العقيد على شفيق والاسئلة تلح علىّ .. هلدى صحيح برلنتى ؟ وازاى ·· واشمعنى ؟ ·· وطلبنى المرحوم المشير وسالنى ·· ومن حركات ايديه وهزات راسى عرف ما يجول بخاطرى فقال لى مطمئنا : دى بنت طيبة وبكره تعرفها كويس ومالهاش اى مطامع فينا ··

سيارات لبرلنتى :

« ومشيت الامور وانا مقتنع تماما بخطأ ما وصلنا اليه وقـــد كشفت عن مخاوفى على المشير منها امام العقيد على شفيق ومتولى السيد مرافق المشير ، وتأكدت من تصرفاتها ان هدفها الاستيلاء على المشير والزواج منه ·· وفى سبيل الوصول الى الحقيقة وتعريتهــــا تظاهرت بأخلاص لها وكنت ابلغ المشير عن كل تصرفاتها ، كانت تطمع فى العربة المرسيدس ١٨٠ التى يركبها فأمر بأعطائها عربتى الخاصة فيات ١٣٠٠ وظلت معها الى ان اتلفت البريبريز والحت عليه فأمر على شفيق فصرف لها عربة فيات ٢٣٠٠ بأسم والدتها « سيدة محمود فراج » على اعتبار انها ارملة الشهيد الرائد محمد انور عونى ··

« كانت تتظاهر أمامه بالقناعة .. حتى اننى عندما اكدت له فى اخر عام ١٩٦٥ عن هدفها بتطلعاتها واصرارها على الزواج منه قال : دى بتنتقد الاسراف حتى فى الاكل ·· ومستعدة تعيش على البتاو والجبنة القريش وتعيش على حصيرة وطبلية ولمبة جاز ·

« كانت تردد ، ذلك دائما حتى صدقها تماما .. وكانت أمهــا تخطط للزواج .. حاولت الاتصال بالسيدة الجليلة حرم المشــير لتبلغها عن العلاقة بها وتضعه امام الامر الواقع ·· لجأت لكــل الطرق حتى الشعوذة والاحجبة وبلفته ذلك بمسك الاحجبة فى ثنايا المراتب والمخدة ، ويمزقها ويدعى أن المخابرات تبلغه .. فى حين لم يرها .. جربت معه كيف تغضب وتختفى ونبحث عنها فى كل مكان .. وتصطلح على يد شقيقه .. باختصار تمسكنت حتى تمكنت .

اخر عام ١٩٦٥ قبل اعياد النصر ابلغت المشير عما دار بينى وبين والدتها وبحضورها عن الزواج وكيف طلبت منى ان اساعدها فى اثارة شكوك السيدة حرمه وعزمها على تكليف شقيقتها زهرة للاتصال تليفونيا بها واخطارها بأن المشــــير متزوج من برلنتى عبد الحميد ·

محاولة الزواج :

« ازاء اصرارى أمامه وكنا عائدين الى الحلمية فى يناير ١٩٦٥ ــ قبل سحور رمضان ــ وسيادته يعارضنى وينكر نية الزواج ·· قلت له دى يافندم مش استنتاجات منى او تحليل موقف ·· ده واقع وبيكلمونى فيه مباشرة ظانين انى لن ابلغك لثقتهم بى ·· قــــال : جواز لا ·· اروح فين من الناس لو تعلم ··

« واجهنى بأنه يشك تماما فى معلوماتى ..وحتى يصدقنى على ان اقوم بتسجيل هذا الكلام . فابتكرت على نفسى ان اقدر على تغفيلها والتسجيل عليها .. وقلت له .. مين يعرف يســــــجل عــلى دى ..

الساعة ٩ صباحا ايقظونى من النوم لوجود مندوب للسيد صلاح نصر فى انتظارى منذ الثامنة فى الحلمية لامر عاجل وهام ·· وجدت رائد من المخابرات سلمنى جهاز تسجيل متوسط الحجم وعرفنى كيفية تشغيله وان السيد صلاح نصر ارسله به علشان المأمورية المطلوبة منك .

« دارت بى الارض .. وكيف ان المشير بعد هذه العشرة الطويلة يشك فى صدقى .. واستهولت احتمال ان اعجز عن التسجيل عليها فافقد ثقته ··

« ذهبت الى مكتبى بالجيزة ولم يكن هناك سوى تليفونى وثلاث افراد حراسة ·· وجلست افكر ·· وهدانى الله لحكمة كانت خافية ان احاول التسجيل عليها من التليفون ·· وجربت ونجحت فقد جاءنى صوتها عبر الاسلاك فى لهفة انت فين..؟ ده انا قلت الدكتور اى المشير ضحك عليك ووقعت بكلام ادامه ·· لانه منذ الفجر بيكلمنى كلام غريب زى ما يكون حاسس بحاجة فطمانتها على · وفتحت معها المواضيع التى كانت تقولها لى ·· باختصار نجحت تماما فى كشف مستورها وما تخفيه عنه ·· ومحاولاتها اتصال شقيقتها بحرم المشير ·· افصحت بوضوح عن نياتها وآمالها وكيفية الوصول الى ذلك وأول غرض هو الزواج .

« وجدت فى وجودى خطرا شديدا عليها .. لعلمى باسرارها وحقيقة نواياها ·· وتأكدها من اننى خدعتها واعارض فى زواجها بل والاكثر من ذلك سجلت عليها وكشفتها للمشير ·· اتضح فيما بعد ان التسجيل الذى سجلته عليها قدمه لها المرحوم المشير وانه ضبط هذا الشريط بواسطة المخابرات العامة عام ١٩٦٧ فى منزل برلنتى عبد الحميد فى العجوزة ·

« وكان التدبير والانقلاب الخطير .. وكان الانتقام الرهيب ..

الانتقام الرهيب :

« فى نهاية ٦٥ اقامت حفلة فى فيللا الهرم لمناســبة عيد ميلاد المرحوم المشير ·· ولــم احضرها ولم اكلف بها ·· واتصلت بى زوجتى السابقة فى مكتبى بالجيزة ليلا لتقول لى ان برلنتى اتصلت وطلبت منها ضرورة الحضور للمشاركة فى عيد المشير ·· واعتذرت ·· وفوجئت بعد ذلــك بالمرحوم المشــير يطلبها ويلح فى ضرورة حضورها ·· فأخذت تاكسى وحضرت الحفل · واعادوها بعد انتهائه الى منزلهـــا .

« فى الصباح فوجئت بالمرحوم المشير يأمرنى بالتوجه الى الهرم للبحث عن صورة فقدت من حفلة امس .. وبالبحث لم نجد شيئا . كما بحث على شفيق معى ·· ولاحظت ان برلنتى توجهنى وتحاول اقناعى بان اطفال اسحق الجناينى وجدوها ووضعوها فى نار كانوا يتدفوا عليها ضمن ورق مجلات ··· الخ ·

« وكان ممكن ان اوافق وينتهى الموضوع .. ولكن عندما سالت عن نوع الصورة الفاقدة وما تحويه من افراد علمت بأنها صورة تحوى المرحوم المشير وبجواره تحت ابطه برلنتى يحيط بها شقيقه السيد حسن عامر والسيد مصطفى عامر وان الصور التى التقطت للحفل تعدت مائة صورة على الماكينة البولورايد ولم تنقص سوى هذه الصورة ·· عند ذلك تاكدت وجاهرت برايى ان اصـــحاب المصلحة فى سرقة هذه الصورة هى برلنتى ووالدتها ·· لان هذه الصورة العائلية تعتبر بمثابة عقد زواج شرعى قد تحرر بالصورة بدل القلم وان شاهدى العقد شقيقيه ··

« قلت للمرحوم المشير رايى وقلت للعقيد على شفيق وايدنى فى ذلك .

« اتهمتنى بالتقاعس فى التحقيق والبحث ، وان اسحق سافر بلده بحجة زيارة والدته المريضة وانه اخفاها هناك .. الــخ ..

حتى ان المشير صدقها وبدا التحقيق بنفسه مع اســحق واولاده .. ومع الاسف امتدت يده بالضرب وايذاء اسحق البواب ·· ترضية لهـا ·· وسالنى المشير بحضورها عما قلته لــه بينى وبينه عــن أصحاب المصلحة فى الاستيلاء على الصورة ·· وجاهرت برأيى فى وضوح بإستبعاد استيلاء اسحق او اولاده على الصورة ·

« لذلك عملت على بث بذور الشك من جهتى .. مدعيــة بأن سهير استولت عليها يوم الحفل واعطتها لى وســلمتها بدورى الى زكريا الطاهر ليبيعها لحسابى فى ايطاليا .

قصة زكريا الطاهر :

« وقصة السيد زكريا الطاهر الذى اشاد بوطنيته ورجولتــه وجهاده المرحوم المشير جاءت ومعه اللاجىء السياسى العــراقى العقيد عرفان .. واشتكى لى من تصرف مدير مكتب الســـــيد فتحى الديب وزير الشئون العربية ، وانه آثر العودة دون مقابلة الوزير رغم انه كان عاوز يبلغ عن موضوع هام جدا جدا (شرحته للمشـير) فقال لى هاته يقابلنى بكره .. فلما اخبرته انه مسافر على طائرة الصباح الى روما امرنى ضرورة الاتصال بالسيد زكريا فى جناحه بأوتيل شبرد وابلغه تقدير المشير وان السيد حسن صبرى الخولى يقابله فى اى وقت بعد عودته .. وفعلا ابلغته ذلك .. واعطيته تليفونى للاتصال بى فور عودته ··

« وهكذا وصمت بأنى بعت المشير وخنت الامانة .. وعزز ذلك شمس بدران بتقارير وبذلك فرط فى المرحوم المشير ·· عندما التقت رغبة شمس بدران وبرلنتى عبد الحميد للاطاحة بى والاجهاز على ، وزحزحتى من طريقها ·· اما شمس فهدفه الاطاحة بالعقيد على شفيق والاطاحة بى هى أول الطريق ·

« وكانت القضية والاكذوبة الكبرى ..

« بحثوا عن الصورة الفاقدة .. او زعموا ذلك للمشير فلما لم

يجدوها .. تقرر وضعى وراء الشمس ولو لفترة حتى لا استفيد فى ظنهم بالصورة وتفقد اهميتها حسب الظروف .

« ترقبوا عودة زكريا الطاهر من روما وكنت بالسجن واعدوا جهاز تسجيل على التليفون وطلبوه فى فندق شبرد وافهمونى أنه عندما يرد على التليفون .. اسلم عليه .. واقول له اننى فى مأمورية وبعد الحمد لله على السلامة اقول لـه جبت لى ايـه .. وعملت فى اللى معاك ايه . ولكن زكريا لم يشأ يرد علينا مباشرة .. وقال : اللى عاوزنى يسيب نمرة التليفون ليطلبه هو بمعرفته .. طبعا لم تعطيه النمرة .. وقاموا بتحرياتهم حوله » ..

شهود آخرون :

وطبعا لم يثبت ان عبد المنعم ابو زيد حصل على الصورة وفى صفحة ٦٧٥ من التحقيق يكمل محمد متولى السيد سكرتير المشير الخاص القصة قائلا : انه .. كان هناك صراعا منذ بداية الثورة بين على شفيق وشمس بدران ، ظلت هذه الصراعات حتى حدث عام ١٩٦٦ ان كان هناك عيد ميلاد المشير وبرلنتى عبد الحميد .. وعيد الميلاد كان فى البيت اللى فى الهرم . وحضره السيد عباس رضوان والسيد صلاح نصر ، واللواء عصام خليل وكان هناك تصوير لهذه المناسبة ، وكان مجموع الصور عدد معين .. واتضح فى نهاية الحفل نقص صورة من هذه الصور ، وكانت موجودة فى هذا الحفل السيدة سهير فخرى وقد وجه لها الاتهام انها أخذت الصورة على اساس انها زوجة عبد المنعم ابو زيد لاستغلالها فى الوقت المناسب ، وبرلنتى عبد الحميد هى التى كانت قد افصحت عن رغبتها فى الانتقام من عبد المنعم أبو زيد وزوجته سهير ، لان عبد المنعم كان يتحرى عن حياة برلنتى وماضيها . وكانت تخشى من سهير أن تقوم بأبلاغ عبد المنعم عن ماضيها وحياتها الماضية » ..

وفى صفحة ٦٧٧ من التحقيق يقول : كانت سهير فخـــرى زوجة كامل حسن المحامى وكانا صـــديقين لبرلنتى عبد الحميـــد ، قبل معرفتها بالمشير ، ومحمد كامل حسن المحامى كان دائم الكلام عن برلنتى مع سهير فخرى ، كانت تحدد لها اسئلة امام المشير بأنه مجنون وبيشرب كتير ، وبيهلوس علشان مايصدقش اى حاجة تقال عن برلنتى والمشير اللى فى الوقت ده كان صديق فقط لبرلنتى .

استدعى عبد المنعم ابو زيد وطلب منه ادخال محمـــد كامل حسن المحامى المستشفى .ودخلوه مستشفى بهمن بحلوان لعلاجه من الشرب ، ومكث فى هذه المستشفى فترة خرج بعدها ، فأتهموه بأنه بيشتم الرئيس جمال عبد الناصر » .

ويقول فى ص ٦٧٨ « واعتقلوه وفى خلال هذه الفترة كان قد تم طلاق سهير من محمد كامـــل حسن ، وتزوجت بعد ذلـــك من عبد المنعم ابوزيد . ويوم حفل عيد الميلاد عرف انها اتهمت سهير بأخذ الصورة الناقصة لانها كانت تخشى من سهير على المشير ، ولانها كانت تخشى من وجودها مع عبد المنعم أبو زيد على اساس كانت بتبيح له عن اسرار برلنتى السابقة باعتبارها كانت صديقة سابقة لها وتعرف اسرارها وهذه الصورة كانت بتمثل المشـــــير وبرلنتى وحدهما . والمشير غضب من عبد المنعم أبو زيد واصر على الصورة لازم تظهر . ولكن الصورة لم تظهر » .

وفى صفحة ٦٨٣ من التحقيق يقول متولى محمد السيد « وبعد ذلك بفترة علمت بأن الصورة التى كانت مفقودة فى حفل عيد الميلاد قد وجدت عند والدة برلنتى عبد الحميد وقد علمت بذلك من المشير شخصيا وقال لى فى احد الايام الاولاد دول طلعوا مظلومين ..

وافرج المشير عامر عن عبد المنعم ورفاقه أثناء حرب ١٩٦٧ ، وبعد الهزيمة وعندما غضب المشير لان عبد الناصر كان يريد ابعاده عن القوات المسلحة ، غادر القاهرة الى قريته اسطال بالمنيا .. وصحب معه عبد المنعم أبو زيد .

ويقول عباس رضوان فى التحقيق انه علم ان جمال عبد الناصر طلب من المشير عامر عودة المفرج عنهم الى السجن ، وفعلا عاد عبد المنعم الى السجن ·

اصلاح تكذب نفيسة :

بعد النكسة واعتكاف المشير عامر ، وزع على نطاق واسع فى بعض وحدات الجيش ، وفى مجلس الامة ، منشور ، يحمل الاستقالة التى كان المشير عامر قد ارسلها الى جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢ .

واثبتت التحريات ان هـذا المنشـور مطبوع بواسـطة السيدة اصلاح شقيقة نفيسة عبد الحميد ، على ماكينة رونيو فى قريتهـا بالمنوفية ·

والقى القبض على نفيسة ، وعلى شقيقتها اصلاح ..

ورفضت نفيسة عبد الحميد الحديث الا امام مبعوث يوفـده الرئيس جمال عبد الناصر لانها ستكشف عن اسرار هامة ·· وكانت هذه الاسرار كما اتضح ورقة واحدة هى عقد زواجها العرفى من المشير عامر ·

واوفد لها عبد الناصر سامى شرف ، ليسمع ما تريد قوله ··

ويقول سامى شرف انه امضى معها اكثر من ساعة . وان الحديث بينهما كان يتم تسجيله بالمخابرات العامة . ومن الغرفة المجاورة كان يستمع اليه شعراوى جمعة وزير الداخلية ، ومحمد حلمى السعيد الذى اشرف على تحقيقات انحراف جهاز المخابرات ومحمد نسيم وكيل المخابرات العامة الذين جلسوا فى غرفة مجاورة .

ويقول سامى شرف انه فى نهاية اللقاء ابلغها ان المشير عامر قد انتحر فانهارت .

ونتساءل سؤالا منطقيا لماذا كان يعرض عليها عبد الناصر مليونين كما تقول للتشهير بالمشير . وماذا كان يمكن ان تقوله عن المشير ·· واذا كان المقصود تشهيرا بالمشير فلماذا لم يعلن نبـأ

القبض عليها أو قصة زواجها بالمشير .. ثم ان التشـــهير بالمشـــير ــ فضلا عن العلاقة ــ التى كانت تربطه بعبد الناصر ــ هو أمر يؤذى عبد النــاصر ، ويمس رفاقه ، وقادة الثورة ، ثم هــل كانت برلنتى ترفض مطلبـــا بالتشـــهير ، وهى التى كانت تســـترحم وتقول أنا فى عرضـــكم اتركونى .. ثم هل كانت ترفض مليونين من الدولارات وفى ظروفها هل كانت تستطيع أن تقول لا .

وكانت السيدة برلنتى قد انجبت من المشير ابنها عمرو على يــد الدكتورة ايزيس خليل شقيقة عصـــام خليل مـــدير المخـــابرات الحـــربية .

وعندما عاد سامى شرف الى عبد النـــــاصر واخبره بموقف برلنتى ورأيها اتصل بأمين هويدى مدير المخابرات العامة . وطلب اليه الافراج عنها فورا لانها « برضه » زوجة المشير .

ولو كان قد ساومها لتشهر بالمشير ، وعرض عليها هذا المبلغ الطائل ورفضته ، لكان من باب أولى ان تظل محبوسة انتقاما من مسلكها وكان هناك مبرر قانونى فهى وراء طبع منشور الاستقالة .

وكان ذلك وحده كفيلا بأن يكون سلاحا فى حملة التشـــــهير المزعومة بالمشير .

شهادة شقيقة برلنتى :

السيدة اصلاح عبد الحميد حواس الشهيرة بزهرة ، شقيقة السيدة نفيسة عبد الحميد حواس الشهيرة ببرلنتى ، قامت بطبع استقالة المشير على ماكينة رونيو فى قريتها ، وقد ألقى القبض عليها، واجرى تحقيق معها . قـــدم ملخص واف للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١٧ مارس ١٩٦٨ ، وقد جاء فيه بالنص :

١ ـ تقوم برلنتى عبد الحميد بعرقلة زواجها « زواج اصلاح » وذلـــك بمحاولتها اتهامها هى وزوجها بتبديد اثاث خاص ببرلنتى بقصد فصـــم زواجهما ليتثنى لبرلنتى مراقبة تصرفات اختها باقامتها معها والقيام بخدمتها .

٢ — ذكرت ان اختها برلنتى عبد الحميد سافرت الى الخارج بتاشيرة خاصة احضرها عصام خليل بعد موافقة المشير ، يحتمل ان تكون التاشيرة من المخابرات العامة ، وسافرت باسم نفيسة عبد الحميد ومكثت ثلاثة ايام ، وقد سافر معهـــا مصطفى عامر كمرافق لها واحضرت معها خمس حقائب تحوى ملابس بحـــوالى الف جنيه .

٣ ـ تعرفت برلنتى على المشير بواسطة صلاح نصر ، بعد حوادث سوريا اذ كان المشير فى حالة نفسية سيئة واراد صلاح نصر ان يرفه عنه .

٤ — ابتدات برلنتى برسم مخطط فى ان تعيش مع المشير على ان يكــون زوجهــا فى الحلال . علما بانها .. .. .. يعمل بالوسو السينمائى وقبله شخص ايطالى .. .. .. وكان ذلك فى الفترة ما بين ١٩٦٣ الى ١٩٦٤ م .

٥ — كان من امنيات برلنتى طوال حياتها ان تتزوج من شخصية مشـــــهورة ولذلك عقدت العزم بان تتزوج المشير باية وسيلة .

٦ — اوقعت برلنتى المشير فى حياة جنسية عميقة مع انه كان فى بدء معرفتــه بها جادا فى حياته (وخام فى شئون النساء) .

٧ — كان صلاح نصر يغير من علاقة برلنتى بالمشير لســـابق علاقته بهــا قبــل معرفتها بالمشير وقد تراهن مع المشير على مبلغ ...١ جنيـــه ليثبت له ان برلنتى ســـيئة الخلق .

٨ — قام صلاح نصر بتدبير حادثة ((الشخص الفرنساوى)) ولكن المشـــــير يعلم بما يحدث وقد اوصى زهره بان تدافع عن اختها برلنتى لو اســـتعمل معهـــا الشخص الفرنسى العنف وتوقفه عند حده .

٩ ـ بعد هذه الحادثة تعلق المشير ببرلنتى وقامت هى من جهتها بالسيطره عليه انها صممت على ان تسكن المشير ببيت الجيزة وحيث تســـكن عائلته فى الــــدور العلوى ويكون المشير بالدور الســـفلى وكان هـــذا مخططا لعدم تانيب ضمير المشير عند عودته للمنزل متأخرا .

١٠ — دفعت برلنتى المشير الى انجاب طفل حتى ترتبط به اكثر فوافقهـــا على أن تكون الطفل باسم المشير شخصيا وهو محمد عبد الحكيم عامر وثبت فعلا بالسجل

المدنى بهذا الاسم ولكن بعد تقييده نزعت الصفحة المقيدة بها الاسم وكذلك اختفت شهادة الميلاد .

١١ ــ كانتبرلنتى تريد المشير خالصا لنفسها ونغير من كل شخص يعطف عليه المشير حتى والدتها واخواتها .

١٢ ــ ذكرت بان برلنتى تحس وكانت مشهورة فى الوسط الفنى بالنحس .

١٣ ــ قامت برلنتى عبد الحميد بتقديم كل من محمد كامل حسن المحامى وزوجته سهير فخرى الى المشير كاصدقاء وقام محمد كامل حسن المحامى باستغلال هذه المعرفة بان يوسط المشير فى تصريف قصصه وكتبه الى الشئون العامة ولكن كان يجد صعوبة فى استجابة المشير لذلك .

١٤ ــ وذكرت ان المشير ارسله الى المستشفى مرتين للعلاج من اثار ادمانه للخمر وذلك بايعاز من عبد المنعم ابو زيد حتى يخلو الجو للاخير للزواج من سهير فخرى .

١٥ ــ قالت ان المشير وبرلنتى يقومان بعمل تسجيلات صوتية وافلام سينما وصور لنفسهما « جنسية » ثم يقومان بعد ذلك بحرقها .

١٦ ـ كما ذكرت ان المشير وبرلنتى يعرضا افلام جنسية ٨ مللى وان هذه الافلام كانت بين بنات وبنات وغالبا وتظن ان هذه الصور أخذت لمصريات طالبات بكلية الاداب وافلام اخرى .

١٧ ــكان عصام خليل يقوم على خدمة المشير ويسخر كل امكانياته لذلك حتى انه ياتى للزيارة مع المشير ويقوم باحضار العشاء أو الغذاء الخاص به . وتعتقد اصلاح انه يقوم بذلك حتى يدارى اخطائه التى يقوم بها ــ وكان يدور حديث بينه وبين المشير على ان تكون حساباته مضبوطة ولا يقع فى الخطا ودائما كان ينصحه المشير بذلك .

١٨ ــ كان عصام خليل يحضر هدايا ومجوهرات عند رجوعه من الخارج ويلبى طلبات برلنتى .

١٩ ــ كان كلا من عبد المنعم ابو زيد وعصام خليل من المقربين جدا الى برلنتى

٢٠ ــ ذكرت ان اراء المشير السياسية كان يؤمن بفكرة الاتحاد الاشتراكى ولكنه كان غير راض عن الموجودين به وانه كان يميل الى الاتحاد السوفيتى بشدة

قبل العدوان الاخير - وخصوصا انه كان على صلة وثيقة بخرشوف وان الاخير كان لا يرفض لـه طلبا ·

٢١ - كانت علاقة المشـير بصلاح نصر تتوتر احيـانا بسـبب انحرافه وكـان ينصحه المشير بان كل انسـان له ان ينحرف لكن لا يؤثر على عمله وانه سيراقبـه باستمرار وخصص لذلك احد الافراد للسؤال عن صلاح نصر كل يوم فى منزله .

٢ - كانت علاقة المشير ببرلنتى عبد الحميد فى الايام الاخيرة وثيقة وكان يطلعها على جميع تحركاته كذا كانت تصل له البوستة عندما يكون موجودا معها كما انه يناقش معها بعض الامور السـياسية .

٢٣ - قامت برلنتى عبد الحميد بتهريب المسروقات التى سرقها عبـد المنعم ابو زيد من ضباط حرس المشير السـابقين وهربها متولى السـائق الى منـزل المشير بالهرم وهى عبارة عن عدد ٣ تليفزيون ، ١٠ سجادة ثمينة « شذواذ » ·

٢٤ - هربت اشياء ثمينه طرف اخرين ويزيد ثمنها عن ١٠٠٠٠٠ جنيه ((مائـة الف جنيه)) .

٢٥ - استلم عبد المنعم ابو زيد من برلنتى سبائك ذهبية واسلاك ذهبية وكاسات مطعمه بالذهب وكريستال ومجوهرات بكشف دونته برلنتى عبد الحميد بخط يدها .

٢٦ - الفيلا بمصر الجديدة وقطعتين من الرض بالهرم وسيارات نصر ٢٣٠٠ مشتراه من اموال المشير باسم والدة برلنتى سيدة اسماعيل فراج . وان المشـير لم تكن لديه القدرة المالية لشراء فيلا فاستدان بمبلغ من السـيد الرئيس لاتمام ثمن الفيـلا ·

٢٧ - تقوم برلنتى الان بعمل سواتير عن طريق جار لهـا بالمنزل يعمل فى المزادات لاثبات ملكيتها لبعض الاشياء ·

٢٨ - قامت برلنتى باتصالات بمختلف الاوسـاط بمناصرة المشير بعد الاستقالة وكانت تشيع ان السيد الرئيس قبض على المشير بعد دعودته على العشـاء بمنزله وكانت تقول لقد عادت مذبحة المماليك .

٢٩ - الافراد التى قامت برلنتى بالتهريب لديهم هم ظافر الصابونى وزوجته، سميره احمد وزوجها ، آقاربها بالزقازيق .

قبل العدوان الاخير - وخصوصا انه كان على صلة وثيقة بخرشوف وان الاخير كان لا يرفض لـه طلبا ·

٢١ - كانت علاقة المشـير بصلاح نصر تتوتر احيـانا بسـبب انحرافه وكـان ينصحه المشير بان كل انســان له ان ينحرف لكن لا يؤثر على عمله وانه سيراقبـه باستمرار وخصص لذلك احد الافراد للسؤال عن صلاح نصر كل يوم في منزله .

٢ - كانت علاقة المشير ببرلنتي عبد الحميد في الايام الاخيرة وثيقة وكان يطلعها على جميع تحركاته كذا كانت تصل له البوستة عندما يكون موجودا معها كما انه يناقش معها بعض الامور الســياسية .

٢٣ - قامت برلنتي عبد الحميد بتهريب المسروقات التي سرقها عبـد المنعم ابو زيد من ضباط حرس المشير الســابقين وهربها حتولى الســـالق الى منـزل المشير بالهرم وهي عبارة عن عدد ٣ تليفزيون . ١٠ سجادة ثمينة « شذواد » ·

٢٤ - هربت اشياء ثمينه طرف اخرين ويزيد ثمنها عن ١٠,٠٠٠ جنيه ((مائـة الف جنيه)) .

٢٥ - استلم عبد المنعم ابو زيد من برلنتي سبائك ذهبية واسلاك ذهبية وكاسات مطعمه بالذهب وكريستال ومجوهرات بكشف دونته برلنتي عبد الحميد بخط يدها .

٢٦ - الفيلا بمصر الجديدة وقطعتين من الرض بالهرم وسيارات نصر ٢٣٠٠ مشتراه من اموال المشير باسم والدة برلنتي سيدة اسماعيل فراج . وان المشـير لم تكن لديه القدرة المالية لشراء فيلا فاستدان بمبلغ من السـيد الرئيس لاتمام ثمن الفيـلا ·

٢٧ - تقوم برلنتي الان بعمل سواتير عن طريق جار لهـا بالمنزل يعمل في المزادات لاثبات ملكيتها لبعض الاشياء ·

٢٨ - قامت برلنتي باتصالات بمختلف الاوســاط بمناصرة المشير بعد الاستقالة وكانت تشيع ان السيد الرئيس قبض على المشير بعد دعوته على العشــاء بمنزله وكانت تقول لقد عادت مذبحة المماليك .

٢٩ - الافراد التي قامت برلنتي بالتهريب لديهم هم ظافر الصابوني وزوجته، سميره احمد وزوجها ، اقاربها بالزقازيق .

« لا ما باجيش » ولما سألته مع من يتحدث اجابها « شـــوية عيـال مجانين » . فاستنتجت أنهم ضباط . وقد التقى عباس رضوان وبعض الضباط بالمشير ، عندها وقالت ان المشير صارحها بأنه يريد السفر ·· وان ماكينة الكتابة كانت فى الحلمية ثم نقلت الى الجيزة ، وامر المشير متولى أبو المعاطى بنقلها الى منزلهـا فى الهرم فأرســلتها بدورها الى دكرنس بواسطة خطيب شقيقتها ··

ولا نريد الان ·· ان نزيد على ذلك من اقوال برلنتى نفسها ··

التشهير بعبد الناصر :

حملت احدى سـيارات المخـــابرات الســـيدة برلنتى الى بيتها معززة مكرمة . ولم يسىء اليها احد .. ولجأت الى القضاء لكى تحصـــل عـــلى نصـــيب ابنهـــا فى المعـــاش .. وفى المـــيراث .. ووضع عبد الناصر حلا لمشكلة المعاش · رغم انه لم يعرف بالزواج الا أخيرا واذا ادعت غير ذلك فنحن نتحدى ان تظهر صورة لها مع المشير ·· وفيها جمال عبد الناصر ·· ولديها بالتأكيد صور لها مع عامر ومع بعض اصدقائه ·

لقد فات السيدة برلنتى والذين يدفعونها لذلك أمرين :

الاول : ان عائلة عامر ، واولاده من زوجته الاولى هم اولى الناس بالحديث عن علاقة عبد الناصر وعامر .. ولكنهم احتراما لاشياء كثيرة يقدرونها آثروا الصمت ، ولو تكلموا لما اساؤا الـــى عبد الناصر لان اى اساءة الى عبد الناصر تسىء بالتالى الى والدهم

الثانى : ان الاخلاص لعامر لايعنى محاولة التشهير بالباطل بعبد الناصر .. فأن ذلك سوف ينعكس على الثورة كلها ، وكـــان عامر هو الرجل الثانى فيها على امتداد سنوات منذ التحضير لها الى ما بعد الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ .

على ان انتحار عامر كان القضية الاخيرة التى تناولتهـــا السيدة برلنتى .

.. وأخيـــرا .. انتحـــار المشـــير عـــامر

وتحاول برلنتى عبد الحميد ومن هم وراءها اعادة فتح قضية انتحار المشير عبد الحكيم .. فتدعى انه قتل ، ولم ينتحر .

ولقد راينا شهادتين من قبل تكذبان السيدة نفيسة عبد الحميد .

شهادة سامى شرف الذى ابلغها نبأ انتحار المشـــير وهى فى مبنى التحقيق بالمخابرات العامة ، وكان الحديث مسجلا تسجيلا صوتيا .. اى انها لم تعرف وقائع قتل . او انتحار المشير لانـــــه كان مقبوضا عليها .. وحتى اذا كانت حرة طليقة ، فقد كان المشير يقيم فى بيته مع اسرته ، واولاده .. بعيدا عنها ، وبذلك تكـــون شهادتها فى هذه القضية .. شهادة الذى لم ير .. وربما لـــم يسمع ايضـــا .

الشهادة الثانية هى شهادة شقيقتها اصـــلاح التى اعتقدت ان من اسباب انتحار المشير ، علمه بأن برلنتى عبد الحميد قـــد استدعيت للتحقيق ، الامر الذى يكشف زواجه العرفى بها . وهـــو ماكان المشير يخشى أن يعرفه الناس .. لذلك آثر الانتحار .

ولقد انتحر المشير بعد ان صفى جيب المقاومة فى بيته . والقى القبض على كل انصاره الذين كانوا يتحصنون فى منزله بالجيزة ، كما جردوا من كل اسلحتهم ..

فلم يكن هناك خطورة من المشير بعد ذلك . تدفع للتخلص منه .. خاصة بعد ان حددت اقامته .. فلماذا يقتل اذن .

على أن فكرة الانتحار كانت واردة لدى المشير .. ايا كانت الدوافع اليها ..

فبعد جلسة المناقشة مع جمال عبد الناصر فى بيته ، صـــعد عبد الناصر الى حجرة نومه ، وترك عامر ، والسادات ، وزكـــريا محيى الدين ، وحسين الشافعى .. ويقول السادات ان عامر ذهب الى دورة المياه ، ثم عاد ليعلن انه تناول سما ، بقصد الانتحار .

ويؤكد هذه القصة كل من زكريا محيى الديـــــن ، وحسين الشافعى ، ويقول السادات انه ارسل لاحضار طبيب لاسعافه .

ويقول امين هويدى انه استدعى الدكتور الصاوى حبيب طبيب الرياسة وان حسين الشافعى قد امسكه حتى يستطيع الدكتـــور الصاوى ان يعالجه بحقنة رغما منه .

ففكرة الانتحار اذن كانت تراود المشير ، وسبق ان اقـــدم عليها امام زملائه اعضاء مجلس الثورة ، وبشهادتهم جميعـــــا ، وايضا بشهادة الدكتور الصاوى حبيب .

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى يحاول فيها المشير الانتحار .. فقد كشف شمس بدران فى التحقيق معه فى قضية التآمر على جمال عبد الناصر ، وبعد انتحار المشير فعلا ، ان المشير سبق أن فكر فى الانتحار فقد قائلا « ان المشير بعد أن اصدر قرار الانسحاب استنتجت انه يريد ان ينتحر بعد ان رآى الموقف العسكرى بهـــذه الصورة مثل قادة التاريخ هانيبال وغيره » .

مرة ثانية كانت فكرة الانتحار واردة عند المشير بشـــــهادة شمس بدران ، الذى حوكم وسجن بالتآمر ضد جمال عبد الناصر ، وكان شمس هو اقرب الناس الى المشير ، ومدير مكتبه ، وهو الذى عينه وزيرا للحربية .. ولايمكن ان يشهد لصالح جمال عبد الناصر فى تحقيق ، وبعد ان القى القبض عليه عبد الناصر .. وواصـــــل شمس بدران اقواله فى التحقيق بأنه عندما طلب الى عبد الناصر ان يحضر الى القيادة ، رفض لان عبد الحكيم هو المسئول « والعملية عمليته » ، ولكنه يعود فيقول ان عبد الناصر « حضر عندما ابلغته خوفى من انتحار المشير » .

فعبد الناصر بشهادة أقرب الناس الى المشير جاء الى القيادة منزعجا لان المشير يفكر فى الانتحار ، ولو كان يريـــد التخلص منه ، لما جاء ، ولسكت على اقل تقدير ، عندما ابلغه رجل المشـــير بذلك .. ولكن عبد الناصر ذهب الى القيادة ، حرصا على صداقة عمر تربطه بعبد الحكيم عامر .

مرتان اذن حاول فيهما المشير الانتحار بعد النكسة من قبل.

المرة الثالثة مسجلة وقائعها فى سجلات مستشفى المعادى للقوات المسلحة .

كان المشير قد عاد الى منزله بعد لقائه مع عبد الناصر ، وهو اللقاء الذى حاول فى نهايته الانتحار .. ولم يجد فى منزله رجاله .. ولاترسانة الاسلحة التى تركها فيه .

وعرف انه قد صفيت كل جيوب المقاومة ، وأصبح وحيدا ، فبدأ يجرى اتصالات بعدد من رجاله فى الخارج فى محاولة لجمعهم مرة ثانية .

وتقرر ان تحدد اقامته ، وخصصت استراحة على ترعة المريوطية لكى يقيم فيها .

وذهب اليه الفريق محمد فوزى ، والفريق عبد المنعم رياض، واللواء سعد عبد الكريم ، والعميد سعيد الماحى .

وطلب اليه الفريق رياض ان يصحبهم الى الخارج ، وقد اعترض المشير ، ولكنه آثر ان يسير معهم .

وفجأة صرخت ابنته نجيبة بأن والدها قد تناول شيئا فى فمه وانه يقصد الانتحار ..

واستدعيت سيارة اسعاف ، رفض ان يستقلها المشير ،وركب السيارة مع الفريق رياض ، واثنان من ضباط الحرس ، واضطر بعد الحاج ان يخرج ورقة من فمه ، احتفظ بها أحد الضباط وهو النقيب محمد نبيل ابراهيم عقل ، وأسرعت السيارة الى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وسجل المستشفى كل الوقائع .

وسلم الضابط الورقة الى المستشفى لتحليلها ، وقال الضابط فى التحقيق ان المشير قال فى السيارة أنه تناول مادة يعرفها رجال المخابرات ، وانه لايمكن اعتقاله فقد حاولوا اعتقاله مرة سابقة ولكنه حاول الانتحار واسعف ، وسوف يكرر الامر ثانيه .

اما الضابط الاخر الذى كان يصحب المشير فى السيارة فقد

قال ان المشير عندما وصل مستشفى المعادى رفض فى البدايـــــة عمليات اسعافه . ولكنه اسعف رغما عنه وعندما قال له مـــدير المستشفى انه لم يعد هناك خطر على حياته قال ان هذا اسوأ خبر سمـــــعه .

ولعل خير من يروى القصة ، هو قائد المستشفى اللـــواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجى حيث قال « ان الرائد طبيب حسن عبد الحى احمد فتحى طبيب النوبة بالمستشفى اتصـل به تليفونيا الساعة ٣٫٣٠ من مساء الاربعاء ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ واخبره بأن الفريق اول فوزى موجود وبصحبة المشير فتوجه الى هنـــاك حيث اخبره الفريق اول فوزى بأن المشير تناول مادة سامة وانهـــا ليست اول مرة ، ثم توجه الى حيث يوجد المشير فوجد معه الفريق رياض والعميد طبيب القللى والرائد طبيب حسن عبد الحى والرائد طبيب احمد عبد الله ، واستفسر من المشير الذى اخبره بأنه تناول بعض حبوب الاسبرين ، غير ان الفريق رياض ذكر له انه اخرج من فم المشير مادة كان يمضغها فى ورقة سلوفان فرد بوجوب تحليلها — وانه حاول اقناع المشير لعمل غسيل لمعدته رفض وراح يحـــاول اضاعة الوقت وبعد محاولات مع المشير لاقناعه بضرورة افراغ فى جوفه لاخذ عينة التحليل . تقايأ واخذ عينة من القىء لتحليلها فى المستشفى وفى المعامل المركزية واذ طمأن الشاهد المشير الى انه لن يموت وانه قد يشعر فقط ببعض التعب وصف المشير هذا النبأ بأنه اسوأ ما سمع ، ثم راح الاطباء يقيسون نبضـــه وضغط دمه واطمأنوا الى حالته ، حتى اذا كانت الساعة الخامسة مساء اصر الفريق اول فوزى على مغادرة المستشفى وفى الساعة ٧ م اتصل به المقدم طبيب عبد المنعم عثمان واخبره ان التحليل اظهـر اثارا لمادة الافيون . فبادر بالاتصال بالعميد الليثى وانبأه بذلك ثم اتصـــل بالفريق اول فوزى الذى طلب ارسال النتيجة اليه — وفى الساعة ٩ من مساء اليوم التالى طلب اليه ارسال صورة اخرى من تقــــرير

التحليل - واضاف ان المشير غادر المستشفى فى حالة صحية جيدة - وانه لم يحرر تقريرا رسميا بالمستشفى عن حالة المشـــير لان وجوده كان له وضعه الخاص » .

وقد قدمت ادارة المستشفى تقريرا طبيا خاصا بحالة السيد المشير وقع عليه من الاطباء كل ، من : الرائد احمد عبد الله ، والرائد حسن عبد الحى ، والمقدم محمد عبد المنعم عثمان القللى ، والعميد محمود عبد الرازق جاء فيه « ان السيد المشير حضر الى المستشفى حوالى الساعة ٤ من مساء يوم ١٩٦٧/٩/١٣ لاسعافه من احتمال تناول مادة سامة وقد تبين من الكشف الطبى عليه ان حالته العامة جيدة ونبضه من ١٠٠ الى ١١٠ فى الدقيقة . ممتلىء ومنتظم وضغط الدم ٩٠/١٢٠ والرئتان ســـليمتان . والقلب سليم ودرجة الوعى والتنبه كاملة ، والقوة العضلية والاحساس سليمان والحـــدقتين طبيعيتان والانعكاسات العصبية سليمة والجهاز الهضمى ســـليم ولا توجد اعراض اسهال أو مغص أو قىء - وقد تقرر علاجه باعتبار الحالة اشتباه تسمم بمادة مجهولة بأحداث قىء بصفة مستعجلة واجراء غسيل للمعدة وتحليل الافرازات - غير ان المشير رفض اجراء غسيل المعدة ، وتناول نصف كوب من محلول مقىء ثم تقيأ بارادته ، وفى الساعة الخامسة اعيد الكشف عليه حيث وجد فى نفس الحالة العادية فغادر الجناح سيرا على قدميه ولم تحرر له اوراق علاج بالمستشفى نظرا لطبيعة الظروف وقصر مدة وجوده بها » .

مرة ثالثة نقول ان فكرة الانتحار لم تكن فقط وارده فى ذهـــن المشير بل انه أقدم عليها فعلا ، وكان رافضا محاولات اســـعافه فى تلك المحاولات وكان يعالج رغما عن ارادته فى كل مرة .

بعد علاجه من هذه المحاولة نقل الى الاستراحة التى أعـــدت وهناك وجد الفرصة سانحة لتنفيذ فكرته ، فأخرج سما كان يحتفظ به على شريط لاصق فوق بطنه وتناوله فى غفله من الحراس .

وكان عبد الناصر فى الاسكندرية عندما عاد الى القاهـــــرة على عجل لان المشير عامر قد انتحر .

وعقد اجتماعا لمجلس الوزراء استمر اربع ساعات ، وكان عبد الناصر حزينا وهو يقول انه فقد اكثر من اخ ، وان واحدا مـــن اخوته لم يكن قريبا منه مثل المشير وشرح كل الظروف منذ مابعـــد النكسة حتى انتحار المشير .. وقال وزير الاعلام محمد فائق بعد الجلسة ان المجلس استمع فى جو من الاسف العميق الى تقرير وزير العدل على حادث انتحار المشير وملابساته وسير التحقيق فيه .

وقد اكد عصام الدين حسونه وزير العدل بعد التحقيقات ان المشـــير قد انتحر فعــلا . وكان الوزير قد قســـم التحقيق الى قسمين الاول يشرف عليه النائب العام شخصيا والثانى يقـــوم به اكبر خبراء الطب الشرعى فى مصر وهـــــم اربعة : الدكاترة عبد الغنى البشرى . ويحيى شريف . وعلى عبد النبى وكمال السيد مصـــطفى .

وكان تقرير الاطباء الكبار الاربعة فى ٥٢ صفحة قسمت الى ١٢ فصلا ، جاء فيه دراسة لمادة الاكونيتين التى تناولها المشير ، والتى تحدث الوفاة خلال من ساعة حتى اربع ساعات من تناولهـا .. وقد بحثت اللجنة امكانية تواجد هذه المادة فى الصيدليات بمصر، فطافت بكل اقسام الصيدلية الحكومية ثم بالصيدليات الاهلية ، فلم تجد الا جراما واحدا لدى صيدلية الجيزة اشتراه صاحبها منـــــذ سنوات عديدة .

وقد اعترف مسئول القسم الكيمائى بجهاز المخابرات العامة بان الجهاز استورد هذه المادة من المانيا الغربية عام ١٩٦٣ ، وبقيت بالقسم الكيمائى حتى طلب السيد وجيه عباس مدير مكتب صـــلاح نصر اعداد ست عبوات من هذه المادة وارسالها لمكتب المدير ، وقد اعدت داخل عبوات التعبئة العادية للاسبرين ، واعترف صـــلاح نصر انه طلب هذه المادة فى تاريخ لايذكره ، وانه تركها فى مكتبه بعد مرضه قبل خروجه من المخابرات مباشرة ولا يعرف عنها شيئا .

وقد انتهى الاطباء الشرعيون الى عدد من النتائج اوردوها في تقريرهم من اهمها :

ــ ثبت الفحص الطبى ان الجثة خالية تماما من اى اثار اصابة ذات دلالة على وقوع فعل جنائى أو حصول عنف او مقاومة .

ــ عدم وجود امراض تؤدى الى حدوث الوفاة على النحو الذى وقعت به .

ـ ان المظاهر التى اثبتها الفحص الطبى الشرعى تدل على ان الوفاة نشأت من حالة سمية ادت الى هبوط سريع فى القلب والدورة الدموية والتنفس .

ــ ان وجود سم الاكونتينين فى الشريط المعدنى الذى عثر عليه لاصقا بالجثة مع ماهو معروف من طبيعة تاثير هذا السم على الجسم . يدل على حصول الوفاة كان نتيجة التسمم بالاكونيتين .

ــ ان عدم العثور على الكونيتين عن طريق التحليل الكيميائى امر متوقع ويسلم به علميا بأعتبار ان قدرا بسيطا منه يصل الى ملليجرام واحد تكفى لاحداث الوفاة دون ان يظهر له اثر فى التحليل .

ــ انه تأسيسا على ماتقدم واقعة مضغ السيد المشير ورق السلوفان المحتوى على الافيون . والذى وجد عالقا بها اجزاء صغيرة جدا لورق معدنى من نفس النوع الذى اخفيت فيه مادة الاكونيتين التى وجدت على الجثمان ، واستمرار ظهور اعراض سمية من وقت اسعافه للمشير حتى حصول الوفاة دالة على استمرار تاثير هذه المادة . كل ذلك يدل على حصول الوفاة انتحارا بتناول هذا السم .

كان النائب العام هو المستشار محمد عبد السلام ، الذى شارك فى الحملة على جمال عبد الناصر فأصدر كتابا عنوانه « سنوات عصيبة » عن سنوات جمال عبد الناصر ، حشدها بذكرياته كنائب عام . . وكل الذكريات تهدف الى التشهير والاسهام فى الحملة على ثورة يوليو .

ومع ذلك فانه فى كتابه هذا يقرر أن المشير قد انتحر ، وانه باشر التحقيق بنفسه . . وتأكد لديه انتحار المشير . وأن الذين قالوا انه لم ينتحر فقط اثنتين من بناته ، وارجع ذلك لعاطفة البنوة .

وقال النائب العام فى تقريره « ان اقوالهما صدرت عن عاطفة الابوة من جهة . وبفعل الصدمة من جهة اخرى فحرصتا ان تصفاه بالايمان والشجاعة وان تنفيا عنه التهرب من المسئولية ، كما انه من الطبيعى ان تلح عليه فكرة الانتحار من مدة سابقة ويتوقع فى كل حين التعرض لمزيد من اجراءات تقييد حريته ـ كشأن المشير ـ ان يهيىء نفسه لتنفيذ فكرته عندما يتحقق موجبها ، وذلك باخفاء مادة سامة تكون فى متناول يده فى غفلة من أقرب المقربين اليه . وليس اقطع فى مطابقة ذلك للواقع مما صارح به المشير صهره رائد طيار حسين عبد الناصر من محاولته السابقة للانتحار فى يوم ٢٥ من اغسطس عندما استدعى خارج منزله . وعلم باتجاه النية الى اعتقاله » .

« واخيرا فانه مما يدحض ما اثارته كريمتا المشير من **شبهات ، وينطق بصحة ما دلت عليه ظروف الحال ، تسلسل الوقائع وتصرفات المشير واقواله .. وماديات الحادث والفحص الطبى الشرعى . وتقارير التحليل من وقوع الحادث انتحارا .. ما اقرته السيدة نجيبة ذاتها من انها كانت أول من اتجه اعتقاده الى ان المادة التى رأتها فى فم والدها قبل مبارحته المنزل كانت مادة سامة مما اقتضاها ان تهيب بالاخرين لسرعة اسعافه » .**

وكانت ابنة المشير قد اثارت فى معرض شكوكها انه لا يمكن ان ينتحر لانه طلب كتبا وآلة حلاقة كهربائية ارسلتها اليه **صبيحة يوم انتحاره .**

وقالت النيابة انه « فضلا عن عدم قيام ما يشير الى ان ارسالها كان بناء على طلبه . وخاصة انه كان يومئذ فى حالة تخدير **وهبوط ، فقد شهد الفريق اول فوزى ان ارسال آلة الحلاقة**

الكهربائية انما كان بأمر منه مخافة استعمال المشير للشفرة العادية ·· وذلك فأنه ليس فى شىء من هـــذا ما يغير ما هو ثابت من تناول المشير المادة السامة بقصد الانتحار » ·

ولم تترك النيابة العامة ، طبيبا ، ولا حارسا ، ولا معايشــا للقضية الا وسألته ·· وتحرت منه الحقيقة ·

ووضع رجال الطب الشرعى الكبار فى مصر رأيهم ، ووقعوا عليه بضمير مطمئن ·

وقال النائب العام الشــــديد العداء لجمال عبد الناصر ان المشير قد انتحر ·· وكذلك عشـــرات الشهود ، فى تحقيق ضخم ، يمكن الاطلاع عليه حتى اليوم ، لمن يريد ان يكتب التاريخ أو يعرف الحقيقــة ·

وكانت السيدة نفيســة عبد الحميد بعيدة عن المشير فى ذلك الوقت ، بل كان مقبوضا عليها ·

ولم تكن اســرته تعرف نبأ زواجه الســرى أو العرفى منها ، ذلك الزواج الذى لم يشتهر الا بعد انتحار المشير ··

ومع ذلك ، فان أولاد المشير لا يثيرون القضية ، ولا يتحدثون فيها ·· وتثيرها السيدة نفيسة ··

وتتهم جمال عبد الناصر .. بأنه قتل عامر الذى تزوجها أخيرا بعقد عرفى ، وانجب منها ابنها الوحيد عمرو ..، ولا تعليق ..

الـــــذين أيدوا ٠٠ هــم الــذين هـــاجموا

يستحيل على الباحث أن يجمع ما يكتبه بعض الكتاب يوميا من هجوم محموم على جمال عبد الناصــر ، فحجم ما ينشــر يفوق امكانية اى باحث فى الجمع والرصد ، والتنوع ٠٠

فكأن هناك مباريات بين بعض الكتاب فى الهجوم على جمـــال عبد الناصر ، والتشهير بفترة حكمه ، وتشويه كل ما يمسه ، وأن هنـــاك من يقف منتظـــــرا نهاية المباريات ليمنح الجوائز والمكافآت والاوســـــمة على المتفوقين ٠٠ وقد يكون من المفيد ان يتذكر الناس مواقف هؤلاء الكتاب انفسهم ، ورايهم السابق فى جمال عبد الناصر ٠٠ ليس كشـــــفا لمواقفهم ـ اذا كانت لهم مواقف ـ ولا لان ذلك اســـــهل على الباحث فان حجم ما كتبوه مدحا وتأييدا لجمـــــال عبد الناصر لا يقل حماسا ولا حجما عما كتبوه ضده ٠٠ ولكن لان أجيالا جديدة لم تتبين حقيقة مواقف بعض الكتاب ، وربما يتصورون ان ما يكتبونه الان ، هو رايهم الثابت ، وعقيـــــدتهم التى يدافعون عنهـــا ٠٠

فاذا اكتشف هذا الجيل الجديد ، واذا نشطت ذاكرة الجيل القديم ، ووقفوا على حقيقــــة هؤلاء الكتـــــاب ، ايقنوا ان هـــــذه الحملات ، وهذا الهجوم المحموم ، ليس وليد صدق او مبدأ ٠ او عقيدة كما انهم بالطبيعة يكونون مدفوعين اليه بوسائل مختلفة .

ماكتبه ، هؤلاء المصفقون لكل حاكم وهو فى السلطة . المنقبون عن مثالبه فيما بعد ، كتبوه ايضا بعد ان رحل جمال عبد الناصر عن رؤية مختلفة ، مندفعة فى التأييد والحزن للفقد . .

وتأييد جمال عبد الناصر وهو فى القيادة أمر يمكن ـــ يمكـــن فقط ـ تبريره بالنسبة للذين يهاجمونه الآن ٠

ولكن البكاء عليه ميتا بحرارة شديدة ، هو الامر الغـــريب ، والمريب ، الذى يدعو الى وقفة تأمل ، كيف كان راى هؤلاء فى جمال

عبد الناصر ، وكيف تغير الى النقيض تماما ، وما هى العوامل التى ادت الى هذا التغير ، والظروف التى افرزته واذا كان الكاتب هو فى البداية والنهاية موقف فلنتأمل مواقف بعض الذين يهاجمون من جمال عبد الناصر .. حيا .. وميتا .

التوامان .. المتقلبان :

التوامان .. مصطفى وعلى امين من ابرز النماذج للكتاب الذين يتحمسون للراى ونقيضه .. وللرجل وعدوه .. وحماسهم فى التأييد والدفاع عن الحاكم وهو فى السلطة والهجوم عليه بعد تركه موقعه امر لابد ان يكون موضع دراسة .. ليس للتقلب بين الشىء وعكسه ، بل فى الحماس الشديد فى التأييد ، بنفس الحماس الشديد فى الرفض . حتى يبدو الواحد منهما من فرط حماسه بطلا من أبطال الدفاع عن الحريات ، وصيانة حقوق الشعب ، والوقوف الى جانب المظلومين .. وتلك مدرسة فى الوصول الى قلوب الناس ، اجاد التوامان استخدامها جيدا طوال سنوات عملهما فى الصحافة حتى اصبح الحاكم يجد نفسه محتاجا الى حماسهما فى تأييده لما يجمعان بين قدرات صحيفة ، وكلمات تبدو صادقة .

ولقد كان من اخطاء الثورة انها استفادت منهما مهنيا بعد ان اعلنا ولاءهما المطلق بها ؛ وانطلقا فى فرش الزهور وتعبيد الطريق امام مجموعة نظيفة من الضباط الشباب الحديثى الخبرة.

وكان فى مقدمة مافعلته الثورة بعد يوم واحد من قيامها ، القاء القبض على مصطفى وعلى امين باعتبارهما من الاعمدة التى كانت تساند بحماس شديد النظام الملكى ، وتعادى الوفد لحساب الملك . وكانت صحفهما هى التى وصفت الملك بانه العامل الاول والفدائى الاول ، والعالم الاول . واخترعوا قصصا روائية عن تواضع الملك وفدائيته ، وصلاحه وتقواه ، وحتى عن الجمل الذى هرب من المذبح ، ولجأ الى قصر الملك يستنجد به ، ويحميه من

الذبـــح .

وبعد الثورة مباشرة ، افرج عنهما نتيجة وساطات متعددة ، فتطوعا بتقديم رأس الملك ونظامه هدية لرجـــال الثورة ، بـــدا مصطفى امين سلسلة مقالات يحكى فيها قصة فاروق كاملة ، ولياليه ومغامراته ، ونماذج من فساده وفساد عصره .. وقد جمع هـــذه المقالات فى عدد من الكتب وكان من المنطقى ان يتنبه رجال الثورة الى أن الرجل الذى باع الملك بعد ان تغنى فى محاسنه ، وتغزل فى عصره ، وروج له ، هذا الرجل عندما ينقلب بهذه الطريقة ، وبهذه السرعة ، لايمكن ان يثق فيه احد .

ولكن رجال الثورة اثروا أن يستخدموه .. وظل يتغزل فى الثورة ورجالاتها جميعا ويتغنى بحبه جمال عبد الناصر ، ويشـــيد بقراراته حتى ضبط فى قضية تجسس لحساب المخابرات المركزية الامريكية وحوكم ، وصدر عليه حكم بالسجن ، وسجن فعلا الى أن جاء السادات ، واصدر قرارا بالافراج الصحى عنه . واعاده لموقعه فى أخبار اليوم ليقود بنفسه حملة تصفية مرحلة جمال عبد الناصر ، ليس لحساب السادات وحده ، بل ايضا تصفية لحساباته الشخصية .

واصبح مصطفى امين فى نظر القارىء العادى البطل الذى يدافع عن الحريات ، والقلم الذى ظلم ، واضطهد فى عهـــــــــــد الديكتاتورية .

ونسى البعض أو تناسى كـل مـا وراءه من تاريخ . ولا يختلف توامه عنه .. الا فى انه عندما القى القبض على شقيقه آثر البقاء فى الخارج حتى استدعاه السادات ، ووضعه رئيسا لتحرير جريدة الاهرام مكان محمد حسنين هيكل ، وكان المعنى لايخفى حتى على السـاذج .

ولمصطفى امين ، كما ان لعلى امين « معلقات » يصعب عدها فى مدح عصر عبد الناصر . وتقريظه والتغزل فيه . وفى كل انجازاته . بل وفى تبرير اخطائه ايضا ..

وسوف نكتفي بمقال واحد لمصطفى امين ، كتبه — في المصور — بعد القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ بعنوان « كيف نكر وكيف قرر » يقول فيه :

عندما كانت اسرائيل وصحف الاستعمار تؤكد ان عبد الناصر مريض . كان عبد الناصر في احسن صحة ـ وكانت الابتسامة لاتفارق شفتيه . كانت عيناه مليئتين بالثقة والتصميم . وكان الذين يقابلونه يدهشون لقوة اعصابه . كان عبد الناصر بعد حوادث سوريا كما كان في حوادث مارس سنة ١٩٥٤ وفي اثناء معركة العدوان سنة ١٩٥٦ ٠ ومن صفات عبد الناصر ان الاحداث تلبده قوة ، والازمات تزيده ثباتا ٠ وهو في هذه الاوقات يقف على قدميه فيبدو اطول مما هو ٠ وتبدو الاحداث اصغر مما هي وبذلك يراها من « علو » ويحكم عليها من فوق . دون ان يتاثر بالحوادث الصغيرة ، ولا يهمه رأى الافراد وانما تعنيه رأى الملايين .

وكان يقوم من نومه في الساعة السادسة صباحا . يرتدى قميصا ابيض وبنطلونا . ينزل الى مكتبه في الدور الارضى . المكتب مليء بالدوسيهات . لم يكف المكتب . وضع عبد الناصر الدوسيهات والابحاث على أرض غرفة المكتب . كان يقرا كلشيء ٠كان يقابل عددا كبيرا من الناس٠رسميين وغير رسميين كان يسمع اكثر مما يتكلم ٠ كان له قدرة غريبة على الانصات للاراء التي لا يوافق عليها ٠ انه يشجع كل من يجتمع به لقول رايه واقتراحاته .

ويخطيء من يتصور ان عبد الناصر لا يعـرف ما يقوله الناس ، كل الناس انه يتنسم لما يقال في الاندية . لانه يعرف أنها تمثل رأى الاقلية . ولكنه يهتم بما يقوله العمال في مصانعهم والفلاحون في حقولهم والعلماء في معاملهم والمثقفون في مكاتبهم والضباط والجنود في خط النار . وهؤلاء في رايه هم : الاغلبية الساحقة . وهو يتاثر بهم ، ولا يتاثر برأى يقوله فرد في نادى الجزيرة او نادى محمد على . فعبد الناصر بطبيعته يتفاعل برأى الاغلبية الساحقة ٠ وهذه الاصوات الضعيفة الهامسة تصل الى اذانه كانها دوى هائل لانها اصوات الملايين . اما الاصوات المرتفعة الاخرى التي ترتفع في الاندية الكبيرة والقصور العالية فتصل الى اذنه كالهمسات .

وعندما يقول عبد الناصر ان اصابعه كانت على نبض الامة ، واذنيه كانت على دقات قلبها كان يعنى انه على اتصال وثيق بآمال والام الملايين .. وهذه الامال والآلام هى التى جعلته يختار طريق الثوار لا طريق المستسلمين اليائسين .

نقول له نعم :

سوف تختار واحدا من سلسلة مقالات كتبها على أمين يدعو الشعب لانتخاب جمال عبدالناصر رئيسا تحت عناوين : باسم الدستور ننتخبه ــ وباسم الاحرار ننتخبه ، وباسم الشهداء ننتخبه ــ وباسم البعث الجديد ننتخبه ــ وباسم العدل ننتخبه .. الخ أما آخر هذه المقالات فكان عنوانه باسم مصر وسوريا نقول نعم وقد جاء فيه :

نعم نريد حاكما عادلا • الحاكم واحد منا • اخترناه بانفسنا ليحمل علمنا ويعلن كلمتنا وينفذ مشيئتنا • يستمد قوته من قوتنا • ويعتمد فى سلطاته على سلطاننا ، ولا يسوقنا •• قصره قلبنا • وحصنه فؤادنا • وصولجانه حبنا وسلطاته ثقتنا •

نعم •• نريد حاكما شريفا •• يعيش لهذه الامة لا لنفسه أعطاها روحه أعطته تاييدها ، ومنحها حبه ، فمنحته ايمانها ، وصمد من اجلها فوقفت خلفه تحميه وتفديه لم يدعها للحرب بل حارب معها • لم يامرها بالقتال • ولكنه قاتل فى صفوفها ، لم يجلس فى برج عاجى يصدر التعليمات بل اندمج فيها وتجاوب معها وعبر عن احساسها فانبعث صوته ينشد الحانها ، فيه من ارض الجبل صلابته . وفيه من ارض الوادى خصبه ، فيه من هواء مصر حرارته ، وفيه من هواء سوريا قوته • فيه من نهر النيل اندفاعه ومن نهر بردى رقته • فيه ما فى الشعبين من طيبة مع الضعيف • وعناد مع القوى :وذكاء فى غير خبث ، وايمان فى غير تعصب . وثقة فى غير كبرياء • وقوة لا تكشف عن نفسها الا فى الازمات والخطوب •

نعم •• نريد حياة طيبة مليئة بالحب ، خالية من الخوف يسودها الاستقرار ، ويختفى منها القلق • حياة فيها حرية وفيها رخاء • وفيها ثقة وفيها امل وفيها ايمان • من اجل هذا تقول مصر لعبد الناصر : نعم وتقول سوريا : نعم •

موكب الملايين :

واذا كان موسى صبرى لاسباب خاصة به وحده قد ظل حتى اليوم مبقيا على ولائه للسادات ، الذى وضعه رئيسا لمؤسســــة صحفية كبرى ، وقربه منه ، وكان يكتب خطبه واصبح صـــــديق العائلة ، الامر الذى اتاح له ان يحقق طموحا كان يسعى اليه بأن يقترب من محمد حسنين هيكل ، وان يضع نموذج هيكل امامــــه فكما ان هيكل كان قريبا من عبد الناصر ، وظل وفيا لمبادئه ، فــان موسى صبرى تصور انه بالابقاء على ولائه للسادات يمكن ان تتساوى الرؤوس ..

ورغم قسوة التشبيه والمقارنة فانه بكل اسف هكذا يفكــر موسى صبرى .

وكان موسى صبرى رئيسا للتحرير أيام عبد الناصر وكـــان أيضا من فرقة المؤيدين والمبررين وسوف نكتفى بمقال كتبه بعــــد رحيل عبد الناصر . تحت عنوان « موكب الملايين » .

« النهار حزين · الليل حزين · الانسان حزين · العالم بشرقه وغربه حزين · القلوب المنكســـة ودعت بالامس قلب مصر ·· سارت الملايين الباكية فى موكبه الاخير فى اليوم الاول من اكتوبر عام ١٩٧٠ ·

ذهب نار الشعلة · رافع العلم لف جثمانه العلم · الهامة الشامخة رقدت فى مثواها الصوت الاول صداه يملا الافاق · العظيم ترك شعبا عظيما ·

وبعد يوم الوداع ·· لوعة ومرارة وضيق ·

النهار حزين · الليل حزين · الانسان حزين ·· وبعد الوداع ·· ايام لوعة ومرارة وضيق ··

العبء تتضاعف اثقاله .. ولكن الناصرية رسخت فى اعماق شعب واصبحت قانون حياة . الشعب طيب وفى ودود الشعب قال كلمته بالامس ، كما لم يقلها طوال ثمانية عشر عاما . الشعب قال بالامس .. لاحياة لنا بعدك يا ناصر . قالها ودمعه دم · وصوته وجيعة · وقلبه اشلاء · الشـــعب قالها ·· لاحياة لنا بعد ناصر الا بناصر · هو المستقبل اذا اردنا ان يكون لنا مستقبل ·

النهار حزين . الليل حزين الانسان حزين . وبعد يوم الوداع .. أيام لوعة ومرارة وضيق .

العبء بضاعف اثقاله . ولكن .. فليكن الموكب الاخير الذى جمع الملايين حول عبد الناصر هو الموكب الدائم للملايين لحماية مبادىء عبد الناصر .

تماسكى يا مصر :

وابراهيم الوردانى نموذج آخر من الكتاب الذين كرسوا اقلامهم طوال السبعينات للهجوم على جمال عبد الناصر ، ولقد كان بالطبع موقفه مختلفا طوال سنوات عبد الناصر ، وقد امتد اعجابه بعبد الناصر الى الرجال الذين يعملون معه ، فهو يصف تواضع شعراوى جمعة ، بأنه لم يعرف الوزير من الخفير ، ويصف ضياء الدين داود بأنه ضياء مصر ، ولقد كتب عقب رحيل عبد الناصر مباشرة مقالا طويلا تحت عنوان «بعد استرداد الانفاس» ومقالا آخر عنوانه « تماسكى يا مصر » جاء فيه :

انين الناس يسحق ضلوعى .. فحيح الحزن ينفخ النار فى وجهى .. وانيما تحركت اينما تحركت .. هذا هو كوبرى الجلاء ، وكم عبره عبد الناصر فى طريقة الى الجامعة الى ليالى السمر الوطنى الشهية التى كنا نصهر عليها كما نسهر مع ام كلثوم .. مات عبد الناصر .. مات ولن يعود .. ولن يعود .. لن يخطب .. لن يناقش .. لن يوزع الجوائز على الاولاد والبنات فى عيد العلم .. لن نعود ونراه يقف شاهقا فى عربته وكأنه المسلة .

هذا هو المعرض .. ومن يعود يفتتحه .. من يقص الحبل .. والصورة .. الصور ولكل صاحب دكان لقطة معه يتيه بها ويتفاخر .. يعلقها فى البيت .. ويعلقها فى المكتب ويطبع منها نسخا .

هذه هى حديقة الاندلس وذات مساء بعيد كنا هنا ، وكان عبد الناصر مازال فى ثياب بكباشى .. حينما اعلنت مصر جمهورية .. مساء هائل .. كانما ولدنا من جديد واستفتحنا مع التاريخ « سنة واحد جمهورية » .

اذهب الى منشية البكرى .. استنشق رائحة الغائب من خلف السور ..

ولكن اى سور ان مصر كلها اليوم سرادق عزاء .. اذهب الى سراى القبة .. وبلاء .. هناك جثمان وهناك صمت .. وماذا سوف افعل هناك .. الناس هناك هم الناس هنا .. واللوعة باتت غطاء واحد نزلت به السماء على مصر فى ليلتها الرهيبة .

انا واقف على مفترق الطرق عند كوبرى قصر النيل .. هذا هو الهيلتون ومنذ ساعات كان هنا « موتور » اسمه جمال عبد الناصر يقود طابورا مصفحا من مائة مليون .. لا اطيق ان اتحرك . يجب ان اذهب الى اى مكان هل اذهب الى النادى. هل اذهب لارى الناس فى بولاق وماذا يصنعون وكيف يصرخون والسبتية وشــبرا وعابدين والسيدة والحسين .. هل اذهب الى مقر صديقى فلان او فلان او فلان وترى هل اجدهم .. لعلهم مثلى الان حيارى متطايرون فاين يذهبون .. كلنا يتامى والاب انعزل عنا فجاة .. انصرف ولن يعود .

انصرف جمال عبد الناصر كيف .. كيف ؟ .. انه حامل المسئولية وبالهــا من مسئولية انها عبوات من حوله ، عبوات فحله ثقيلة . تحاصره تنام بجوار فراشه يخرج بها على اكتافه .. وهل غيره قدر على حملها سواه .. انه خلق لها .. وهو عريض الاكتاف وقوى وفى الثانية والخمسين .. كيف يخطف هكذا بغتة .

لا .. أيها الرئيس :

وانهال الكاتب والمفكر الاسلامى خالد محمد خالد فى جريدة الوفد عــلى جمال عبد الناصر ولقــد كان لخالد محمد خالد موقف مختلف طوال سنوات حكم عبد الناصر .

كانت قضيته الديمقراطية ، وعلى امتداد جلسات مذاعــة على الهواء قال رايه فى مواجهة عبد الناصر ، الذى رد عليه امــام الناس ، واستوعب رأيه ، ولم يصادره ، كما انه لم يضار واتضح من المناقشة أنه عندما صودر له كتاب ابرق الى جمال عبد الناصر فأفرج عن الكتاب فورا ، واتضح ايضا أن جمال عبد الناصر طلب اليه الكتابة فى جريدة الجمهورية وأن المسئولين عندما كانــوا يترددون فى نشر بعض مقالاته كانت تعرض على عبد الناصر فيوافق على نشرها .. واتضح ايضا ان عبد الناصر كان يلتقى به .. وقال

لعبد الناصر فى مؤتمر اللجنة التحضيرية الذى اختاره عبد الناصر عضوا به ان شجاعته يستمدها من حسن ظنه ، ومن فهمه لجمـــال عبد الناصر .

واذا كان خالد محمد خالد قد تحول من اشد الناقدين لجمال عبد الناصر المهاجمين لاجراءات الثورة ، فاننـــا نكتفى بعـــد هـــذه المقـــدمة بســـطور من مقـــال كتبه ووجهـــه الى عبد الناصر بعـــد التنحى عقب النكسة ونشره فى جريدة الجمهورية تحت عنوان « لا .. ايها الرئيس » جاء فيه :

الجيش الذى يخسر معركة او معركتين او عشرا . لا يكون مهزوما الا اذا تجرع الهزيمة ،ورضى ان يغص بها حلقه · فمرارة الهزيمة ليست فى وقوعها . بل فى تجرعها · وحساب الارباح والخسائر فى الحروب لا يجرى على نمط « دفاتر اليومية » · التى يمسك بها اصحاب الحوانيت حسابهم ·

لقد شهدنا المانيا النازية من سنوات قريبة تكنس اوربا كنسا · تتغدى بدولة وتتعشى باخرى · دول كانت اشد منا باسا · واكثر عتادا واجنادا ، احتلها هتلر فى ايام ثم احتل فرنسا الامبراطورية ووقع جنرالاتها وثيقة التسليم فى عربة قطار جيىء بها من المتحف · ثم زحف كالاعصار الى روسيا فمسحها ودمرها تدميرا وبيلا وقرع ابواب موسكو ·

ثم مـاذا ·· !

لقد رفضت تلك الامم كلها ان تتجرع الهزيمة . فلم تكن هناك هزيمة . واندحر الزحف الضارى تحت المقاومة الباسلة ·

واليوم ــ اذا كانت « ترسانات » امريكا قد تفتحت لجيش اسرائيل يغترف منها بغير حساب .. واذا كانت امريكا قد اعطته من المدد المنظور وغير المنظـــور ما اتاح له نصرا سريعا وغادرا ، فليس معنى ذلك اننا هزمنا .. اننا لن نهـــزم الا اذا تجرعنا الهزيمة ولن انجرعها ابدا .. ان شعبنا ليس قويا فحسب ، ولامقدرا فحسب ، بـــلهومصدر كونى من مصادر الطاقة والقوة .

انه قاهر التتار بعد ان داسوا العالم وسحقوه .. وانه الذى قرع بـــه ابراهيم باشا ابواب اوربا .

وارادة النصر لا تكمن فى خطط عدونا ولا فى سر المعركة معنا او ضدنا انما هى مستقرة فى ضمائرنا وفى تصميمنا ·

فاين مكانك ايها الرئيس ·· ابق معنا ·· وخض بنا الاهوال ما يشاء اعداؤنا المجرمون واكثر مما يشاؤون ·· وان فقد احد الشجاعة على مواصلة المعركة معك . فليخرج من صفوفنا ·· ان الجبناء لا يملكون حق السير معنا ·· لا ·· لن تذهب عنا ·· ولن تدع الشمس تشرق على عالم يريد بك سوءا اى سوء ·

وقد استمر هذا هو موقف خالد محمد خالد حتى بعد وفاة عبد الناصر فكتب فى رثائه « وداعا للرجل ؟ » قال فيه :

لقد مات بطل ٢٣ يوليو يا رجال . . مات المخاطر الجسور الذى لم يعرف الجزع ولا اليأس ولا انهدؤ ، مات الرجل الذى عاش حياته السياسية مادا عنقه الى نصال الخطر غير مبال ولا مكترث . . الخ . .

عباد الشمس :

وسوف لاننانقش مواقف واتهامات جلال الحمامصى لجمال عبد الناصر وهى اتهامات لاتقف عندما ورد فى كتابه طعنا فى ذمة عبد الناصر ، بل انها مستمرة كل يوم بمناسبة ، وبدون مناسبة ، وكان جلال الحمامصى ــ بكل اسف ــ المسئول عن جريدة الجمهورية جريدة الثورة كما رشحه عبد الناصر نقيبا للصحفيين ، ووضعه مسئولا عن الاعلام المصرى فى الولايات المتحدة وعهد اليه بمهمة انشاء وكالة انباء الشرق الاوسط الرسمية ، كما كان اغلب سنوات عبد الناصر بعد ذلك مسئولا فى صحيفة الاخبار ــ وقد كتب عقب الهزيمة العسكرية مطالبا عبد الناصر بالبقاء ، ولايتنحى عن موقعه . . وكان جلال الحمامصى قد اتخذ موقفا شديد الحماس مع الثورة منذ بدايتها حتى أن جريدة المصرى الوفدية نشرت عنه يوم ٣١ مارس ١٩٥٤ مقالا بتوقيع المصرى قالت فيه بالنص :

« الاستاذ جلال الحمامصى صاحب الكلمة التى نشرها فى الزميلة الاخبار

امس تحت عنوان دخان فى الهواء ، هذا الاستاذ الحمامصى تربى فى دار المصرى وكان المحرر الرياضى ، ثم رقى الى سكرتير تحرير المصرى ، ولما استوى الاستاذ على قدميه وصار له قلم تطلع الى الافق فوجد ان الشمس تشرق على الكتلة فطار اليها ، ولما أذل يجمها اصدر الاسبوع وكان اسبوعا ، ثم طار واوته اخبار اليوم وقتا من الزمن ، لان الشمس كانت تشرق عليها ، ثم الى « الزمان » حيث النعيم المقيم ، وأخيرا حطت به عصا الترحال فى الاخبار ، فليس الاستاذ هو الذى يكتب عن الحرية ، وقد كان كعباد الشمس يولى وجهه حيث تشرق الشمس ، وحيث الدفء ماذا يقول المصرى فى الاستاذ الحمامصى ، ليس هناك ما يقوله سوى قول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم	فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى	فلما قال قافية هجانى

وكان هذا هو راى الوفد فى جلال الدين الحمامصى .. أما رأى الحمامصى فى جمال عبد الناصر فقد قاله بعد التنحى عام ١٩٦٧ اخبار اليوم ١٠ يونيو — تحت عنوان « ابق معنا » وقد جاء فيه :

البطل .. يظل بطلا فى كل وقت .

وقد كان جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بطلا .

وفيما بين التارخين واجهت جمال عبد الناصر اصعب المشكلات ، وواجه المؤامرات تلو المؤامرات وصمد لها جميعا ، وعرف كيف يخرج منها وهو رافع الرأس ، بل ان الذين دبروا له كل هذه المؤمرات هم الذين سقطوا الواحد بعد الاخر .

واذا كان جمال قد اراد ان يواجه النكسة الخطيرة التى واجهها الشعب العربى خلال الايام الاخيرة بشجاعة نادرة ، وأن يحمل نفسه المسئولية .. كل المسئولية فهذا مايجب ان نقول فيه كلمة .

ان المؤامرة لم تكن موجهة الى شخص جمال عبد الناصر بل كان هدفها تصفية الشعب العربى كله بطاقاته الوطنية . وامكانياته الجبارة . ومن اجل

هذا حشدت لها قوى العدوان كل ماتحت يدها ورسمت خطوط المؤامرة بحيث تطعن الشعب العربي في الصميم .

ولقد وضح منذ يوم الاثنين الماضي — يوم بداية العدوان الجـــديد — ان المؤامرة الاستعمارية قد رسمت بعد ان ضاق الاستعمار ذرعا بقوة الشـــعب العربي ونهضة الشعب العربي وكفاح الشعب من اجل حقه في الحياة الحـــرة الكريمة .

لقد كان الشعب يتطلع دائما الى قائد ، والى زعيم يأخذ بيده لتحقيق هذه الاهداف فلما جاء جمال عبد الناصر ليتحمل كل هذه المسئوليات مفوضة لامن الشعب المصري وحده بل من الشعوب العربية جميعها — استطاع جمال ان يحقق الكثير من هذه الاهداف وأن يندفع بالشعوب العربية الى اكثر مما كانت تتطلع اليه .

فلما اراد جمال عبد الناصر أن يتحمل اليوم المسئولية وحده فهذا ليس من حقه . فالمسئولية مشتركة والنكسة لاتعنى أن يترك القائد المكان الذى وصل اليه بارادة — الشعوب العربية .. دون أن يترك لهذه الشعوب الحق في ان تقـــول كلمتهـــا .

ان البناء الضخم الذى شيدناه بالعرق والتعب والوفاء يجب الا نسمح له بان ينهار في لحظات ، واذا كانت النكسة الاخيرة قد تركت آثارا مريرة . فنحـــن قادرون على تصحيحها وأن نواجه مسئوليتنا بشجاعة .

ووجود جمال عبد الناصر معنا في هذه المرحلة ضرورى .. بل وحتمى .

ان الشعب لايريد من جمال عبد الناصر ان يذهب بل انه يريده معه وهـــو يبنى من جديد ، ويريده معه وهو يعاود مواجهة قوى الاستعمار في معارك الثـــار القادمـــة .

هذه ارادة الشعب .. ولقد عودنا جمال عبد الناصر أن يخضـــع لارادة الشـــعب .

كلمات من السمـــاء :

هل نأتى ببقية قائمة الكتاب .. الذين يعيشون .. والـــذين توفاهم الله ، ليقف الجيل الجديد ، على مواقفهم ، ويعـــرف مـــدى جديتهم أو استخفافهم بعقول القراء ولنبرهن للناس مدى تمســـكهم

بالمبادىء التى روجوا لها ، ثم انقلبوا عليها . .

مثلا الكاتب الكبير نجيب محفوظ الذى انغمس فى السياســـة . . واصبح عدوا لعبد الناصر فجأة ، كتب عند وفاته تحت عنوان « كلمات من الســـماء » يقول :

حياك الله ياأكرم ذاهب . . حياكم الله وهداكم . . انى احنى راسى حبــا واجلالا . . تحية طيبة ولكن لاتنسى ماســـق من قولك « ارفع راسك ياخى » . . نحن من الحزن . . فى ذهول شامل . . لايحق الذهول لمن تحدق به الاخطار وتنتظره عظام الامور . . يعزينا . . بعض الشىء أنك الى جنة الخلد تمضى . . وسيسعدنى اكثر ان تجعلوا من دنياكم . . جنة . . ان عشرات التماثيل لن تجعلك فى خلود الذكرى . . لاتنسوا تمثالين اقمتهما بيدك وهما « الميثاق » و (بيان ٣٠ مارس . . وراءك فراغ لن يملأه الشعب الذى حررته . . سيبقى ذووك فى صميم الافئدة . . ابنائى هــم الفلاحون والعمال والفقراء . . وجدت قرة عينى فى توديع الكرة الارضية تلك . . اما قرة عينى ففى استقلال الوطن العربى والحل العادل لارضه الشهيده . . سيكون احب الطريق الى نفسى الطريق الى مسجدك . . طريق الحق هو الطريق الى العالم والاشتراكية . . نستودعك الله يا اكرم من ذهب . . كلنا ماضــون ومصر هـــى الباقيـــة .

بكائيات انيس منصور :

ان من يقرأ بكائيات انيس منصور المسلسلة فى جريدة الاخبار عقب رحيل عبد الناصر لا يتصور ابدا ان هذا القلم يمكن ان يتحول الى النقيض بسهولة . . وان صـــاحب المـــواقف يمكن ان يغيـــرها بســـــهولة .

ولكن ذلك ما فعله انيس منصور ، مثلما وضع العديد من الكتب تشريحا للمجتمع الاسرائيلى ورفضا لوجوده فى جسم الامة العربية ، ثم أصبح فى عهد السادات أحد دعاة الصلح المنفـــرد وابرز أدوات تطبيع العلاقات مع اسرائيل ، واصبح مكتبه فى مجلة اكتوبر مقر كـــل الوافدين من اسرائيل لمصر . . وقال اننا لم نفهم اسرائيل ، مع اننـــا

نتصور اننا فهمناها من خلال كتاباته على الاقل . .

وسوف نكتفى بمرثية واحدة مما كتبه الشديد البكاء على عبد الناصر أنيس منصور فى جريدة الاخبار ، تحت عنوان مواقف وقد جاء فيها :

« ان مثل عبد الناصر لا يتحدد عمره بيوم مولده ويوم دفنه فى ارض وطنه ، انه يلقى ضوءه على الحاضر والمستقبل ، ويلقى ظلاله عبر الاجيال ، ومثل جمال عبد الناصر له عمران ، عمره هو ، وعمر الامة التى عاش من اجلها ، وعمر المبادىء التى مات فى سبيلها .

وسوف تجف الدموع على جمال عبد الناصر ، ولكن لن نشعر بخسارة هذا الرجل الا فيما بعد ، عندما تتلبد السحب ونبحث عن الشمس ، عندما تظلم السماء ونبحث عن الضياء ، عندما نبحث عن الذى يواجه . فاذا واجه اقنع ، فقد اعطاه الله صفات الشخصية صفات لاتورث . ولا تنقل بالعشرة وكانت خليطا من الذكاء والشجاعة وحد النظر والوطنية ولذلك فخسارته لايمكن تقديرها .

وكانت هو الذى اختار لطريق جنازته . فسوف يهبط من السماء على مجلس قيادة الثورة حيث كان شابا يفكر ويدبر . وحيث كانت عينه لاترفع عن ثكنات الاحتلال البريطانى على الجانب الاخر من النيل . وسوف يمر جثمانه أمام تمثال سعد زغلول . وقد كان يحترم سعد زغلول ذلك الزعيم الشعبى . يوم كانت مصر دولة صغيرة . وآمالها مثلها صغيرة ايضا . ولكن مصر جمال عبد الناصر دولة كبرى . وقضاياها صعبة . وتحدياتها جليلة .

ولتمضى الجنازة الى مبنى الاتحاد الاشتراكى – وهنا تجسدت افكاره الثورية . وتطلعاته الاشتراكية وصراعاته من اجل العدالة الاجتماعية والكرامة الوطنية ، والعزة القومية ومعه على بحر من الدموع . وفى ضوء العيون .. وفى العيون الى مقره الاخير . حيث يستريح الجسم المكدود والعقل المرهق . والقلب الكليل . وكأنها حكمته الاخيرة – الا يسمع مايقول لنا والايرى مايصنعون والا يلمس ما يخافون .. فهو يعلم أن الدموع ستجف . والصرخات ستتلاشى وعلى الناس ان يعاودوا حياة العمل والدفاع عن الارض والعرض . فاذا كان الذى تعانيه فى مصر هو مأتما ، فليس مأتما فى اسرائيل ولا فى غيرها . فالعدو وراءنا ، وبيننا »

والمصاب الجليل امامنا .. والله معنا .. يعوضنا من هذا المشعل الذى اضــــاء كثيرا وبشدة فانطفا فجاة وبسرعة .. فاللهم ارحم جمال عبد الناصر ، وارحمنا من بعده .. ومن انفسنا .

تمثال لجمال عبد الناصر :

واذا كانت الحملة على جمال عبد الناصر قد بدات بكتيب صغير كتبه توفيق الحكيم عندما فقد وعيه اثناء حكم عبد الناصر ، فاننا لابد ان نقرر ان الحكيم قد تراجع عن كتابه فى الهجوم على عبد النـــاصر وحاول تبرير موقفه ، وامتدح عبد الناصر من جديد وحاول الاعتذار فى مقالاته ، وفى واحاديثه الصحفية ، وابراز ندمه على ما فعله ..

وقد لايكون هذا الندم قد وصل القراء بشكل مباشر ، لانه متناثر فى احاديث صحفية فى مجلات عديدة ، ولكنه بالقين فان لتوفيق الحكيم مقال شهير نشره بجريدة الاهرام عقب وفاة عبد الناصر يطالب فيـــه باقامة تمثال لجمال عبد الناصر ويفتح باب التبرع لانشاء هذا التمثال بخمسين جنيها دفعها من جيبه ، رغم ما هو معروف عنه من بخـــل شديد ، وفى هذاالمقالكتب يقول :

اعذرنى يا جمال . القلم يرتعش فى يدى . ليس من عادتى الكتابة والالم يلجم العقل ويذهل الفكر .

لن استطيع الاطالة . لقد دخل الحزن كل بيت تفجعا . لان كل بيت فيــه قطعة منك . لان كل فرد وضع من قلبه لبنة فى صرح بنائك . فانت لم تكن بالزعيم المصنوع سلفا فى مصنع السياسة تربصا للفرص . بل كنت بضعة من جوهر شعبك النفيس صالها بيده فى داب وحدب بعد طول معاناة وانتظار على مدى احقاب . فان يفقدك اليوم يفقد فيك نفسه وثمرة امله . لذلك كان هذا الرشد الذى طاش من الرؤوس ساعة سماع نعيك . انه ليس مجرد حب لشخصك انما هو الحرص على معنى يعيش به بلدك . لقد وجد الشعب فيك صورة حريته . لقد جعل منك حبا تمثال الحرية لنا .

فاسمح لنا وقد فارقتنا ان نقيم لك تمثالا عاليا فى ميدان التحرير ، ليشرف على الاجيال ويكون دائما رمز الامال . ومابنبغى ان تقيم هذا التمثال سلطة او دولة لكنه الشعب نفسه . من ماله القليل بقيمه . وانا من بين هذا الشعب أنقدم اليوم بما استطيع تقديمه .

هذه الخمسون من الجنيهات . أسهم بها افتتاحا لقائمة الاكتتاب . ومـــا يرخص المال الى جانب فضلك باجمال وخاصة — فى اعياد العلم — على الادباء والعلماء والمفكرين والقضائيين . ستبقى دائما فى ذاكرتنا وانت فى عليين .

نزار قبانى ·· موقف مختلف :

كان عبد الناصر زعيما عربيا ، وعندما اشتدت الحملة عليه فى مصر ، وأوصدت الابواب فى وجوه كل من يحاول انصـــافه وانصاف الحقيقة فى الصحافة القومية ، وجد بين الكتاب والشعراء والمفكرين العرب ، من تصدى لهذه الحملة خارج مصر ··

فطوال السبعينات وفى ظل الديمقراطية التى كانوا يتغنون بها اعتقلت كل الاقلام التى تكشف الحقيقة داخل مصر ·· ولكن ذلك لم يمنع اقلاما مصرية كثيرة من ان تتحايل وتكتب . وكان من بين الذين تصدوا للحملة على جمال عبد الناصر الشاعر نزار قبانى ، الذى كان قد كتب قصيدة « هوامش على دفتر النكسة » عقب هزيمة ١٩٦٧ هاجم فيها جمال عبد الناصر .. ونشر قصيدته فى عـــدد من الصحف العربية ثم طبعها فى كتاب يحمل نفس عنوان القصيدة ·· ومنعت الصحف التى نشرتها من دخول مصر صودر الكتاب ..

وقاد عدد من الكتاب ، والنقاد فى مصر حملة ضارية وشرسة ضد نزار قبانى ، لانه هاجم جمال عبد الناصر .

والغريب أن الذين قادوا هذه الحملة دفاعا عن عبد الناصر ضد نزار قبانى كانوا أول من هاجم عبد الناصر بعد وفاته ·· بينما اتخذ نزار قبانى الموقف الصحيح سياسيا واخلاقيا ·

وعندما اشتدت الحملة على نزار قبانى بعد مصادرة كتبه ··

وشعره واغانيه بعد قصيدته الاولى « هوامش على دفتر النكسة » استجابة للحملة التى شنها بعض كتاب مصر عليه · أمسك نزار بالقلم وكتب رسالة الى جمال عبد الناصر ·

ومن هنا بدأت قصته مع عبد الناصر .. ولنترك نزار يردد بنفسه في قصته مع الشعر حكاية قصيدته « هوامش علـــى دفتر النكســة » مع عبد الناصر ، يقول :

« اجد ان الامانة التاريخية تقتضيني ان أسجل للرئيس الراحل جمـــال عبد الناصر موقفا لا يقفه عادة الا عظماء النفــوس ، والملاحون والموهوبون الذين انكشفت بصيرتهم ، وشفت رؤيتهم ، فارتفعوا بقيادتهم وتصرفاتهم الى اعلى مراتب الانسانية ، والسمو الروحى ، فلقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر الى جانبى ، يوم كانت الدنيا ترعد ، وكسر الحصـــــار الرســمى الذى كان يحـــاول ان يعزلنى عن مصر بتحريض وايحاء من بعض الزملاء الذين كانوا غير سعداء لاتساع قاعدتى — الشعبية فى مصر ، فراوا ان أفضل طريقة لايقاف مدى شعرى وقطـــع جسورى مع شعب مصر .. استعداء السلطة على ، حتى ان احدهم طـــالب وزارة الاعلام بمقال نشره فى احدى المجلات القاهرية بحرق كتبى ، والامتناع عن اذاعة قصائدى المغناة من اذاعات القاهرة ، ووضع اسمى على قائمة الممنوعين من دخول مصر ..

وحين شعرت ان الحملة خرجت من نطاق النقد ، والحوار الحضـارى ، ودخلتنطاق الوشاية الرسمية، قررت ان اتوجه مباشرة الى الرئيس جمال عبدالناصر» وكتبت اليه هذه الرسالة :

فى هذه الايام التى اصبحت فيها اعصابنا رمادا ، وطوقتنا الاحزان من كـل مكان ، يكتب اليك شاعر عربى يتعرض اليوم من قبل السلطات الرســـمية فى الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لامثيل له فى تاريخ الظلم .

وتفصيل القصة اننى نشرت فى اعقاب نكسة الخامس من حزيران قصــيدة عنوانها « هوامش على دفتر النكسة » اودعتها خلاصة المى وتمزقى ، وكشفت لها عن مناطق الوجع فى جسد امتى العربية ، لاقتناعى ان ما انتهينا اليه لا يعالج بالتوارى والهروب وانما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا .

واذا كانت الصرخة حادة وجارحة ، وانا اعترف سلفا بانها كذلك ، فلان «الصرخة تكون بحجم الطعنة ، ولان النزيف يكون بمساحة الجرح »، من منا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ حزيران ومن منا لم يخدش السماء باظافره ؟ من منا لم يكره نفسه وثيابه وظله على الارض ؟

ان قصيدتي كانت محاولة لاعادة تقويم انفسنا كما نحن بعيدا عن التبجح والمغالاة والانفعال ، بالتالي كانت محاولة لبناء فكر عربي جديد يختلف بملامحه وتكوينه عن فكر ما قبل ٥ حزيران .

انني لم اقل اكثر مما قاله غيري ولم اغضب اكثر مما غضب غيري ، وكل ما فعلته انني صنعت باسلوب شعري ما صاغه غيري باسلوب سياسي او صحفي .

واذا سمحت لي يا سيادة الرئيس ان اكون اكثر وضوحا وصراحة ، قلت انيلم اتجاوز في قصيدتي نطاق افكارك في النقد الذاتي ، يوم وقفت بعد النكسة تكشف بشرف وامانة حساب المعركة وتعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

انني لم اخترع شيئا من عندي ، فاخطاء العرب النفسية والسياسية والسلوكية — مكشوفة كالكتاب المفتوح .

وماذا تكون قيمة الاديب يوم يجبن عن مواجهة الحياة بوجهها الابيض »، ووجهها الاسود معا ؟ ومن يكون الشاعر يوم يتحول الى مهرج يمسح اذيال المجتمع وينافق له .

لذلك اوجعني يا سيادة الرئيس ان تمنع قصيدتي من دخول مصر ، وان يفرض حصار رسمي على اسمي وشعري في اذاعة الجمهورية العربية المتحدة وصحافتها .

« وليست القضية قضية مصادرة قصيدة او مصادرة شاعر لكن القضية اعمق وابعد .

القضية هي ان نحدد موقفنا من الفكر العربي ، كيف نريده .. ؟ حرا ام نصف حر ، شجاعا ام جبانا ..؟

القضية هي ان يسقط اي شاعر تحت حوافر الفكر الغوغائي لانه تفوه بالحقيقة .

قصيدتي امامك يا سيادة الرئيس ، ارجو ان تقراها بكل ما عرفناه عنك من سعر افق ، وبعد رؤية ، ولسوف تقتنع برغم ملوحة

الكلمات ومرارتها »، باننى كنت انقل عن الواقع بامانة وصدق ، وارسم صـــورة طبق الاصل لوجوهنا الشاحبة والمرهقة ، لم يكن بامكانى وبلادى تحترق ، الوقوف على الحياد .. فحياد الاديب موت له .

لم يكن بوسعى ان اقف امام جسد امتى المريض اعالجه بالادعية والحجابات والضراعات فالذى يحب امته يا سيادة الرئيس ، يطهر جراحها بالكحول ، يكوى — اذا لزم الامر — المناطق المصابة بالنـــــار .

سيادة الرئيس .. اننى اشكو لك الموقف العدائى الذى تقفه منى السلطات الرسمية فى مصر ، متاثرة باقوال بعض مرتزقة الكلمة والمتاجرين .. وانا لا اطلب شيئا اكثر من سماع صوتى .. فمن ابسط قواعد العدالة ان يسمح للكاتب ان يفسر مـــا كتبه ، وللمصلوب ان يســــأل .

ولا احد يعرف لماذا اشتم .. وان اطعن بوطنيتى وكرامتى لاننى كتبـــت قصيدة ، ولا احد قرأ حرفا من هذه القصـــيدة .

لقد دخلت قصيدتى كل مدينة عربية ، واثارت جدلا كبيرا بين المثقفين العرب ايجابا وسلبا ، فلماذا احرم من هذا الحق فى مصر وحدها ، ومتى كانت مصر تغلق ابوابها فى وجه الكلمة وتضيق بها .

ياسيدى الرئيس .. لا اريد ان اصدق ان مثلك يعاقب النازف على نزيفه ، والمجروح على جراحه ، ويسمح باضطهاد شاعر عربى اراد أن يكون شريفـــــا وشجاعا فى مواجهة نفسه وامته ، فدفع ثمن صدقه وشجاعته .

يا سيدى الرئيس .. لا اصدق ان هذا يحدث فى عصرك .

قرارات عبد الناصر

طوى نزار قبانى رسالته وسلمها الى الكاتب أحمد بهاء الدين ، الذى حملها من بيروت حيث كان يقيم نزار قبانى الى الرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة .

ويواصل نزار قبانى روايته لقصة هذه القصيدة قائلا انه :

« لم يطل صمت عبد الناصر ، ولم تمنعه مشاكله الكبيرة ، وهمومه التى تجاوزت هموم البشر من الاهتمام فرسالتى ، فقد رءى لى احد المقربين منه انه وضع خطوطا تحت اكثر مقاطع الرسالة ، وكتب بخط يده التعليمات الحاسمة التالية :

١ ــ لم اقرا قصيدة نزار قباني الا في النسخة التي ارسلها الي ، وانا لا اجد اي وجه من وجوه الاعتراض عليها .

٢ ــ تلغى كل التدابير التي قد تكون اتخذت خطا بحق الشاعر ومؤلفاته ويطلب الى وزارة الاعلام السماح بتداول القصيدة .

٣ ــ يدخل الشاعر نزار قباني الى الجمهورية العربية المتحدة متى اراد ويكرم فيها كما كان في السابق .

يواصل نزار روايته قائلا « بعد كلمات جمال عبد الناصر » « » تغير الطقس وتغير اتجاه الرياح ، وتفرق المشاغبون ، وانكسرت طبولهم ، ودخلت « الهوامش » الى مصر بحماية عبد الناصر » ورجعت انا الى القاهرة مرة ، لاجد شمس مصر اشد بريقا ، ونيلها اكثر اتساعا ونجومها اكثر عددا .

انني اروى هذه القصة التي لا يعرفها الا القلة من اصدقائي ، لانهـــــا تتجاوز دائرة الاسرار الخصوصية لتاخذ شكل القضية العامة .

نقضيتي مع الرئيس عبد الناصر ليست قضية شخصية .. اي علاقة بين قصيدة ممنوعة ورقيب يمنعها ، انها تتخطى هذا المفهوم الضيق ، لتناقش من اساس طبيعة العلاقة بين من يكتب ومن يحكم بين الفكر وبين السلطة » ..

« لقد كسر الرئيس عبد الناصر بموقفه الكبير جدار الخوف القائم بين الفن وبين السلطة .. بين الابداع وبين الثورة واستطاع ان يكتشف بما اوتي من حدس وشمول في الرؤية ان الفن توامان ملتصقان وحصانان بجران عربة واحدة او ان كل محاولة لفصلهما سيحطم العربة ، ويقتل الحصان ·

قتلناك يا اخر الانبياء :

كان نزار قباني شجاعا في نقد عبد الناصر في حياته . وكـــان ايضا شجاعا في رثائه ··

وكتب نزار أولقصائده عن عبد الناصر بعد وفـــاته بعنوان « قتلناك يا اخر الانبياء » ·

بعدها كتب نزار عن عبد الناصر قصيدة عنوانها «الهرم الرابع»

مظاهر ضد رمسيس

وقاد نزار فى الخارج حملة الدفاع عن عبد الناصر ، وكان موقفه من توفيق الحكيم ابراز دليل على ذلك ، فقد كتب ردا على توفيق الحكيم بعنوان « مظاهرة ٠٠ ضد رمسيس الاول جاء فيه :

هل يسامحنى استاذنا الفنان توفيق الحكيم اذا قلت له أن كتابه الاخـــير (عودة الوعى) ردىء جدا ، وخفيف ومتاخر .. ثم هل يسامحنى ان كتابه الذى قدم للناس على انه عمل من اعمال التحدى لا يتحدى احدا ، لان التحدى يفترض وجود الخصم ، والخصم ينام الان تحت رخام قبر فى ضاحية منشية البكرى فى القاهرة.

« الكتاب .. ردىء جدا لانه لا يضيف شيئا الى ما كان يقال فى الشارع ، والمقهى وعلى لسان العوام، فهو ريبورتاج صحفى خفيف ليس فيه من توفيق الحكيم القديم شىء ». ولا من ذهنه شىء ، ولا من فنه شىء ، انه مجرد « ثرثرة على النيل » تجرى داخل عوامة مغلقة بين مجموعة من العديمين الذين يعتبـــــــرون الثقافة نوعا من الفانتازيا ..

« والكتاب خفيف جدا لان ٧٥ صفحة من القطع الصغير لا نعطى اخبار مظاهرة ، فكيف نغطى اخبار ثورة من اهم ثورات هذا القرن .

« والكتاب متاخر جدا لان الاستاذ توفيق الحكيم فكر فى اداء فريضة الحج بعد عودة الناس من الديار المقدسة ، لذلك فهو لا يستحق الثواب ..

« لقد تصرف توفيق الحكيم كما يتصرف العاشق حين يحتفظ بمكاتيب عشقه عشرين عاما ثم يخطر له فجاة أن يبيع رسائل حبيبته فى المزاد العلنى ..

« ان النقطة الفضيحة ، فى كتاب « عودة الوعى » هى محاولة توفيق الحكيم اقناعنا انه كان خلال اعوام الثورة واقعا تحت تاثير السحر ، ومنوما تنويما مغناطيسيا فكيف يمكن لكاتب كبير ان ينزلق الى هذا المنطق الطفولى ويقول بكل بساطة .. لا تؤاخذونى .. فقد كنت مسطولا ومهبولا ، ومجذوبا ، وواقعا تحت تاثير السحــر والمنجمين عشرين عاما ..

« واذا كان توفيق الحكيم المعلم والرائد والكاتب العظيم يقول هذا الكلام العامى الغيبى الخرافى الانكشارى ، فماذا يقول ملايين البسطاء الذين لا يعرفون تفكيك حروف اسمائهم فى العالم العربى .

« ان المواقف المعلنة بعد عشرين عاما لا قيمة لها لان الناس ينتظرون من الاديب ان يضيء حاضرهم ، ويضيء ادراكهم السياسي في فترة وقوع الحدث ، لا ان يكتب قصيدة مديح او قصيدة هجاء برمسيس الاول بعد مرور خمسة الاف سنة على وفاته»

« المهم ان نملك الشجاعة كي نقول لفرعون خلال فترة حكمه انه ملك ظالم وان نقول لجمال عبد الناصر خلال فترة رئاسته انه ديكتاتور ، ويهلوان يحترف البلف والتهويش ، وطبعا سيكون ثمن هذه الشجاعة غاليا .. فالشجاعة دائما غالية الثمن ، لكن الاديب الحقيقي لا يساوم ، ولا يختبيء تحت اللحاف ، اثناء البرد والظلام ، ولا ينتظر رحيل العاصفة حتى يخرج الى البحر ليصطاد السمك .. الاديب الحقيقي لاينزل الى المخبا عند انطلاق صفارة الانذار ، ولايكتفي برؤية روما وهي تحترق ولكنه يفعل شيئا ما لانقاذ روما .

« قد يقول ((توفيق الحكيم)) ان العمر قد تقدم به وان الشيخوخة لاتسمح بمواجهة السلطان ، وسجون السلطان ، وزبانية السلطان ، وهذا قول مردود لانه ليس من المعقول ان يشيخ توفيق الحكيم في الفترة الواقعة بين ١٩٥٢/٧/٢٢ وتاريخ ١٩٧٢/٧/٢٢ » ثم يعود شابا بعد هذه الفترة يلعب اليوجا ، ويصارع الثيران ،ويطلق الرصاص .

واذا كان توفيق الحكيم معارضا لسياسة فرعون وأسلوبه في الحكم فلماذا بقي في منصبه الكبير في جريدة الاهرام ، ولماذا لم يرفض وسلم فرعون » ويعلن سبب رفضه امام الراى العام ، كما يفعل بعض الذين منحوا جائزة نوبل من الكتـــــاب والعالميين : كباسترناك مثلا ولو ان هذا حدث لكان هذا الرفض اول علامة احتجاج من مفكر عربي ، على حاكم عربي ، ولكن الوسام ظل على صدر الاستاذ الحكيم ، ولم ينتبه اليه الا عندما كشف الله عن بصيرته وعاد اليه وعيه .

مصر يا أم الصابرين .. انني اعتذر اليك باسم كل الكتاب الذين خرجـوا بعد عشرين عاما من غرفة التخدير ، وقرروا ان يسيروا في مظاهرة ضد المغفور له ((الملك رمسيس الاول)) ..

هذه هى « مواقف » بعض الكتاب الذين يهاجمون الان ٠٠ ترى هل نصدقهم ٠٠ ونحترم كلماتهم أو نناقشها .

* وثـــائق *

ايصال سداد جمال عبد الناصر الضرائب المستحقة على الايراد العام •• وهو مرتبه

[illegible]
[illegible]
السنة من ١/٧/١٩٦٧ الى ٣١/١٢/١٩٦٨

الاسم الوظيفة : السيد الرئيس جمال عبد الناصر
الوظيفة : رئيس الجمهورية العربية المتحدة

الشهر	المرتب	[illegible]	الصافي
يناير	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
فبراير	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
مارس	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
ابريل	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
مايو	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
يونيه	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
يوليه	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
اغسطس	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
سبتمبر	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
اكتوبر	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
نوفمبر	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
ديسمبر	٥٠٠	[illegible]	٢٩٠
	٦٠٠٠	[illegible]	٣٤٧٢

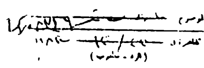
تحريرا في [illegible] /٢/ ١٩٦٩

المراجع [illegible]

بيان بمفردات مرتب الرئيس الراحل عن عام .. وقد خصم منه ايجار الاستراحة

محافظة القاهرة

إدارة مرور القاهرة
مكتب ...



السيد ... مدير ...

[illegible]

السيارة الاوستن التى تركها ناصر

أمين ...

الإيصال

اسم ... جمال عبد الناصر حسين

السنة المعد ... الاقرار

تاريخ ... السداد

... ١٩٦٠/٢/

ايصال تسليم اقرار جمال عبد الناصر الضريبى

شركة القاهرة للتأمين

شركة مساهمة مصرية

[illegible]

وثيقة تامين باسم الرئيس جمال عبد الناصر

البنك الأهلى المصرى

مصر الجديدة فى ٢/ ١٢ / ١٩٨٢

السيدة/ .. تحية كاظم

سيدتى

بالاشارة الى خطابكم بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٩٨٢

نتشرف بالافادة بأننا نودع لكم معاش شهرى قدره ٢٦٦,٤٦

(فقط ستمائة وستة وستون جنيه و٤٦/١٠٠ لاغير) على حسابكم الجارى طرفنا

وقد أعطى لكم هذا البيان لتقديمه الى ....

بناء على طلبكم ودون أدنى مسئولية علينا

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

المدير المساعد

البنك الأهلى المصرى
مصر الجديدة
مراقب الحسابات

معاش الزعيم الراحل ، المرتب كاملا + المخصصات كاملة .. وفقا لقرار مجلس الأمة ، محول على البنك للسيدة الجليلة قرينته

رقم الايداع ٤٨١٠ / ٨٦

عبد الناصر
و الحملة الظالمة

عبد الله إمام

بالوثائق .. يرد هذا الكتاب على الحملة المخططة الظالمة على الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .. فيتناول مؤامرات الاخوان المسلمين ، وقضايا الديمقراطية ، والتعذيب والمعتقلات ، والحراسات ، والقطاع العام ، وأموال أسرة محمد على .

كما يناقش الكتاب حملة حزب الوفد على الثورة ، وادعاء تزييف التاريخ ، والعلاقات المصرية السوفيتية ، وحرب اليمن ، وهزيمة ١٩٦٧ ، وانتحار المشير عامر ، وزواجه من الفنانة برلنتى عبد الحميد ، ويتعرض لمواقف عدد من الكتاب المصريين والعرب من حكم عبد الناصر أمس .. واليوم ..

الثمن
٢٥٠ قرشا